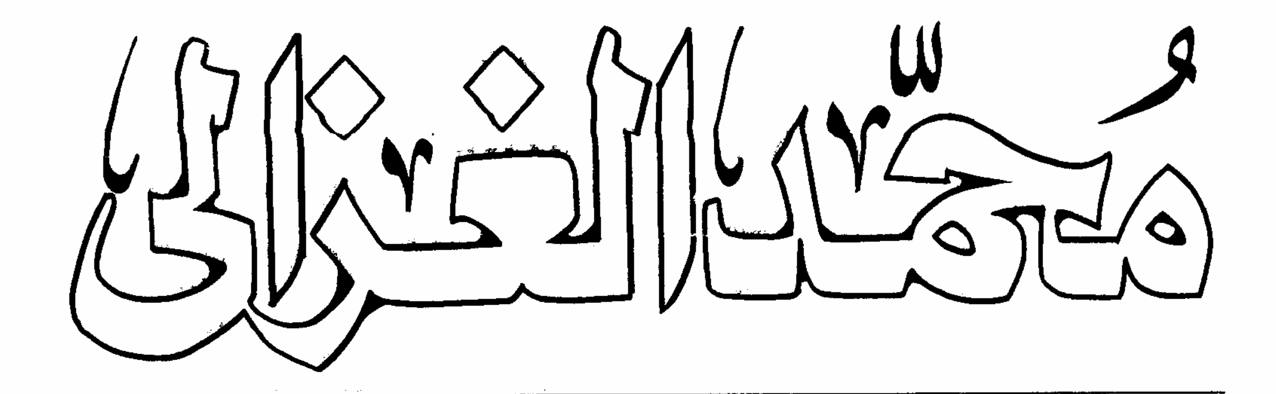
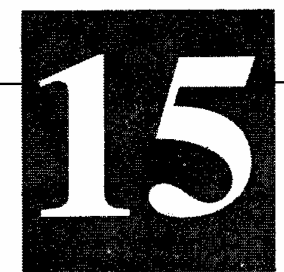


جرعات جديدة من الحق المر



الجزء الخامس



العـــنــــوان: جرعات جديدة من الحق المر «الجزء الخامس».
المـؤلــــــف: الشيخ/ محمد الغزالي .
إشـــراف عـام: داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشــر: الطبعة الخامسة أغسطس 2005م .
رقـــم الإيـداع: 2002/1695
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-1748-7

الإدارة العامة للنشــر: 21 ش أحمد عرابي ـ المهندسين ـ الجيزة
ت: 3466434(02)–3472864 (02) فاكس:3462576 (02) ص.ب:21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة ـ مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) ـ 8330289 (02) ـ فـــاكس: 8330296 (02)
البـريد الإلكتـروني للمطابع: press@nahdetmisr.com

مـركـز التـوزيع الرئيـسي: 18 ش كـامل صـدقي - الفـجـالة - القـاهـــرة - ص . ب : 96 الفجـالـــة - القـــاهـــرة.
ت . 5909827 (02) - 5908895 (02) ـ فـــاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البـريد الإلكتـروني لإدارة البـيع: sales @nahdetmisr.com

مـركـز التـوزيع بالإسـكندرية: 408 طـريـق الحريــة (رشـــدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبـد السـلام عــارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشـركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقـع البيـع على الإنترنت: www.enahda.com



مـــقدمة

أعلمُ «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» وذلك قانون إلهى كائن لا محالة .

ويخالطنى الألم والأمة الإسلامية تجتاز مرحلة صعبة من تاريخنا إزاء ما لحق بها من خسائر مادية وأدبية .

لذلك أحرصُ - دائما - فى مرصدنا الذى نقف فيه لمشاهدة مراقب المسلمين أن أسجل ما يقع بالمسلمين من مصائب وما يحاك لهم من مكائد وما يقع بينهم من أخطاء ونصوغ ذلك فى سطور قليلة نذكرهم . . ونسائلهم . . .

متى يفيقوا ؟

إننا لم نجبن عن تسجيل الأحداث غثها من سمينها ونسجل أمام الله ما علينا ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، لعل فى ذلك ما يثقل الميزان .

والإيجاز مقصود فى كلمات مرسلة وسريعة ، والمعانى المخبوءة كثيرة ضافية الذيول ، ونهجنا فى ذلك «ابن الجوزى» فى كتابه «صيد الخاطر» . فقد قل كلامه ودلَّ على الصواب .

والأمر يستلزم ذلك فى هذا العصر . . تمشيا مع طبيعة القراء . .

فالملاحظة السريعة أحب إليهم من مقالة مسهبة وكلام ينسى بعضه بعضا .

وفى حياتنا قد تلقى الكلمة الكلمة ، كما تلقى فى الأفق سحابة سحابة ، فينشأ من تلاقيها مطر يهمى وبرق يضىء . .

وسأكتب كل خاطرةٍ ما تراخت منيتى . .

فلنطالع هذه الفصول من «الحق المر» ففيها إن شاء الله ما يكفى ويفى ، إنها حلقة من سلسلة تمتد ما بقى الأجل لعل فيها بلاغا للناس .

محمد الغزالى

١٢ من شوال ١٤١٦ هجرية

٢ من مارس ١٩٩٦ ميلادية

حسن البنا

أنا واحد من الذين صحبوا «حسن البنا» وتربَّوْا على يديه وأفادوا من علمه ، قد لاحظت فى دراستى الطويلة للرجال أن الله جمع فى «حسن البنا» مواهب عدد من الزعماء الإسلاميين الكبار أمثال «جمال الدين الأفغانى» ، و «محمد عبده» ، و «رشيد رضا» ، فكان إذا تحدث بين الناس التقى فى حديثه ما تميّز به أولئك الرجال كما تلتقى الأشعة فى عدسة صافية تجمع ما تفرق وتضاعف أثره !!

كان «جمال الدين» أول من أبصر الحقد التاريخى فى ضمير الاستعمار الغربى ، ونبه المسلمين إلى أن أوروبا لا تزال تحمل ضغائن «بطرس الناسك» فى تعاملها مع المسلمين .

وكان «محمد عبده» أول من أحسّ حاجة الأمة إلى تربية واعية ، تتعهد سلوكها بالعقل المؤمن ، وتحرس نظامها بالشورى العامة . .

وكان «محمد رشيد رضا» ترجمان القرآن وشارة السلفية الصحيحة والمفتى العارف بأهداف الإسلام والمستوعب لآثاره . .

شاء الله أن يكون «حسن البنا» وريث هؤلاء فكانت محاضراته فى المدن والقرى علما وأدبا وثقافة وكياسة ، وقلَّما يفلت سامع له من التأثر به والانقياد إليه ، وعلى هذه الدعائم نهضت جماعة الإخوان المسلمين ، وانتشرت فى أرجاء العالم الإسلامىّ ، فكانت بمرشدها العام تجديدا لأمر الدين ، وتحصينا لكيانه من الغزو الثقافى والسياسى الذى نال منه وأساء إليه .

من الظلم اعتبار جماعة الإخوان حزبا جُلُّ نشاطه العمل السياسى فى وطن من أوطان الإسلام ، إن الدائرة التى عمل فيها «حسن البنا» أرحب كثيراً ، إنها ترديد لغايات القرآن الكريم التى ذكرها فى هذه الآية : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .

لقد كان الإمام الشهيد يبعثر العلم فى خطبه كما يبعثر الزارع الحبّ فى أرضه ،

---

(١) النحل : ٨٩ .

وأعانته على ذلك موهبة لم تعرف فى تاريخنا الثقافى إلا لأبى حامد الغزالى ، فقد كان «أبو حامد» قادرا على أن يشرح للعامة أفكار الفلاسفة ويجعل ما تعقَّد منها كلاما سهلا سائغا ، كذلك كان «حسن البنا» رضى الله عنه يلخص لسامعيه حقائق الدين والدنيا ، ويوجههم برفق وحب إلى ما يريد من خدمة الإسلام وتجاوز المرحلة التاريخية الصعبة التى يمر بها أو التى كبا فيها . .

وجهد الإمام الشهيد كان لابد أن يلفت إليه أعداء الإسلام فاغتالوه لتستريح الشياطين منه . .

وما كان «حسن البنا» ولا الأقربون منه يخدمون الإسلام بالعنف أو ما يسمَّى الآن بالإرهاب .

وقد قابلته يوم مقتل الخازندار - مستغربا ما حدث - وكان القتلة من الإخوان - فأقسم بالله أن القاتل لو كان فى السماء لبحث عن طريق يصعد إليه ليمنعه مما فعل !!

وقد شعرت بأن بعض الإسلاميين يفقدون وعيهم أمام بعض الأحداث ، ولكن ما ذنب «حسن البنا» وجماعة الإخوان كلها ؟

إن الرسالة التى حمل لواءها «حسن البنا» يجب أن تبقى ، وهى رسالة يستحيل أن يكرهها مسلم مخلص لله ورسله ولا تزال جماعة الإخوان بعد عشرات السنين من اغتيال «حسن البنا» أعدل الجماعات الإسلامية .

ولا يزال التاريخ الإسلامى المعاصر بحاجة إليها ، وأحسب أن الذين يهاجمونها إما أبواق لأعداء الإسلام ، وإما جهلة لايدرون شيئا ، والمرحلة التى نمرّ بها خطيرة ، وقد قررنا ألا نموت بما نحمل من رسالات الله .

* * *

لم يكن شيئا مذكورا..

فكرت قليلا ماذا كنت من مائة عام ، وماذا كان غيرى من أترابى ؟ أظن عامتهم إلا قليلا جدا كانوا فى أطواء العدم ! كانت الأرض صفرا منهم !

ماذا كانوا ؟ وأين ؟ ربما كانوا حبات تراب تذروه الرياح ، ربما كانوا قطرات مياه تجرى فى الأنهار ! ثم تحوّلوا بعد ذلك إلى حبوب وبقُول وفواكه ، أكلها الآباء ، ثم جعلتها أجهزتهم العتيدة دماء فى العروق ، ثم ماء دافقا تفرزه الغدد المختصة ، ثم تمضى السلالات وفق الأطوار المعروفة حتى تنشأ خلقا آخر . .

إننا لم نكن شيئا ثم كنا ، وقد لفتنا القرآن إلى هذا التاريخ الغامض عندما قال : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾[1] ، إن هذا الاستفهام تقرير لواقع ما يستطيع أحدنا إنكاره .

إلا أن هذا التقرير جاء تمهيدا لما بعده ؛ لا من حياة أرضية فحسب ؛ بل من حياة أخرى زُوِّدنا بمواهب خاصة حتى نبلغها ، ونتوزع على أنواعها ودرجاتها : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[2] .

لكننا لا نفكر فى خلو الحياة منا قبل الميلاد ، ولا فى خلو الحياة منا بعد الممات ، وإن كان الفارق بين الحالين بعيدا !! الخلو الثانى فناء لأجسامنا وحسب ، أما الأرواح التى احتلتها فهى تذهب إلى مصايرها وفق ما صنعت لمستقبلها !

لكن هذه الأجساد التى خدمناها طويلا ، أين تذهب ؟

الجواب : تذهب من حيث جاءت « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ »[3] ، ترى هل ستتحول إلى تراب ثم إلى حبوب وبقول وأشجار وأثمار ؟

---

(١) الإنسان : ١ . (٢) الإنسان : ٢ ، ٣ .
(٣) طه : ٥٥ .

إن هذا التساؤل مرَّ بذهن أبى العلاء فقال :

صاح هذى قبورُنا تملأ الرّحب فأين القبور من عهد عاد

خفِّف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

وقبيح بنا وإن قدُم العهد هوان الآباء والأجداد

لكننى أعترض هذا التفكير ، وأرى الانسياق معه عقيما ؛ لأنى إنسان بروحى وإدراكى وأخلاقى ، لا بشَعْرى وأظافرى ولحمى وعظامى ، والمهم هو الارتقاء بالروح إلى معرفة الله وتقواه ، وعندئذ تظفر بالخلد ، وتفتح لها أبواب السماء .

الشىء الذى يصر الناس على تجاهله ، ويرفضون التفكير فيه هو العدم الذى سبقهم ، والعدم الذى سيلحق بعدئذ أجسامهم وحدها ، ثم تبقى أرواحهم لتواجه أثر التجربة الصعبة فى هذه الدنيا . . .

إن الجماهير تحس أنها تحيا ، وهى رهينة هذا الإحساس تأبى ما عداه ثم يفجؤها الموت فتعرف بعد فوات الأوان أنها أضاعت فرصة الاستفادة من العمر المحدود على ظهر هذه الأرض ، أى من فترة الاختبار هنا !!

والحضارة الغربية التى تسود الدنيا الآن تحتقر التفكير فى الآخرة ؛ وتركز اهتمامها كله فى هذه الدار .

وقد فشل أهل الكتاب فى أوروبا وأمريكا أن يلفتوا الأنظار إلى ما وراء هذه الدار ، أما اليهود فلأن توراتهم التى بين أيديهم لم تذكر الجزاء الأخروى قط ؛ وهذا من إضاعتهم للوحى الأعلى ، وأما النصارى ، فإن لهم حديثا عن الآخرة بالغ الضعف وظاهر أن الشهوات كانت أعتى منه فغطت عليه !!

على أن الدين لايذكر الموت ليعطل الحياة ، وإنما يكفكف من غلوائها ، ويمنع الافتتان بها ، والغرق فى حمأتها .

* * *

العرب من غير مصر ؟

شعرت بغضاضة وغضب عندما طلبت طوائف من الأكراد بقاء الجيش الأمريكى على أرض العراق .

ومع علمى بما نزل بهم من هوان ، على أيدى رجال البعث العربى ، فإنى ضقت بما وقع ، وتمنيت أن يكون البديل المطلوب من المظالم السابقة إقامة حكم إسلامى راشد تتآخى فى ظله شتى الأجناس وتختفى معه نعرات الجاهلية الأولى . .

إن استئناف الماضى الطيب ليس شيئا صعبا ، وقد ذابت الفروق الجنسية فى ظل الأخوة الإسلامية قرونا طوالا . . .

وبدا لى أن صيحات استبقاء الأمريكيين مفتعلة ، ولعلها بإيعاز من بعض دهاتهم !! زيادة فى النكال بالعروبة الخائنة لدينها وتاريخها !!

وقد رأيت فى المغرب الكبير أن الأوروبيين يُبْدون عطفا مستغربا على البربر والزنوج ، ويوجسون خيفة من العروبة ويقظتها ، وقد أثاروا فتنًا شتى حول هذه القضية ، وخطتهم التى ينبعثون منها تمزيق الأمة الإسلامية ، وتوسيع الفجوات بين شعوبِها ! وجهد المستشرقين والمبشرين وراء هذه الغاية لا ينقطع ، وإعلامهم لا يخْفِت عن بثّ الوقيعة وإيغار الصدور !!

ليت شعرى ، ما أصاب العرب حتى طوتهم هذه اللُّجّة الطامسة لحاضرهم ومستقبلهم ؟ لقد استيقنت من أن دسائس أجنبية وراء هذه المحنة تريد جعل هذه الأمة جُذاذا .

وهناك صحافيون مختبئون فى جحورهم ينتظرون الفرص لينفثوا السموم ، هناك من يكتب طعنا مريرا فى المصريين جميعًا !

ماذا يبغى ؟ يبغى خدمة سادته فى عزل مصر عن العرب !!

وما درى هذا الأعمى أن العرب من غير مصر لا يكسبون خيرا ولا يدركون نصرا ، فهم كما قال حافظ :

أنـــــا إن قـــدَّر الإلـــه ممـــاتى لاترى الشرق يدرك الرشد بعدى

وقـد سـمـعت أن صيحات حـمـقـاء – عند الخلاف فى بعض القضـايا – انبـعثت تطلب هدم السد العالى أو هدم الأهرام !!

فهل يستريح الحاقدون عندما يتم ذلك . . وهل يكسبون إلا العزلة والحسرة والهزيمة ؟

إننى ما أشك فى أن أصحاب هذه الصيحات مستأجَرون لجهات استعمارية ، تريد القضاء على وادى النيل كله . . .

عندما ذهب أنور السادات إلى بعض بلاد الخليج يريد أن تتعاون معه على سداد ديون مصر ، قوبل بألفاظ مقذعة ، وشنت حملات مجنونة على المصريين أجمعين ، فماذا كسب العرب من اتفاق مخيم داود ؟ والصلح مع إسرائيل ؟

لقد اعتقدتُ أن الذين شنوا هذه الحملات أُجَرَاء للصهيونية العالمية يعملون لحسابها ، وينفذون مخططاتها ، وصدّقت الأيام ما رأيت . .

ويوجد الآن من يشتم شعبا عربيا كاملا ، يبتغى النَّيْل من مكانته وكرامته ، وما يعنينى أن يكون هذا الشعب فى إفريقية أو فى آسيا ، إنما الذى أُحِسّ الجزع منه نتائج هذه السفاهة ، فى زيادة الطين بلة ، وزيادة الصف ضعفا .

فى كل بلد مَنْ يحسن ومن يسىء ، ومن يخطىء ومن يصيب ، فمن كان ناصحا لله ورسوله ، فليتخيّر ألفاظه ، ولْيتحسّس خُطاه . .

وإن عجز عن ذلك فالسكوت فريضة عليه . . .

أُناشد جماهيرنا أن تعرف خطورة أوضاعنا ، وتكالُب أعدائنا ، وأطالبها بأن تُصمّ آذانها عن شتائم السفهاء لشعوب بأسرها ، فهذا أولا ظلم ، وثانيا لا يفيد منه إلا الخصوم . .

نحن ننادى بجمع الشمل وتلاقى الأهل .

* * *

لماذا يرهبون المعتدلين؟!

لا أستنكر عقوبة على من يساند رأيه بالإرهاب ، ويريد إكراه الناس على مذهبه فى الحياة ! .

فليس هذا أسلوب القرآن الكريم الذى يقول لنبيه : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

أما الذين يعرضون ما عندهم بالرفق والحجة فلا مساغ للقسوة عليهم أو معاملتهم بالعنف .

وعندما كنت فى الجزائر جاءتنى شكاة من نحو ستين طالبة وموظفة بأنهن مهددات بالفصل من وظائفهن ومعاهدهن إذا ارتدين الحجاب .

- وهو شىء آخر غير النقاب - فقلت لماذا تحاول المتبرجات - بالإرهاب والتهديد - أن يفرض مسالكهن على الأخريات ويضطروهن إلى العرى ؟

إن الإرهابيين من أتباع الأديان الأخرى مدللون كما يقع فى إسرائيل أو يعاملون بالقانون العادى كما يقع فى أقطار أخرى .

أما فى البلاد الإسلامية فإن التهمة بالإرهاب لا تكاد تناقش وتخترع لها محاكمات غريبة ! وأسباب ملفقة . . .

وقد نشأ عن هذا أن بعض طلاب النجاة أخذ يفر من الانتماء الإسلامى ويخشى على نفسه وأسرته من هذا البلاء . .

إنه لا وجاهة لمن يشتكى من العدالة !

أما أن يكون التدين تهمة يقذف بها الناس حتى تثبت براءتهم فذلك مرفوض !

---

(١) يونس : ٤١ .

أريد أن أقول للعرب كلهم شعوبا وحكومات : إن إسرائيل الصغرى تتهيأ لتكون إسرائيل الكبرى ، ويوشك أن يهدم الأقصى ليرتفع مكانه هيكل سليمان .

ويوشك طبقا لتعاليم التوراة أن تكون حدود إسرائيل من الفرات إلى النيل !!

وما يقع فى العالم العربى اليوم من إرهاصات هذا البلاء .

والواجب أن نحمى ديننا من العدوان عليه ، كما نحميه من العدوان به ، إنه لا مكان لإضاعة الصلاة واتباع الشهوات وإشاعة العبث فى بلاد يستعد اليهود لإرغامها على الرضا بالدنية ، والتسليم بالهزيمة ، والانخراط تحت لواء الصهيونية العالمية ، ومساندتها فى ضرب الإسلاميين . . اعدلوا هو أقرب للتقوى .

الصياح بطلب الحكم !!

سقطت دولة الإسلام الكبرى من سبعين سنة خلال عواصف داخلية وخارجية أظلم معها كل أفق ، وخبا كل فكر .

وليس مستغربا أن يسعى المسلمون المخلصون خلال هذه المدة كى يرفعوا الراية التى سقطت ، ويعيدوا البناء الذى انهدم . . .

وقد تألفت جماعات إسلامية لبلوغ هذه الغاية ، كانت جماعة الإخوان بلا ريب طليعتها ، وهناك جماعات أخرى ، فى أقطار شتى تسعى للغرض نفسه ، وما يرتاب أحد فى نبل الغرض ، ولكن حديثنا هنا عن طبيعة الوسائل ، فإن البعض ظن طلب الحكم هو الخطة الفريدة لخدمة الإسلام وبناء حكومته . .!

إن إقامة الدولة المنهدمة لا تصح ولا تتم إلا بإقامة الأمة نفسها ، وشفائها من عللها ، وهو عمل ينبغى أن يكون الشغل الشاغل للإسلاميين إلى جانب نشاطهم النظرى فى بناء النظام السياسى للإسلام . . .

وعندى أن طلب الحكم لا يستغرق إلا ١ ٪ من العمل الإسلامى الصحيح ، أما التسعة والتسعون جزءا الأخرى ففى ترميم الكيان الشعبى المنهار فى كل مكان .

وأنا أنظر بريبة شديدة فيمن لا صياح لهم إلا طلب الحكم ، وأخاف أن يقع مستقبل الإسلام بين أيديهم ؛ فيكتنف الظلام مستقبل الإسلام . .

هناك أعمال ثقيلة خطيرة يجب أن يباشرها الإسلاميون فورًا لإصلاح أمتهم وتهيئتها لغد أشرف . . .

أشعر بالجزع عندما أرى أخلاق الكذب والخيانة والغدر وخسّة الخصومة تشيع هنا وهناك ، أليست هذه أركان النفاق ؟ فكيف يبقى معها إسلام ؟ . .

هناك تقاليد فى الزواج والطلاق ، والافتراق والاجتماع ، والأفراح والأحزان ، ومعاملة الأصدقاء والجيران تشيع بين المسلمين وتملأ بلادهم بالعقد والخلل ، والرياء والتكلف ، لو نقلناها إلى الناس لأثرنا الفوضى فى البر والبحر ! فكيف نتركها دون إصلاح ؟

خلائق العجز والكسل والجمود ، والرغبة عن الابتداع والاكتشاف فى شئون الدنيا تدفع بنا إلى الوراء ، وقد برىء منها غيرنا فاندفع إلى الأمام .

فبم نفسر تقاعسنا فى محو هذه الخلائق الرديئة ؟ وكيف يستقيم - مع وجودها - حماسنا للدعوة إلى الإسلام ؟

لغة القرآن تُنْتقَص من أطرافها ، والغارة عليها متجهة إلى صميمها ، وتكاد تختفى فى أروقة الجامعات العلمية ، وتتلاشى فى لغة التخاطب ، بل فى عناوين الدكاكين والمؤسسات الأخرى ، فما سر فتورنا فى مواجهة هذا البلاء ؟

إن انتظار الحكم ليس العمل الصالح الذى ينضم إلى الإيمان ، وتتمّ به النجاة ، إن هذا الانتظار يمكن فهمه عندما يكون فى حاشية الشعور ، على أن يكون فى بؤرة الشعور العمل العاجل المتاح فى أى مجال لخدمة الإسلام فى أى ميدان ، وما أكثر الميادين الظمأى إلى عاملين مخلصين ناشطين . . .

أصارح بأننى مرتاب فى أفئدة مقاتلين من أجل الحكم ، بل مرتاب فى قدراتهم وخبراتهم ، وأخشى إذا وقعت مقاليد الحكم فى أيديهم أن يصاب الإسلام بما لا طاقة له به !

هل عَجَزَة اليوم سيكونون المقتدرين غدا ؟

اللهم احرس الإسلام من هؤلاء الأصدقاء . .

* * *

علاقة حيّة

مع هلال الشهر المبارك ينظر المسلمون إلى الأفق ثم يناجون ربهم بهذا الدعاء «اللهم أهلّه علينا باليُمن والإيمان والسلامة والإسلام ، هلال يمن وبركة إن شاء الله » ، وجاء فى الحديث أن الرسول الكريم كان يشير إلى الهلال ويقول : «**ربى وربك الله**» . .

كأنه يشرح قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا ﴾[1] .

إن الذى زحم الأرض بالبشر زحم السماء بالكواكب - ومن بينهما الشمس والقمر- يديرها فى أفلاكها كيف شاء فهى تعنو لمجده وتسبح بحمده وعلى أبناء آدم أن يقدروا الله حق قدره ، وأن يصلوا مع حركات الشمس وأن يصوموا مع حركات القمر ، ونحن المسلمين نؤدى برضا وسرور الفريضة التى كتبها الله علينا عالمين أننا ننفرد دون الناس كلهم بهذه العبادة ، فغيرنا يترك بعض الأطعمة ويتناول أخرى ، أما نحن فنغلق الأفواه عن كل طعام ونكبت الشهوة الجنسية ونعلن سيطرة الروح على الجسد ونصوغ سلوكنا فى قالب من السكينة والأدب فلا لغو ولا رفث ولا غيبة ولا عدوان . .!

عندما كان أبونا «آدم» فى الجنة كان عنده ضمان ضد الجوع والعرى ، والكدح والعرق المتصبّب ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ﴾[2] .

لكنه ضعف وخضع لشهوته فكلفنا نحن أن نربى أنفسنا على قوة الإرادة والسيطرة على الأهواء حتى نكون أهلا للخلود فى دار النعيم .

والواقع أن الحضارة الحديثة بقدر ما أحرزت من تقدم علمى خضعت لمختلف الشهوات فشرعت تنحدر وتناوشها العلل والأسقام ولن تنقه حتى تخضع لأمر الله وتحسن الصلاة والصيام ، وتستعد للقاء الخالق الكبير .

---

(١) الأنعام : ١٦٤ .　　(٢) طه : ١١٨ ، ١١٩ .

قال سلمان الفارسى رضى الله عنه : خطبنا رسول الله - ﷺ - فى آخر يوم من شعبان فقال : «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوّعا . من تقرّب فيه بخصلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدّى فريضة فيه كان كَمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه . وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطّر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء! قالوا : يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم!

قال رسول الله : يعطى الله هذا الثواب من فطّر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة وأوسطهُ مغفرة وآخره عتق من النار . من خفف عن مملوكه - خادمه - فيه غفر الله له . . » .

إن شهر رمضان موسم قربات وموعد سباق كبير إلى الرضوان والخلود ينتظره الأتقياء كما ينتظر الأغنياء الذهاب إلى المصايف لتمتيع أنفسهم ، لكن المتعة هنا علاقة حيّة بالله وظفر بروحانية عالية ونعيم مقيم . .

* * *

مـع الله

فى حديث لرسول الله ﷺ «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة . يقول الصيام : أى ربِّ منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه . قال : فيُشفَّعان .** » العبادات لابد منها لنجاة الإنسان وصقل روحه وزكاة نفسه ، وهى تذكّر بالله ونعمه وحقوقه ، ويستحيل التفريق بينها ، بل تُؤدَّى كلّها مجتمعة ؛ فلا صلاة بدون صيام ولا صيام بدون صلاة . وكلتا العبادتين أساس للتسامى وباعث على القبول الإلهى .

كنت أتابع يوما درسا في عالم الأفلاك حيث تسبق الأعداد شطحات الخيال وتقاس المسافات بأرقام هائلة ، وتضاءلت فى نفسى ثم عدت إلى مواقع الأقدام من أرضى ونظرت إلى ما تحت الثرى وعلمت أنى لا أدرى ولا أرى!

قلت : ترى ما هناك في أعماق هذه الكرة حتى النقطة المكشوفة من سطحها فى الجانب الآخر المقابل لى؟ أشياء كثيرة نجهلها كل الجهل ، قلت : لكن الله وصف نفسه فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[1] .

إن اللمعة المضيئة عند سدرة المنتهى كالحبّة المستخفية فى ظلمات التربة سواء فى علمه ، تبارك اسمه وهو علم مسطور فى سجلٍ دقيق منذ الأزل .

وملأتْ أقطار نفسى عاطفة إعجاب بهذا الخالق الأعلى ، بيد أن الكلمات المعبِّرة تقاصرت ثم احتبست وشاء ربى أن يلهمنى كلمات تنفِّس عما بى ، فإذا الكلمات المعبرة فى حديث رواه على بن أبى طالب يصف صلاة النبىّ عليه الصلاة والسلام جاء فيه : « . . **وإذا ركع يقول فى ركوعه : اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت . خشع لك سمعى وبصرى ومخِّى وعظمى وعصبى . وإذا رفع رأسه من**

(١) طه : ٥ : ٨ .

الركوع قال : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شىء بعد . وإذا سجد يقول فى سجوده : اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت . سجد وجهى للذى خلقه وصوّره وشقّ فيه سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين» .

فى هذه المناجاة ترى الألوهية الكاملة والعبودية الكاملة ، بين يدىْ بديع السماوات والأرض يجثو عابد ملهم فيهمس فى ركوعه وسجوده بكلمات تصوّر ما ينبغى أن ينطق به كل فم تحية لذى الأسماء الحسنى . . ذاك فى الصلاة .

أما فى الصيام فنحن عند تناول الفطور نعوِّض ما فاتنا من طعام الغداء ، وقد نتوسع فى ذلك إلى حدّ الإسراف ، لكن محمدا انفرد بعبادة لايقوم بها غيره! إنه لا يفطر مع الناس أحيانا إنه يواصل الصيام يوما آخر أويومين !

يقول للناس : «**إنكم لستم كهيئتى ، إننى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقين**» وهذه عبارة تصوِّر قدراته الروحية الفائقة ، فإذا كان بعض الناس عبيد بطونهم فهو فوق هذا المستوى المادىّ وأرفع قدرا .

* * *

وتزودوا..

يستعد المؤمن لرمضان قبل مقدمه : كيف يحسن صيامه وقيامه؟ كيف يخرج منه مغفور الذنب مضاعف الأجر؟

فإن الشهر الكريم تدريب على الطاعة وترشيح للتقوى كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1]

ومن الخطأ تصور الاستعداد بأنه تدبير النفقات وتجهيز الولائم للأضياف .

إن هذا الشهر شرع للإقبال على الله والاجتهاد فى مرضاته وتدبّر القرآن وجعل تلاوته معراج ارتقاء وتزكية ، إنه سباق فى الخيرات يظفر فيه من ينشط ويتحمّس!

عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال : «**أُعطيتْ أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبىّ قبلى أما الأولى فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم . ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً – يعنى يختار الله الأكثر إقبالا ونشاطا وحماسا فيخصه بنظرة رضا لا يشقى أبدا بعدها – ، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة – مصداق قوله تعالى :** ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[2]

وأما الرابعة فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها : استعدى وتزيّنى لعبادى! أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى ، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا ، فقال رجل من القوم : أهى ليلة القدر؟ فقال : لا! ألم تر إلى العمال يعملون ، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم؟» .

---

(١) البقرة : : ١٨٣ .

(٢) الشورى : ٥ .

والمهم فى الصيام والقيام أن يصحبهما اليقين وتحمل التعب لوجه الله تعالى . ولذلك صرحت الأحاديث بأن استحقاق الأجر لا يكون إلا مع شرطين ، قال رسول الله ﷺ «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» وقال : «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» ، وإذا استحق مؤمن المغفرة بأحد العملين فإن العمل الثانى تضاعف به حسناته وينضاف إلى رصيد الخير عنده ، وحفزا للهمم على الاشتراك فى هذا السباق جاء فى الحديث : «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار - وينادى منادٍ من قبل الحق - يا باغى الخير أقبلْ ويا باغى الشر أقصر !** » .

أحيانا يدخل المرء سوقا تباع فيها السلع الغالية بثمن زهيد ، هكذا رمضان ، فرصة للتزوّد بالخير الكثير ، وذاك سر النداء ياباغى الخير : هلمّ . . !

* * *

ليست حملة على الطعام

قال الرسول الكريم لأمته : «**إنما أخشى عليكم شهوات الغىّ فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى**» .

والغرائز الدنيا فى الناس إذا جمحت وأفلت قيادها هوت بالحضارات وملأت المستقبل بالرجوم ، ولابد فى ضبطها من الصيام الحكيم والحرمان الواعى المهذب وهذا ما يفعله الصيام الذى عرّفه الفقهاء بأنه الإمساك عن شهوتى البطن والفرج من الفجر إلى الغروب ، ولاشك أن صيام المسلمين يحتاج إلى تأمل وتعقيب فى هذه الأيام فإن هذا الشهر يمكن أن يسمَّى شهر الطعام ، وسهر الليل فى التلاوة حلّ محلّه سَمَرٌ هزيل المعنى تافه الأثر حتى أن الشاعر القروى قال من قصيدة له :

لقد صام هندىٌّ فدوخ دولة فهل ضار علجا صوم مليون مسلم؟

يشير الشاعر إلى حرب المقاطعة الاقتصادية التى أعلنها «غاندى» على الاستعمار الإنجليزى ، لقد ألزم قومه أن يتركوا كل ما تنتج المصانع الإنجليزية ولو لبسوا الخيش بدل الصوف الفاخر ، وبدأ بنفسه فلفّ جسمه بخِرَق متواضعة ، ولم تمض شهور حتى توقفت المصانع الانجليزية ، فرحل الانجليز عن الهند وأعترفوا باستقلالها ! !

هل لدى العرب هذه القدرة النفسية ؟

هل يملكون هذه الإرادة الحديدية؟ هل يحكمون شهواتهم أم تحكمهم شهواتهم ؟

إن الصوم ليس جوعا طويلا تمهيدا لأكل كثير . وليس حرمانا موقوتا يتبعه انطلاق فوضوى ! !

ثم إنه ليس تحريما لبعض المأكولات المباحة وتركاً للفم يلغو ويستهل الغيبة واللغو والإسفاف ، هذا النوع من العبادات لا خير فيه .

وفى الحديث الشريف «**ربَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر**» .

وعن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**» .

وقال الرسول أيضا : « **الصوم جُنَّة - أى وقاية - ما لم يخرقها ، قيل وبماذا يخرقها؟ قال : بكذب أو غيبة !** » .

إن العبادات بذور جيدة فى الحياة الاجتماعية ولعل أقرب ثمارها ظهورا حسن الخلق وأدب النفس وكبح الطباع الرديئة .

إنه ليسوءنى أن يكون السائحون المسلمون فى أقطار العالم أول الناس بحثا عن الشهوات واستجابة للإغراء ، كما يسوءنى أن ننفق فى بلادنا المال الكثير على الكماليات والمرفهات حتى أننا أحيينا صناعات الترف فى دول تخاصمنا وتنال منا .

* * *

أيام الانتصار

إذا كان رمضان شهر القرآن فإنه كذلك شهر معارك حامية دفعت الباطل وكسرت شوكته ، إن هذا القرآن كتاب حوار وفكر وأخذ ورد وهو يستبعد الإكراه فى عرضه للعقيدة ودعوته إلى الفضيلة : ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ .[1]

وعندما درست أهمّ معارك السيرة النبوية وجدت أن مسالك الكفار وغرورهم كانت السبب الأول فى خذلانهم وسقوط رايتهم ، خذ مثلا «بدر» لقد خرج أهل مكة لحماية قافلتهم المهددة كما يقولون ، حسنا! لقد نجت القافلة فلِمَ لَمْ يعودوا من حيث جاءوا ويستأنفوا حربهم للإسلام ؟

قال أبوجهل لابد أن نعسكر قريبا من المدينة فننحر الجزور ونشرب الخمور وتغنى لنا القيان ويسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدًا ! أى ولا يزالون يخافون من اعتناق الإسلام مادمنا نخاصمه ! !

إن هذا الكبر والطغيان كانا سبب هزيمة الشرك وذهاب ريحه . .

وانظر - بعد بدر - إلى فتح مكة ، كانت هناك معاهدة تمنح الوثنية السائدة عشر سنين لو آثرت الوفاء والإنصاف ، ولكنها خرقت المعاهدة وقتلت أصدقاء المسلمين فى الشهر الحرام فسار المسلمون إلى مكة وفتحوها وأخمدوا أنفاس المعتدين . .

وقد وقعت فى أواخر رمضان معركة «عين جالوت» وهى معركة بعيدة الأثر فى تاريخ العالم كله ، فإن التتار بعدما أسقطوا الخلافة العباسية ودمروا «بغداد» ، استعدوا لفتح «مصر» ، وأرسلوا إليها كى تستسلم!! وشاع فى أرجاء الدنيا أن جيش التتار لا يقهر !

ومن يستطيع الوقوف أمامه بعد مقتل المستعصم آخر الخلفاء العرب ، لكن «قطز»

(١) الأنعام : ١٠٤ .

قتل الوفد التتارى وأعلن التعبئة العامة وقاد الجيش المصرى وسار به إلى فلسطين ليلقى عدوه المغرور بقوته ، وكانت الشائعات بأن جيش التتار لم ينهزم قط تنتشر فى كل مكان ، وتغزو الأفئدة باليأس ، وظهر هذا عند التقاء الجمعين فترجل قطز ، وألقى على الأرض خوذته وصاح بصوت رهيب وا إسلاماه ، وهجم بمن معه فإذا الأرض تزلزل تحت أقدام المغيرين ، وإذا هم يولون الأدبار . .!

وحاولوا الوقوف فى خط آخر أنشأوه على عجل ولكن المسلمين تعقبوهم فإذا هم بين قتيل وأسير . وانهزم جيش «هولاكو» فاتح بغداد ، وقال التاريخ لم يكن ما حدث نجاة لمصر وحدها ، بل نجاة للعالم كله من الفوضى والوحشية ، وكم لرمضان من بركات عسكرية ، ولكن المجال يضيق عن الإحصاء .

* * *

المفروض

المفروض أن رمضان شهر السموّ الروحى والإقبال على الله وتلاوة القرآن ومغالبة شهوات الجسد التى تتنفّس طول العام وتنضبط خلال هذا الشهر الكريم .

إن العالم فى عصرنا حوّل حضارته إلى آلة ضخمة يُسمَع دويّها فى المشارق والمغارب لخدمة الجسم الإنسانى وإرواء غرائزه التى لا ينتهى لها جيشان ، فهل يقدر شهر الروحانية على إعادة التوازن ، وإفهام الإنسان أنه ليس حيوانا يحكمه الطعام والسفاد ؟

المنظور فى فريضة الصيام أنها تدعم خصائصنا العليا وتقوّى إرادة التسامى وتذكر المرء بأصله السماوى ، وبأنه نفخة من روح الله الأسمى ، وقبس من نوره الأسنى فلا يجوز أن تهزمه شهوات الحيوان الرابض فى دمه يغرى بالطيش والإسفاف . .

إننا بالصيام نستجيب لأمر الله أن ندع الطعام والشراب ، وهما حلال طوال العام ! فهل نستفيد من ذلك أن نجعل بيننا وبين الحرام مسافات بعيدة ، وأن نعشق الإقبال على الله واتباع مرضاته؟ لقد راقبت الناس فوجدتهم فريقين ، قلة تأخذ الأهبة للفريضة الوافدة وتستعدّ لاحتمال أعبائها ، وكثرة تفكر فى الطعام الكثير والمرفهات الشهيّة وكأنهم يجوعون طويلا ليأكلوا كثيرا !!

والمؤمن حقا لن ينسى ما يكتنف رمضان هذا العام من آلام تحسّها جمهرة المسلمين هنا وهناك ، إن أمتنا وحدها تقع تحت وطأة هزائم ثقيلة ، وتمر بها أزمات عضوض ، وهناك نساء مَسْبِيَّات ورجال أسرى ، وبيوت استوحشت من أهلها ، وكان يقال قديما : اليهودى التائه ولكن الذى يقال الآن : العربىّ التائه!! أوالمسلم المطارد بدينه لا يقرُّ له قرار . .

ولعل الأعجب فى معاملة الشهر الاستعداد لإماتة لياليه بفنون التسلية بدل إحيائها بدروس العلم وتدبر القرآن ، ودراسة ما حوى من حكمة وتوجيه !

إن الصيام ارتقاء معنوى ، وإقبال زائد على الله ، ورغبة فى التسبيح والتحميد لا فى اللغو والمجون . .

وأطلب من أمتنا أن تعى حكمة التشريع لفريضة الصيام ، كما أطلب منها أن تذكر تاريخ هذا الشهر وما وقع فيه من أحداث جسام . .

إن هناك من يحسب الشهر الكريم فرصة بطالة وقعود ، أو راحة واستجمام ونسى أن أعظم معارك الإسلام دارت فى هذا الشهر ، وأن صحائف من أمجادنا كتبت فيه .

فيه خرج المسلمون للقتال فى بدر والفتح ورزقهم الله النصر المؤزّر والفوز العظيم . .

هل نستطيع أن نُرِىَ المتربصين بنا أننا مازلنا أوفياء لديننا ، وأننا قادرون على الثبات فى مواقف الحراسة ، وأن الإسلام حىٌّ فى ضمائرنا ، وسيبقى مرفوع الراية ؟

* * *

مع الصيام

الصيام شريعة تشتبك مع أعتى الغرائز البشرية ، غريزتى الأكل والجنس وهما الغريزتان اللتان سيطرتا على السلوك فى الحضارة الحديثة ، وفرضتا أنفسهما على كل شيء فى عالم الأزياء والغذاء !!

والإسلام لا يحارب الجسد ، ولكنه يرقبه بدقة ويحاصره بأحكام الحلال والحرام ، ويرشده إلى مصالحة العاجلة والآجلة .

وقد ختمت آيات الصيام بقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

فالصيام وإن كان تكليفا فيه بعض المشقة إلا أنه حميد العقبى جميل الأثر ، ويتحول مع الأداء الصحيح إلى نعمة جديرة بالشكر . .

أما عبادة الجسد والمسارعة فى هواه فحيوانية تزرى بصاحبها وتجر عليه الهوان فى الدنيا والآخرة . .

وقد انفرد الإسلام بهذه الفريضة من الحرمان الموقوت ، وجعلها دَعْماً للإرادة ومعراجا للسموّ ومرضاة لله سبحانه .

وقد لاحظت أن مراسلين للصحف الأجنبية والوكالات العالمية تندسّ عندنا بين الجماهير ووسط الأحياء المختلفة لتعرف : أبقى المسلمون أوفياء لرمضان يصومون أيامه ويقومون لياليه ؟ أم جرفتهم تيارات الحضارة ، فقرروا الإفطار والمنام . . !

والواقع أن الكثرة الكبرى تطيع ربّها وتحترم الشهر المبارك ، ولكنى وجدت أن التقاليد الضارّة تهجم على الشهر وتكاد تطفىء سناه وتمحو أثره ، هناك من يجوع كثيرا ليستطيع الأكل أكثر فرمضان عنده شهر الطعام لا شهر الصيام !

وقد استعدَّتْ وسائل الإعلام فى أقطار كثيرة بفنون التسلية لتنقل المسلمين من الجدّ إلى الهزل ، وتصرفهم عن الشغل بقضاياهم الخطيرة إلى التيه وراء خيالات مريضة .

---

(١) البقرة : ١٨٥ .

ومعروف أن رمضان جاء هذا العام والإسلام يستوحش من مآسٍ أحاطت بأهله وهزائم ألحقت بهم جراحات غائرة ، فإذا لم يكن الشهر للإنابة والاستغاثة فلماذا يكون ؟

وأسوأ ما ألاحظه على قومى أنهم يسمعون القرآن ولا يتدبرون! وتمر بهم المعانى التى تهدّ الجبال فإذا بعضهم يصيح طربا ويستعيد الآيات إعجابا بالأنغام التى حفّت بها . .!!

ليس هذا سماعا ، وإنما هو طمس وذهول ، يبرأ منهما عباد الرحمن الذين جاء فى صفتهم : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾[1]

إن رمضان فرصة لتوبة نصوح ، وأمل فى نصر قريب على شرط أن نصومه ونقومه كما أمر الله سبحانه . فكم فينا من قَلِقٍ يريد القرار! وهائم عن وطنه يريد العودة ومهزوم يشتاق للنصر . .

* * *

(١) الفرقان : ٧٣ .

جورباتشوف

استحوذ «ميخائيل جورباتشوف» على إعجاب العالم ، للطريقة التى أجهز بها على الشيوعية ، وأخرج مئات الملايين من سجنها الكبير دون خسائر تذكر . .

وقد فكرت طويلا فى شخصية الرجل : أهو عقلانى يؤمن بالله على نحو خاص كبعض الفلاسفة الإلهيين ؟

لم يبد فى أقواله ما يشهد بذلك! أهو ينتمى فى سريرته إلى أحد الأديان السماوية؟ كلا ، ما ادعى ذلك ولا لوحظ عليه !!

ظاهر أن الرجل صاحب طبيعة حرة ، ولعله أحد المؤمنين بحقوق الإنسان على ظهر الأرض ، وحسب ! لكن صاحب هذه الطبيعة قد ترسب فى نفسه مشاعر خاصة ضد بعض الناس فلا ينجو من سيئاتها . .

فعندما رجعت حرية التدين إلى المجتمع الروسى طالبت الكنيسة الأرثوذكسية بأملاكها المصادرة ، ولم ير «جورباتشوف» حرجا فى ردها إلى أصحابها ، لكن المسلمين لم يعاملوا بالمثل ، وبقيت آلاف المساجد والمعاهد والمؤسسات الإسلامية مخازن واصطبلات ومرافق أخرى لاحق للمسلمين فى استعادتها !

ومعروف أن دول البلطيق عندما طالبت باستقلالها عوملت بتلطف ومراوغة ريثما تتاح الفرصة لتنال حرياتها ، أما مسلمو أذربيجان فقد تولى الجيش الرد على مطالبهم ، وخرست أصوات الحرية تحت هدير الدبابات التى أرسلها جورباتشوف لحل الأزمة!!

وهناك أمر يحتاج قبل عرضه إلى شرح : إن السلطة فى بلد ما قد تعاقب موظفا مسيئا بنقله إلى بلد بعيد عقوبة له ، حتى جاء «ستالين» فقرر تطبيق هذه العقوبة على شعوب بأسرها ، فنقل ثلاثة ملايين مسلم من القرم إلى سيبريا وبقاع أخرى ، وطبقت العقوبة نفسها على مسلمين من أقطار شتى ، قطَّع الجبار أوصالهم ، ورمى بهم فى فيافٍ لا علاقة لهم بها . . !

لقد أمسوا أقليات حيث ذهبوا ، وصفرت منهم أرضهم التى ورثتها طوائف أخرى أسعد !

وعومل المسلمون الروس على أنهم شعوب من درجة ثانية ساقطة المكانة المادية والأدبية . .

والغريب أن جورباتشوف عندما نظر فى شكاواهم لم يقض فيها بشىء ، وتركهم تحت المعاناة التى رزئوا بها ، وهذه المعاناة يذوقها أيضا مسلمو جورجيا الذين يقعون تحت حكم مسيحى طائفى متعنت يحسون فيه الوحشة والضياع !

إن المسلمين فى روسيا يبلغون ثمانين مليونا أويزيد ، أى أنهم أكثر من ثلث السكان! وقد وصفت أحوالهم فى كتابى «الإسلام فى وجه الزحف الأحمر» الصادر من ربع قرن!! والجمهوريات التى استوطنوها من قرون من أغنى أقطار الأرض ، ولكن السيادة والقيادة للجنس الروسى الحاكم الذى ابتلى به هؤلاء التعساء ، أيام القياصرة البيض والحمر على سواء . .

والخزى أن المسلمين العرب يجهلون كل شىء عن إخوانهم المنكوبين ، ولا عجب فقد وجد من العرب أنفسهم من نبذ الولاء الإسلامى ، وقطع أواصره بإخوان العقيدة ، وجعل البعث العربى أوالقومية العربية محور نشاطه وعلاقاته !!

إن هناك ارتداداً أنكى من الارتداد الذى قام به مسيلمة ، وقع فى شراكه كثيرون فنسوا أمتهم الكبيرة وتاريخهم الجامع ، وقبعوا وراء حدود موهومة ، يحسبون أنهم سوف يظفرون وراءها بالحرية . .

وهيهات فقد جاء بنو إسرائيل بعقيدتهم التى آخت بين يهود اليمن ويهود روسيا ؛ ليقولوا للعرب المفتونين : إن زهدتم فى عقيدتكم فلن نزهد فى عقائدنا!! إن يهود روسيا أولى بأرضكم منكم . . ! !

* * *

مؤتمر إيباك

فى يونيه سنة ١٩٩٠ انعقد المؤتمر الحادى والثلاثون للجنة اليهودية الأمريكية المسماه «إيباك» – وهى أعتى الفئات المؤازرة لإسرائيل فى الولايات المتحدة – وشارك فى هذا المؤتمر نائب الرئيس الأمريكى ، ووزير الدفاع ، وزعيم الأغلبية الديمقراطية ، وزعيم الأقلية الجمهورية ، وعشرات من أعضاء الكونجرس الأمريكى . .

ودار الحديث حول دعم وديمومة العلاقات الفريدة بين إسرائيل والولايات المتحدة .

ولفت نظرى الحديث الصريح عن حدود إسرائيل ، وضرورة بقائها مائعة حتى تستقر على خطوط يمكن الدفاع عنها! وترغم الدول العربية على قبولها . .!

قلت : ما الدول التى ستبقى لتُوقِّع وثيقة الضياع والخزى الأبدىّ؟

إن إسرائيل الكبرى ستهلك كل ما حولها من الفرات إلى النيل شرقا وغربا ، ومن الحجاز إلى تركيا جنوبا وشمالا !

ربما بقيت من الفريسة الملتَهَمة بقايا أقدام وعظام فهى تطالب بالاستسلام للأمر الواقع والتوقيع عليه بالقبول والرضا والشكر ! !

هذه هى حصيلة الرؤى الدينية التى آمن بها دراويش السياسة المعلنة فى الدوائر الأمريكية العليا والدنيا .

ومن الطريف أن رئيس الأقلية الجمهورية رأى استبقاء الحوار بين أمريكا ومنظمة التحرير الفلسطينية؟ لأن العرب لن يأخذوا من هذا الحوار إلا الوعود الخادعة والكلمات المعسولة !

وقد سألت نفسى : لقد بدأ هذا الحوار من أمد طويل ، فماذا أفاد العرب منه؟ ولماذا يحرصون عليه؟ إنه تَعَلُّق الغريق بالقشة لعله ينجو !

وأمريكا خلال هذا الحوار ما تركت كلمة تحرج العرب إلا قالتها ، ولا عملا يخذلهم فى الميدان الدولى إلا قامت به .

ولنترك مؤتمر «إيباك» الذى انعقد لمواصلة إذلالنا فى الولايات المتحدة ، إلى مؤتمر آخر انعقد قبله بشهرين فقط لإهانتنا فى كندا . .

دعت إلى هذا المؤتمر جامعة «مانيتوبا» وجعلت عنوانه «العروبة والإرهاب الإسلامى سنة ١٩٩٠ وتهديدهما لأمريكا الشمالية!!» .

وقُدِّمتْ بحوث ودراسات كثيرة من أساتذة متخصصين ، واهتمت أجهزة الإعلام الكندية بالمؤتمر الوقح وعاقديه المفترين ، ولم يتحرك أحد من المعْنيِّين لكشف أكاذيبه المتعمدة . .

قلت : إن عام ١٩٩٠ الميلادى قد انتهى نصفه ولم يفقد دين من الأديان ضحايا وخسائر عُشر ما فقد الإسلام ، إن مئات من القتلى فى الهند وفى فلسطين ؛ وفى الاتحاد السوفيتى ، وفى أفريقيا شرقا وغربا ؛ ذهبت فى صمت ، لا عزاء ولا رثاء !!

إن حاخاما يهوديا قتل شابا فلسطينيا فجوزى بثلاثة شهور ، تقضى فى مستشفى ، وكان القتل عمدا وقصدا ، وكان العقاب هزلا لغرض مكشوف .

أما فى أرجاء القارات فشهداؤنا لا يكترث بهم أحد!

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتزّ إنسان !

ومع ذلك فنحن إرهابيون ! نكره السلام ونستمرىء العدوان . . ! وغيرنا المسالم الطيب !

وفى حضارة العصر أن ينسف البيت العربى ، ويبيت أهله فى العراء ؛ ويُسمَّوْن إرهابيين ، أما أمريكا حامية هذه المآسى فهى حارسة حقوق الإنسان !!

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾[1]

* * *

(١) النمل : ٤ ، ٥ .

حراس الشعائر

أطللت من شرفتى على مياه البحر المتوسط والنسيم يموّج صفحتها ، وقلت : أستقبل الآفاق الممتدة ، وأفكر فى عظمة الخلق والخالق ! إنّ الشمس تؤذن بالمغيب ، وقرصها الأحمر يوشك على الانحدار . .!

وبينما أنا أقلب الطرف فى الأرض والسماء سمعت من الإذاعة أذان المغرب بالقاهرة ، لقد اختفت الشمس هناك ، وبعد خمس دقائق ستختفى من الإسكندرية ، ويبدأ تحول اليوم الحاضر إلى جزء من أمس الدابر . .

وتساءلت : أيسود الأجواء صمت فى الفترة بين أذان القاهرة وأذان الإسكندرية؟ كلا ، إن هناك مئات من المؤذنين على امتداد خطى الطول اللذين تقع عليهما العاصمتان ، كما أن بين الخطين فى شتى المدائن والقرى من يرقبون الشمس عندما تميل ثم يشقّون الصمت بالتكبير والتوحيد .

وبدا لى كأنه فى كل دقيقة تمر يقع أذان يذكّر الناس بوحدة الله وعظمته ، ويناشدهم القيام بحقه . .! وامتدت الفكرة فى نفسى فقلت : أتخلو دقيقة - أوثانية - من أذان ، بدءا من وادى النيل إلى الرباط والدار البيضاء على شواطىء الأطلسى ؟

هذه الأقطار تقع على خط «جرينتش» يتنقل الغروب فيها خلال ساعتين! ومع اختفاء الأشعة فوق هذه الأرض الدوارة يتصل صوت المؤذنين ليلفّ الكرة الطائرة شرقا وغربا . .

ثم قلت : ذاك فى دار الإسلام وحدها ، فإن سلسلة الأذان الصادحة بأنغام التوحيد تنقطع فى بلاد تعبد الأوثان ، أوترفض الإسلام! وسرح ذهنى إلى مئات الملايين فى الهند ، وفى الصين ، وأجيال أخرى من الخلائق . .

إن آباءنا - مقدورين مشكورين - حاولوا أن لا يخرس خط من خطوط الطول أوالعرض عن نداء التوحيد ودعوةالتوحيد ، وقد بذلوا جهدهم ، ثم ذهبوا إلى الله يقولون له : ذاك ما قدرنا عليه . .

وأفقت من هذا الاستغراق على منظر عجب ، فإن عشرات من العصافير - أومئات - كانت تلفّ قريبا منى بقوة ، وتقوم بمظاهر حماسية ساحرة :

أهى تودع النهار المدبر وتستقبل المساء القادم؟ فلأهتف معها بهذا الدعاء :

«**اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعائك فاغفر لى**» .

وأخذت أجيب المؤذن لصلاة المغرب! إن الأذان فى الإسلام حديث معروض على الآذان والسرائر ، ويجب أن نحدد موقفنا منه بتصديقه وترديد ما يقوله المؤذن توكيدا له وشهادة فوق شهادته .

وذاك معنى الحديث الذى رواه سعد بن أبى وقاص «**من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، غفر الله له ذنوبه**» .

والناس فى معايشهم وأسواقهم ومنازلهم يستغرقون فى شئونهم الخاصة ، ويكادون يذهلون عن كل شىء ، فإذا كشفوا هذه الغمة ، وذكروا حقوق الله ، وأصاخوا إلى صوت الداعى ، فإنهم يبدؤون رحلة إلى الحقيقة .

الفلاح فى حقله ، والراعى فى غنمه ، والمسافر فى رحلته ، والعامل فى مصنعه ، كل أولئك قد يُشغلون بما هم فيه حتى ليستغرقهم ، فإذا انتصر فى نفوسهم هاجس الحق ، ونشطوا إلى الأذان ، كانت لهم عند الله مكانة حسنة ، وقد جاء فى الصحاح أن النبى ﷺ **كان فى سير له فسمع رجلا عن بعد يصيح : الله أكبر الله أكبر! فقال النبى ﷺ : على الفطرة!! ثم قال الرجل : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال الرسول : خرج من النار . .!!**

فاستبق القوم إلى مصدر الصوت ، فرأوا راعى غنم حضرته الصلاة ، فقام يؤذن . .» إن الذين يغالبون النسيان ويحرسون الشعائر ، ويقيمون حقوق الله لهم أجرهم ونورهم .

ونحن فى هذا العصر الذى يعبد اليوم الحاضر ، وينسى اليوم الآخر ينبغى أن نتجاوب مع صيحات الأذان ونتشبث بذكر الله .

الغيبة الجماعية

التحريش بين المسلمين ، وتعميق الجراح فى الجسم المُثْخَن ، عمل تقوم به الآن فئات كثيرة ، وتُسخَّر له أقلام شتى بأسلوب ماكر . .

هناك من يقول : الفلسطينيون خونة! ومن يقول : أهل العراق أهل النفاق والشقاق ! ومن يقول : الكويتيون خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت! ومن يقول : المصريون فراعنة إذا قدروا ، وعبيد إذا عجزوا! ومن ومن . . . إلخ .

وتلك كلها كلمات ماجنة وضيعة ؛ أحسب أن مُروِّجيها مأجورون لجهات أجنبية تكيد لأمتنا وتَوَدّ لها العَنَت! وسواء أُلقيت كلمات عابرة أونكات ساخرة فأثرها القريب والبعيد خطير على وحدتنا ؛ وتماسكنا فى هذه الأيام العصيبة .

لقد حرم الإسلام البُهتان والغِيبة ، وعدّ كليهما من الكبائر ، والبهتان اختلاق العيوب ورَمْىُ الأبرياء بها ، أما الغيبة فهى التحدث بعيب موجود مادى أوأدبى ، على سبيل التنقُّص والفضيحة . .

وعند التأمل فى نصوص الشريعة نجد التحريم يتناول مايجرى على ألسنة الأفراد من إثم يراد به إساءة امرىء فى نفسه أوأسرته ، لكن الذى يقع الآن يمكن تسميته غيبة جماعية أوافتراء جماعياً ، الغاية منه إهانة شعوب كبيرة وتوهين أواصر الوحدة الكبرى التى تلُمُّها ، وإعادة العرب إلى الجاهلية التى ردم الإسلام مآثرها ورفَض مفاخراتها ومنافراتها !

أى أنها غيبةُ مُركَّبة ، أو رذيلة مضاعَفة ، ونتائجها إيغار الصدور ، وتقطيع الصفوف ، وإظلام المستقبل . .

ولن يستفيد من هذا العمل إلا أعداء الإسلام ، والحراص على تمزيق أمته وإضاعة جماعته ! !

ومبلغ علمى أن أنور السادات عندما قرر الصلح مع إسرائيل كانت من وراء قراره الكلمات المسمومة التى تناوله بها بعض الصحافيين وهو يناشد دول الخليج معونة مصر!

لقد اعتبروه سائلا كريها ، وذكروه بصفات مقبوحة ! !

إن هذا السَّفه المنكور غيَّر تاريخ الأمة العربية على نحو هائل مزعج ! !

واليوم يراد أن يتحول الخصام الحكومى إلى عداوات شعبية ، تضيع فيها قضية فلسطين ، وينهار فيها البيت العربى الكبير ، وترث أجيال كراهية أجيال ، وتذهب وصايا الله فى جمع الكلمة هباء . .

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]

عندما أصف واقعا سيئا لإنسان أولجماعة على نحو طائش ، فليس يغنى عنى أنى أقول الحق ! !

ففضح البشر ليس كَلأً مباحا ، نعم عندما أذكر أحدا بما يكره ، فلا يُقبل عذر لى أن أقول : لقد قررتُ الحق !

ولا بأس أن أذكر هنا قصة ماعز الصحابى الذى قُتل لارتكابه جريمة الزنى! فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : «**جاء ماعز الأسلمى إلى رسول الله ﷺ ، فشهد على نفسه بالزنى أربع شهادات يقول : أتيت امرأة حراما ، وفى كل ذلك يُعرَ عنه رسول الله ﷺ** » فذكر الحديث إلى أن قال الراوى «**قال رسول الله لماعز : فما تريد بهذا القول؟ قال : أريد أن تطهِّرنى . فأمر به رسول الله ﷺ ، أن يُرجم ، فرُجم ، فسمع رسول الله ﷺ رجلين من الأنصار يقول أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا الذى ستر الله عليه ، فلم يدَع نفسه حتى رُجم رَجْم الكلب** » .

قال الراوى : «**فسكت رسول الله ﷺ ، ثم سار ساعة فمَرّ بجيفة حمار شائل برجله ، فقال : أين فلان وفلان؟ فقالا نحن ذا يارسول الله ، فقال لهما : كُلا من جيفة هذا الحمار ، فقالا يارسول الله ، غفر الله لك ماتقدَّم من ذنبك وما تأخر ، من يأكل من هذا ؟**

---

(١) النور : ٦٣ .

فقال رسول الله ﷺ : ما نلتما من عِرض هذا الرجل آنفا أشدّ من أكْل هذه الجيفة ، فو الذى نفسى بيده إنه الآن فى أنهار الجنة» !

يقول الله تعالى فيمن يختلقون المعايب ويرمون بها الناس : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1]

وأشعر أحيانا أن الغيبة قد تكون أنكى من البهتان ، فإن المفترى يمكن كشف كذبه وجرُّه إلى القضاء ليَلْقَى عقابه ، أما الذى يعيب شخصا أوقوما بسيئة هى فيهم ليُسقط مكانتهم ، فهذا هو الذى يُخاف شرّه ، ويُتّقَى ضَرّه .

والمطلوب من أهل الإيمان أن يستروا الزّلل لا أن يُشيعوه وأن يعينوا العاثر ليقوم ، بَدَلَ أن يزيدوا هاوِيته عمقا لتبتلعه . . ! !

* * *

(١) الأحزاب : ٥٨ .

فرقة.. تفتك بالجماهير

أمراض المسلمين على اختلاف أقطارهم متشابهة ، قد تفلح المسكنات فى علاجها هنا ، على حين تتحول فى أقطار أخرى إلى أوبئة جائحة . .

ولم أر فى القارة الهندية علة غير معروفة لدينا ، لكن هذه العلل هناك استفحل شرها ، وطالت آثارها ، وتوطنت جراثيمها ، فالمسلمون منقسمون إلى سنة وشيعة ، والشيعة ألوان! فهناك الإمامية الاثنا عشرية وهم ينتظرون الإمام الغائب ليملأ الدنيا عدلا بعدما ملئت جورا .

وهناك الشيعة البهرة الذين يصلون ويسلمون على المعز لدين الله ، والحاكم بأمر الله . . وهناك الاسماعيلية الباطنية الذين يرون أغاخان ممرا لتيار إلهى يجعل جسده يوزن بالنفائس ! !

أما أهل السنة فالانقسامات بينهم لا تقل خطورة . .

السلفيون يكرهون المتصوفة ، ويعلنون عليهم حربا شعواء ، وهم مع أهل الحديث يكرهون أتباع المذاهب الأخرى ، ويرون الاستنباط المباشر من السنن ، وهناك حرب أخرى بينهم وبين الأشاعرة .

والأحناف مع جمهرة المسلمين الأعاجم يلتفّون حول مذهب أبى حنيفة ، ويؤثرونه على غيره .

ويوجد رجال الدعوة المشتغلون بالتبليغ ، ويوجد إصلاحيون يقومون بنشاط عام يشبه نشاط الإخوان المسلمين فى الشرق العربى ، ويوجد قوميون ؛ ومنحلون وغوغاء يطلبون العيش على أى نحو .

وهناك فِرَق مرقت عن الإسلام ، وظاهَرَها الاستعمار بقوة لتنال منه ، كالقاديانية والبهائية .

والآفة الجديرة بالتأمل أن كل تلك الفِرق تعيش على هامش الحياة ، وتحيا صريعة الفقر الشديد ، والتخلف الحضارى المحزن . .

وقد رأينا أن العالم المعاصر لم ير حرجا فى إيصال الذرّة إلى الهند ، ففجرت قنبلتها من بضع سنين ، على حين حاصر باكستان ومنعها من اقتفاء أثر الهند ! !

والواقع أن الهنادك يتلقون دعما كبيرا فى كل ميدان ، حتى قيل : ليس فى الهند بقعة لم تزرع ، وإنه - خلال سنين - ستكون الهند أمة صناعية مرموقة ! !

وأرى أن الأوضاع الإسلامية فى الهند تحتاج إلى علاجات من المنبع ، وأن ترْك الفُرقة المذهبية ، والاضطرابات الاجتماعية تفتك بالجماهير ، معناه ضياع الحاضر والمستقبل . .

ويمكن أن يقوم الأزهر بتوضيح العقائد والأركان والأخلاق التى يجتمع المسلمون عليها ، وأن يتناول بحكمة أسباب الفرقة مُهوِّنا من شأنها ، ومنذرا بعواقبها إن بقيت .

وحبذا لو تألفت لجنة للتقريب بين المذاهب السنية أوّلا ، بوصف أهل السنة هم كتلة الإسلام الكبرى ، ثم تقوم هذه اللجنة بجهد آخر فى التقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة .

من النصائح الحسنة : «لا تجعل شمس اليوم تخفى وراء غيوم من المستقبل ينسجها الوهم» والواقع أن غيوما من الماضى تنبعث بين الحين والحين ، فتحجب الرؤية أمام المسلمين المعاصرين . .

فى أول نصر للمسلمين قال الله لهم : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[1]

لما تسلل إلى النفوس تطلع تافه إلى متاع الدنيا . . ثم قيل لهم فى توكيد أسباب النصر :

﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[2]

والواقع أن الخلافات العلمية لن تكون سبب وقيعة بين الشعوب ، إذا صلحت السرائر ، وزكت الضمائر . . والأمر يحتاج إلى يقظة علمية وخلقية ، فإن أعداء الإسلام أحدقوا به ، وتحدثهم نفوسهم بأنهم موشكون على القضاء عليه . .

وبقاؤنا متفرقين هو ذريعة الفتك بنا وبرسالتنا ، فلنسارع إلى جمع الشمل وتوحيد الكلمة ، والإفادة من المدنية الحديثة بالقدر الذى يمحو التأخر الشائع فى كل مكان .

(١) الأنفال : ١ . (٢) الأنفال : ٤٦ .

فتاوى متعسفة

من الآفات التى اعترضتنى فى طريق الدعوة ، أناس عندهم رغبة مجنونة فى الحكم بالتحريم على أى شىء! فلو استطاعوا تحريم الهواء لأصدروا بذلك الفتوى ، ولو ماتوا مع الناس مختنقين !

وهم يتصورون الإسلام رسالة تسكن من العالم الرحب حارة ضيقة لها تقاليدها ولها مراسمها ، فما يصلها بالعالم ممنوع مهما كانت طبيعته ، والمهم بقاء الحارة منطوية على أصحابها وحسب . .

وأصحاب هذا الفكر قد يصلحون بوابين على خرابة ، أما أن يكونوا دعاة لدين عالمى ، يفتح صدره للأعصار والأمصار ، ويتجاوب مع فطرة الله فى الأنفس ، ويتفاهم مع الرجال والنساء فى الشرق والغرب ، فهذا مستحيل . .

رأيت أحدهم ينظر إلى الشارع مكفهر الوجه ، فقلت له مازحا : ما أغضبك ؟

فقال : رءوس الرجال عارية وكذلك وجوه النساء وأيديهن ، والواجب تغطية هذا كله ، قفاز فى يد المرأة ، ونقاب على وجهها ، وقلنسوة أوعمامة على رأس الرجل ، وبذلك يصير المجتمع إسلاميا ، واسترسل يقول : إنه فى الإحرام بالحج والعمرة ، لاغطاء على الرأس ، ولا نقاب على الوجه ، ولا قفاز فى اليد ، فإذا انتهت المناسك تغيرت الأوضاع . .

ولم أر أن أجادل هذا المسكين ، وحِسبته يعبر عن فكر عامى ؛ يلتزمه بعض المتطرفين ، يحسبونه دينا وماهو بدين ، حتى قرأت لعالم كبير فتوى بأن ستر اليد داخل قفاز من تمام الحجاب! وبذلك زاد قيد آخر على حراك المرأة وعلى دائرة المباح الذى كفله الشارع لها . .

وراجعت معلوماتى من كتاب الله وسنة رسوله ؛ فوجدت الكلام رأيا خاصا لصاحبه ، ولا يجوز أن يسمى دينا ولا شبه دين ! !

كانت المرأة تلقى النبى ﷺ ، وفى أصابعها خاتمها ؛ فما ينكر ذلك عليها ، وإنما يتساءل فقط : **هل أخرجت ما عليه من زكاة ؟**

فما معنى زيادة القيود المفتعلة على المرأة وإيهام المؤمنات بأن اليد عورة يجب سترها ؟

هل المقصود زيادة العقبات أمام انتشار الإسلام ؟

أم المقصود جعل المؤمنات يكرهن الإسلام ويضقن به ؟

روى أبو داود وغيره عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ؛ **أن امرأة أتت النبى ﷺ ، ومعها ابنتها ، وفى يد ابنتها أسورتان غليظتان من الذهب ، فقال لها : أتعطين زكاة هذا ؟**

قالت : لا! قال : أيسرُّك أن يسوِّرك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار ؟

فخلعتهما فألقتهما إلى النبى وقالت : هما لله ورسوله» .

وفى رواية ثوبان ، فى قصة هند بنت هبيرة أنه كانت فى يدها خواتيم ضخام ، فجعل رسول الله يضرب يدها . . وتمام القصة يشير إلى رفض رسول الله هذا المظهر الدال على الخيلاء والاستعلاء ، ولم يشر من قريب أوبعيد إلى أن اليد عورة .

والعلماء على أن غضب الرسول كان لعدم إخراج الزكوات على هذه الحلى ، ولو أخرجنها ما غضب منهن ، يدل على ذلك ما رواه جابر بن عبدالله قال : **شهدت العيد مع رسول الله ﷺ ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئا على بلال ، فأمر بتقوى الله ، وحث على طاعته ، ووعظ الناس وذكرهم ، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن ، فقال : تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم !**

فقامت امرأة من وسط النساء سفعاء الخدين - وجهها أحمر فيه سمرة - فقالت لم يارسول الله ؟

قال : لأنكن تكثرن الشكاة ، وتكفرن العشير .

قال جابر : فجعلن يتصدقن من حليهن ، يلقين فى ثوب بلال من أقرطتهن وخواتيمهن » .

والحديث كما ترى ظاهر فى أن وجه المرأة ليس بعورة فقد وصفه الراوى دون حرج ، وفى رواية البخارى : **كنت أرى أيدى النساء تهوى بحليهن فى حجر بلال** ، فاليد ليست عورة . .

إن رسولنا بعث بالحنيفية السمحة ، وقد أنذر بالويل من يأتون من عند أنفسهم بالمشكلات والمتاعب فقال : **هلك المتنطعون** . .

ولو كلفنا النساء المسلمات بلبس القفازين لعجز أكثر من نصفهن عن ذلك ووجدن فى لبسهما العنت . .

وأصارح بأنى كنت ألتمس العذر لبعض الغلاة ، وأقول : مخلصون ينقصهم الفقه فى دينهم ، وعلّ إخلاصهم يغفر جهلهم ، بيد أنى بدأت أشعر بالقلق من أن يكون وراءهم من يتعمد تعسير الإسلام خدمة لمآرب أجنبية ! !

إن الإسلام يلقى محنا خطيرة فى هذا العصر ، وقد استيقنا من أن أصابع غريبة تحيك له الدسائس ، وتتعمد نشر فتاوى متعسفة للمتقعرين والمنحرفين ، حتى تصرف أتباعه عنه وتصد الداخلين فيه ، وهنا الخطر ! !

* * *

وبقى فى الحج كلمة

أتجاوبُ مع العاطفة الصادقة ، فإذا تجاوزتْ منطق العقل أغلقتُ أمامها قلبى ، وأبيت الانسياق معها !

أذكر وأنا طالب أنى كنت شديد الرغبة فى الحج مع إدراكى لعجزى ويقينى أنى غير مكلف به . .

وفتّشت فى نفسي عن السرّ وراء رغبتى الجامحة ، فخيِّل إلىّ أنه الأمل فى دعوة تستجاب هناك ، تفرج كروبى !

وتحرَّكَ عقلى يقول : الذى يستجيب هناك يستجيب هنا . !

إننى أولِّى وجهى شطر الكعبة ، وليس من الضرورى أن أراها ، والكعبة بناء لا يضر ولا ينفع ، وإنما أعبد رب البيت الذى يطعم من جوع ويؤمن من خوف . .

ومرت الأيام أسرع مما أقدِّر ، وزرت البيت العتيق حاجّاً ومعتمرا ، وجاورته سنين عددا ، وكان برُّ الله بى أَرْبَى من أملى القاصر ، وعرفت من أسرار الحج ما لو عرفَتْه أمتنا لصلحت أحوالها الروحية والسياسية . .

الحج هو الركن الخامس فى ديننا ، ووجوبه على المستطيع ، فما معنى الاستطاعة؟ إن العاطفة الجياشة تكلف صاحبها فوق ما يحتمل وقد رأيت ناسا فى مكة المكرمة ينامون فى الطرق ، ويعيشون على الطوى ، ويتعرضون لمحنة بعد أخرى لقلة النفقة وقسوة الغلاء ، فهل تتحقق الاستطاعة مع هذا الشظف والحرمان ؟

إذا لم يكن للمرء بيت يؤويه ، ويتطهر فيه ، ويخرج منه إلى المشاعر مصون المروءة والكرامة فلا استطاعة هنا ،ولا تكليف بحج . .!!

إننى أحب أن ترتفع العبادات بنا لا أن نهبط نحن بالعبادات ، وأمتنا تتحمس للشكل ، وقلما تكترث بالموضوع ، وذاك من أسرار تخلُّفنا ، وقد بذلنا أوقاتا وجهودا فى تصحيح المراسم ، ولم نبذل عُشر ذلك فى تصحيح الفكر ، وضبط العلاقات الاجتماعية بين الناس . .

ومن هنا فنحن فى أى زحام تسودنا عقلية القطيع ، ولا يسودنا نظام الصفّ ، وإحكامُ الخَطْوِ ، وملاحظة الغير . .

القطيع عندما يندفع بالأثرة وحب النجاة ومزاحمة الآخرين والمضىّ مع الرغبة الجامحة ولو على أشلاء الضعاف ، أما نظام الصف فهو محكوم بالعقل والأناة والإحساس بالآخرين ، والتصرف بروح الفريق ، ومسئولية الكلّ عن الفرد ، والفرد عن الكلّ . .!!

ويؤسفنى أن أصارح بأن التربية الشائعة فى أمتنا ، لا تكترث بتنظيم الصفوف ، ولفت كل امرىء إلى من معه ، أو إلى من حوله . .

لقد ساءنى كما ساء غيرى موت جمهور كبير من الحجيج فى أحد الأنفاق وتساءل الكثيرون عن السبب؟ وهو منهم قريبٌ لو أرادوا الحق ، وأخشى أن يكون تجاهلُه سببا لتكرار المأساة !!

إن الجماهير فى العالم الثالث لم تلق التربية الواجبة فى آداب المرور ، وحقوق الطريق ، والرفق بالضعفاء ، ورعاية النظام ، وأخذ الحذر ، وتدبّر العواقب ، ونصح الغافلين . .

وكثير من الدعاة والمعلمين يهتمون بأنواع الجدل فى القضايا الفقهية أكثر مما يهتمون بتكوين الرشد فى مواجهة المآزق والمضايق . .

وقد كدت أهلك فى أحد مواسم الحج للرعونة السائدة بين الناس ، شعرت بأنى لا أتحرك تبع إرادتى ، وأن موجات بشرية تجرنى يمنة ويسرة ، فأدركت خطورة الموقف ، وتسلقت سيارة نقل من الخلف حافلة بالركاب ، لم أستطع دخولها ولا النزول منها ، وأخذ العرق يسيل من وجهى وظهرى ، وكنت أسمع خلال التلبية العالية أصوات الاستغاثة . .

ثم بوغت بموكب آخر من الإفريقيين الأشداء يجرى صوبنا من الناحية الأخرى ، فشممت ريح الموت ، ولولا نجدة مسعفة من أقدار الله تحركت بها السيارة لهلكت !

لماذا تكون المسيرة بهذه الفوضى؟ هذه غرائز العالم الثالث للأسف الشديد ، لا يصلحها إلا تديُّنٌ واعٍ مهيمن . . يجعل عقل الإنسان يغلب طبع الحيوان . .

فروق

فى أيام الصبا كانت عاطفة التدين تنضح على أعمالنا ومسالكنا ، وتهيمن عليها بدءا ونهاية ، وهى عاطفة لم تكن من صنع أيدينا ، بل كانت تجيئنا من أرجاء المجتمع كله ، كأنها الهواء المناسب فى جوه!

نصحو مع الفجر لنبدأ مذاكرة الدروس بعد صلاته ، ولاحظت أننا كنا نطالع الدرس الذى سوف يلقى علينا ، فنقرؤه مستكشفين ، قبل أن نصغى إليه متعلمين ، أى أننا كنا نشارك فى الدراسة قبل أن نجلس للتلقِّى !

ولم يكن هناك قط ما يسمى بالدروس الخاصة ، فالحصص توزع علينا بالتساوى لايتفاوت فى حضورها مُجِدٌ ولا كسول .

وكنا نشعر بمعرَّة الخطأ ، فارتبط الصواب بالكرامة الشخصية ، وحرصنا على النجاح حرصنا على الحياة . .

والفجر بداية اليوم والنشاط ، وعقب العشاء تكون المذاكرة قد انتهت تقريبا لنستجم ونستعد لليوم التالى .

من حسن حظنا أن التلفاز لم يكن اكتشف ، وأن السهر فى الحلال لم يكن مألوفا فكيف بالسهر فى اللغو ؟

لقد نتج عن ذلك إخلاص للعلم ، وتوفُّر عليه استفادت منه أمتنا ، كما استفادت من ارتباط العلم بالخلق والدين ، فكان الجيل السابق أرجح كفة وأفضل مآلا . .

وما شاع بيننا يشبه المألوف فى أغلب الطوائف ، فالفلاحون فى قراهم كانوا يستيقظون مع الفجر ، وربما صحوا قبله للاستغفار والابتهال ، فإذا قضيت الصلاة انطلقوا إلى الحقول متزودين بأيسر الطعام ، ويغلب أن يتناولوا غداءهم فى أثناء العمل الشاق ، وأن يصلوا الظهر والعصر وسط الزراعة ، فإذا اقترب المغرب عادوا إلى بيوتهم ، ليتناولوا العشاء ويستعدوا للنوم . .

لم تكن كهرباء السد العالى قد أمدت البيوت بأجهزة الإذاعة ! ولم تكن المجالات ممهدة للسهر والثرثرة ، كان التبكير بالنوم يتبعه تبكير باليقظة ، وحفاظ على حق الله وحق الحياة . .

ولذلك بورك فى الثمار فجاءت فيضا لا غيض معه ، وأذكر أن شهر أكتوبر بعد جنى القطن ، كان الشهر الذى يوسر فيه المعسر ، ويتزوج الأعزب ، ويكتسى العريان ، ويوفى المدين بما عليه ، ويغنى فيه الفلاحون : « نوَّرت ياقطن الليل . .» .

أما الآن فالليل لا ينيره قطن ولا قمح ، لقد تغيرت الأخلاق ، وفترت الهمم ، فمن الذى يذرأ البركة فى الحقول ؟

إن الشيوعيين كفروا بالله ، وأنكروا وجوده ، فلم يرسل الله عليهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود! وإنما أوحى إلى الأرض أن تُضرب عن الإنتاج العادى! فإذا الروس يشترون بكل مالديهم من ذهب قمحا ليأكلوا ، وانتهى الذهب وبقيت الأرض مضربة ، وسقطت الشيوعية ! !

وأترك الحديث عن الطلاب والفلاحين لأنظر إلى العمال وأصحاب الحرف ، إن مصانع النسيج أيام طلعت حرب كانت تتفوق على مثيلاتها فى البلاد العريقة ، وكانت الطبقات الكادحة تثمر الذهب ! !

ويوجد اليوم من يطلب الحقوق ولا يؤدى الواجبات ، ومن يعيش على التسويف ويحرص على شهواته! ومن يذكر نفسه فى كل وقت ولا يذكر الله إلا قليلا . .

من ستين عاما - عندما كنت طالبا - كان الانجليز يحتلون مصر ، ولكن مراجل الغضب على وجودهم كانت تغلى باستمرار ، وتنفجر بين الحين والحين مقدمة أفواج الشهداء .

كان هناك إحساس عارم بحق الله ، وحق الأمة . .

أما الآن وبعد أن طهر الله البلاد من الغزاة الذين احتلوها فإن الشعور بارد بما يقترفه الغزاة فى أراض أخرى يعيش عليها أشقاؤنا ، ويتطلعون منا إلى عون مسعف . .

إن عاطفة التدين أصيبت فى صميمها ، وحل محلها جدل بارد فى بعض القضايا ، والدين عندما يتحول إلى جدل وتهارش على المظاهر الفارعة فسوف ينتهى حتما ، لأن الدين هو القلب العامر وليس الفم الهادر . .

* * *

تــزوير

كان اليابانيون عقلاء عندما اقتبسوا من الحضارة الغربية جانبها الصناعى ، تاركين ما عداه لأصحابه ، لأن ما لديهم أهدى وأجدى! وكان «محمد على» باشا مؤسس الأسرة المالكة السابقة أعقل وأبصر من حفيده الخديوى «اسماعيل» عندما أرسل بعوثا من الأزهر لتتعلم ما ينقصها من العلوم الحديثة والحرف النافعة ، فكانت هذه البعوث دعامة الدولة التى أقامها فشدّت أزره ودعمت سلطانه !

أما اسماعيل فقد تمنى أن تكون مصر قطعة من أوروبا ، ولكى يحقق أمانيه بنى دار «الأوبرا» وظن أن «التمثيل» يغنى عن الحقيقة ، وأن الفن الناعم والغناء اللاهى يدلاّن على تقدم الشعوب ، فكانا الطريق إلى زوال ملكه وإذلال أمته . .

إن الغزو الثقافى أنكى من الغزو العسكرى لأن الأول يمحق الشخصية ، والآخر يهزم الأجسام !

الأول يسلب التراث والوعى ، ويجعل المهزوم يستحلى قيوده .

أما الثانى فهو جرح متجدد الآلام ، ينادى بالثأر ، ويوم لك ويوم عليك . .!

والاستعمار العالمى اجتهد بعد غلبه المادى أن يتحول إلى استعمار ثقافى كى يمحو خصمه ويطمس وجوده .!

قرأت مقالا فى هذا الموضوع للواء «أحمد عبدالوهاب» كشف فيه كيف أن بعض حملة الأقلام عندنا خدم المستعمرين بأكثر مما يخدمون أنفسهم ، وهاجم عقائدنا وتقاليدنا واستمات فى تجريحها وتشويهها!! يقول «سلامة موسى» فى كتابه «اليوم والغد» « . .أريد من التعليم أن يكون أوروبيا لا سلطان للدين عليه ، وأن يتولى تعليم اللغة العربية رجال متمدينون يفهمون على الأقل نظرية التطور ، ولا يعتقدون أن العربية أوسع اللغات ، وأريد أدبا مصريا أبطاله فتيان مصر لا رجال الدولة العباسية ولا رجال الفتوحات العربية .

أما الثقافة الشرقية ، والتوكل على الآلهة فلا مكان له الآن . . إلخ . »

وذهب «سلامة موسى» وجاء بعده «لويس عوض» الذى اجتهد فى إبعاد الشباب عن الدين ، والذى يقول عن نفسه على طريقة «إياك أعنى واسمعى ياجارة» : «بعد حصولى على الثانوية توقفت عن الصيام ، وكنا فى بيتنا لا نتكلم أبدا فى موضوع الصوم والصلاة بل كنا نعدها قلّة أدب أوقلة ذوق أن يسأل أحد الآخر : هل أنت تصوم أوهل أنت تصلى ؟؟ » ، وذهب «لويس عوض» بعد تاريخ حافل فى كلية الآداب ، كما ذهب من قبله «سلامة موسى» بعد كفاح طويل فى نشر الإلحاد والفوضى ، وخلفتْ من بعدهما خلوف تسير فى نفس المنهاج وتستقى من الينبوع ذاته ، ولكنها كانت أكثر دهاء وأوسع مكرا وتعلمت من الهزائم والانتصارات أن تدور حول أغراضها ، وأن تخْتل القارىء الساذج بما تختلق من موضوعات عامة وقضايا مائعة ، والمهم أن تبعد العروبة عن الإسلام ، وأن تبتعد بالتربية عن العقيدة ، وأن تبتعد بالأدب عن القيم النبيلة ، والروابط التقليدية بالعرف ، والتراث . .

إننا نحن المسلمين فى فترة يقظة لاستعادة ما فقدنا ، وحراسة مستقبلنا حتى لانتعرض لما تعرض له آباؤنا من فتن وهجمات ، والغرب اليوم فى مرحلة ترف ورفاهية لم تفقده بعد قواه! وما يستمرئه من لذات نجسة لا يؤثر فيه كثيرا ، ولكنه يقتلنا إن قلدناه ويجرّنا إلى هاوية تذهب بالقليل الذى ربحناه . .

والأقلام التى ترنو بإعجاب يجب كسرها قال اللواء «أحمد عبدالوهاب» : إن الغرب يطالعنا كل يوم بقيم جديدة يصل الفحش فى أغلبها إلى حد يفوق كل تصور ! من أمثلة ذلك ما نشرته المجلة الفرنسية «ليڤن مانت» فى ٩١/٧/١٨ فى تحقيق صحفى عن «الخيانة الزوجية» قدمت له بكلمة على الغلاف جاء فيها :

لم تعد الخيانة الزوجية اليوم كما كانت من قبل إن الخيانة الزوجية رباط يشد الزوجين ! !

نقول : ما هذا العقد الذى تشدُّه الخيانة وتقوِّيه . . ! !

أما سلامة موسى فيقول : كانت المرأة الفرنسية أعظم ما حرك وجدانى : أريد حرية المرأة كما يفهمها الأوروبى ! !

ولا تزال المدرسة التى أنشأها «سلامة موسى» و«لويس عوض» وينتمى إليها صحافيون كثير ، لا تزال تقود الغزو الثقافى ، وتزين أرجاسه للمخدوعين . .

حسبنا الله

ترددت طويلا قبل أن أكتب هذه الكلمة ، ولكن مصادرة كتابى «كيف نتعامل مع القرآن» الذى صدر أخيرا أملت علىّ أن أحسم الموقف . .

إننى أحب المملكة العربية السعودية لأن علمها يحمل شعار التوحيد! ولأن ملكها يخدم الحرمين الشريفين ! ولأن تراثها شهد السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وهم يخرجون من ديارهم لإخراج العالم من الظلمات إلى النور . .

وشىء آخر ينبغى أن أذكره ، لقد آوتنى المملكة عندما تنكر لى السادات ؛ واضطرنى أن أترك وطنى مهزوما مظلوما ، إننى وجدت أذرعا مفتوحة ، وصدورا مشروحة ، واشتغلت بالتعليم مع نفر من أنبل العلماء وأذكاهم ، وأديت واجبى على نحو أرضيت به ربى وأرحت ضميرى ! !

بيد أننى لاحظت ما رابنى وأعيانى! هناك شيوخ على عقولهم أغلاق ، وفى قلوبهم قسوة ؛ يتعصبون للقليل الذى يعرفون ، ويتنكرون للكثير الذى يجهلون ، قلت : لعل الزمن يفتح أغلاقهم ويلين قلوبهم . . ويظهر أنى كنت متفائلا أبعد من الواقع . . إنهم لا يعطون الرأى الآخر أى حرمة ! !

أذكر أن نبينا عليه الصلاة والسلام قال بعد انفضاض الأحزاب من حول المدينة : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلينّ العصر إلا فى بنى قريظة»** وصدع الصحابة بالأمر ، ولكنهم بعد مراحل من الطريق اختلفوا ، قال بعضهم : **«ما نضيع وقت العصر ، وما أراد بكلمته إلا استعجالنا وقهر كل عائق عن المسير ، ويجب أن نصلى قبل دخول المغرب ، وصلّوا فى الطريق ، وأنفذ الآخرون الأمر على ظاهره ، وصلّوا فى بنى قريظة»** . .

قلت : لو كان هؤلاء الحنابلة المتشددون حاضرين لقالوا لمن استعجل الصلاة : ياعدو الله ورسوله تعصى النبى وترفض عزيمته علينا! إن هذا نفاق!! كيف نصلى فى الطريق وقد أمرنا بالصلاة فى بنى قريظة ؟

ولكن المجتمع الأول كان أنقى وأطهر ، صاحب الرأى ذكر ما عنده دون محاذرة أوخشية ، فالحرية فطرة ، وذكر ما عنده على أنه وجهة نظر إسلامية ، ما يمكن قطعها عن نسبها الدينى . .

وبلغ الأمر الرسول الكريم ، فلم يُلق إليه بالا ، وجمع أصحابه كلهم فى جبهة واحدة ضد اليهود ، وأحرزوا النصر . .

على هامش العقيدة ، وفى فقه الفروع تبدو وجهات نظر شتى ، يستطيع كل ذى رأى أن يذكر ما عنده مقرونا بدليله ، ومع تلاقى العقول ، وتلاقح الحوار ، يظهر خير كثير . .

أمـا أن يزعم بعض الحنابلة أن الرأى رأيهم ، وأنه وحـده هو الدين الحق ، وأنهم المتحدثون الرسميون عن الله ورسوله ؛ فهذا غرور وطيش ! !

وقد خرج هؤلاء من أرضهم وانساحوا فى العالم الإسلامى ، فكانوا بلاء يوشك أن يقضى على الصحوة الإسلامية الناجحة ؛ وكانوا بفقههم المحدود وراء تكوين فرق التكفير والهجرة ، وجماعات الجهاد والإنقاذ ، فإذا الصف الواحد ينشق أنصافا وأعشارا ، هذا يقاتل من أجل النقاب والجلباب القصير ، وهذا يقاتل من أجل أن تكون وظيفة المرأة محصورة فى الولادة ! ! وهذا يقاتل لمحو المذاهب الفقهية ، وهذا يعلن حربا على الأشاعرة ، وهذا وهذا . . فماذا كانت العاقبة؟ انهدام البناء وشماتة الأعداء . .

إن لى فوق الخمسين كتابا أخدم بها الإسلام ، ومصادرة كتابى «كيف نتعامل مع القرآن» عمل طائش يكتب لأصحابه فى صحائف السيئات . .

إن مسالك هؤلاء الشيوخ أساءت إلى المملكة فى حرب الخليج ، وجعلت التيار الإسلامى يضل الطريق ، وما ينتظر من بلائهم أعظم ، وحسبنا الله . .

* * *

هل نرفض العوج؟!

أصحيح أن البشرية ترث لعنة الخطيئة التى ارتكبها آدم ، وأن هذه اللعنة تنتقل خلال الأجيال المتلاحقة لاينجو من جريرتها إنسان؟ قلت : ياصاحبى ، هذا باطل ، خطأ آدم وقع منه وحوسب عليه ولا صلة لنا به! ونحن مسئولون عما جنته أيدينا وحسب ! إن الذين يحسبون الدنيا سجنا نرسف فى أغلاله جرّاء ما فعل أبونا الأول قوم ظلمة ، وقد سوَّدوا وجه الحياة بهذا التصوّر الجائر ، ولعلهم المسئولون عن صرخة أبى العلاء التى يقول فيها : «**هذا جناه أبى علىّ وما جنيت على أحد . .!!**» .

قال : الوراثة حق ، فماذا ورثنا عن آدم؟

قلت : ورثنا جسده وروحه وذكره ونسيانه وضعفه وقوته وخطأه وتوبته !

ورثنا ميله إلى الأرض وشوقه إلى السماء ، لماذا الحديث عن خطأ «آدم» وحده ؟ إن هذا الخطأ زال منذ وقف «آدم» وزوجه فى ساحة الله ضارعين : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] .

وقد هبطا معا مغفورًا لهما ، فمن زعم غير ذلك فهو كاذب قال : إن نفرا من الناس يقولون : ما غفر خطأ آدم إلا دم المسيح ، ويشيرون إلى قول شوقى أمير الشعراء :

يا حامل الآلام عن هذا الورى ... كثرت عليه باسمك الآلام . .! !

قلت : القانون السرمدى عند الله ، وفى سائر الرسالات :

﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾[2] .

وشوقى فى بيته الذى ذكرت إنما يسخر من مسالك قوم عيسى الذين تضاعف حيفهم وكثرت دعاواهم . .

(١) الأعراف : ٢٣ .
(٢) النجم : ٣٨ ، ٣٩ .

المواريث التى تسرى فى دماء البشر كلهم ، هى مواريث الفطرة التى تتجاوب مع الحق ، وتعرف أن العالم لم ينشأ من الصفر ، وأنه لابد للمخلوق من خالق ، وللنظام البديع من منسّق بديع ، وللإدارة المحكمة من مدبِّر يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . . إن الفطرة المؤمنة هى الميراث المشترك بين أهل الأرض أجمعين وليست هذه اللعنة التى يهرف بها القاصرون . .

على أن الفطرة تحتاج إلى حماية حتى تبلغ تمامها فالأصل أن الأجنة تخرج من بطونها سويَّة ، وأن الثمرات تخرج من أكمامها شهيَّة لكن بعد أن نحتاط من الآفات والحشرات التى تعدو عليها ، وتصيبها بشتى العاهات ، والناس يولدون بفكر مستقيم يتجه إلى الله الواحد كما يتجه السيل إلى منحدره ، ويشعر بأن الفساد قبيح فهو ينأى عنه ويحس معرَّته .

بيد أن التقاليد المعوجة والعرف السيىء تلوى زمام النشء ، وتسيِّرْه فى طريق آخر ، وما أكثر ما تغلب البيئة الرديئة الوراثات الحسنة ، وذلك ما أشار إليه الحديث المشهور **«كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أوينصِّرانه أويمجِّسانه» ! !**

فليست الوراثة ضربة لازب - وإن كانت عناصرها قائمة - فإن مغالبة شديدة تقع بين البيئة والوراثة تنتهى غالبا بانتصار التقاليد المعوجَّة والأعراف الضارَّة ، وهذا يكشف عن ضرورة التربية الصحيحة ، ويبرز العمل الحقيقى للدعاة والمربين ، إنهم يكافحون أخطارا شديدة ، ولكن لهم فى جهادهم ظهيران سلامة الفطرة وشرف الطبيعة الأولى والحق أن الإسلام وهو يخوض معركة الحياة له فى كل ضمير مهاد يحسن استقباله ، والمهم أن نقدم نحن إلى الناس « فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا »[1] .

فقد حدثنا القرآن الكريم عن مواثيق الفطرة المأخوذة على الإنسان منذ نشأته الأولى ، هى مواثيق تغرس عقيدة التوحيد ، وتقاوم دواعى الشرك ، وتربط الإنسان بربّه أبدا . .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[2] .

(١) الروم : ٣٠ .

(٢) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣ .

وظاهر فى ميزان العدل الإلهى أن هذا الموثق من القوة بحيث ينبغى أن يغلب ما عداه! وأنه لا يقبل معه اعتذار بجهل أوغفلة ، كما لايقبل منه التعلّل بوطأة التقاليد الموروثة وشدة آثارها !

وعدد كبير من المفسرين يرى الآيات من قبيل الاستعارة التمثيلية كما جاء فى سورة أخرى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[1] .

ولا حوار هنالك بل النظم الكريم تمثيل لخضوع العالم أجمع لربه الكبير! كذلك النداء المنبعث من كل فطرة يهيب بالمرء أن يوحِّد الله ويكفر بما عداه ، إنه نداء من الأعماق البشرية وباعث حثيث على الارتباط بالله وحده !

وقال بعض المفسرين : إنه ميثاقٌ أُخِذَ فى عالم الذرّ!! فى طور سابق من أطوار وجودنا !! ولا أدرى ما الذى نقل ذهنى إلى عالم «الجينات» أى المُوَرِّثاتِ القائمة فى كياننا؟ إننى فى هذا المجال عابر سبيل ، كل ما عرفته أن هذه «الجينات» تكتنف الخلايا الحية فى أجسامنا ، وأن لكل «جينة» حَبْلَين حلزونين يكتنفانها ، وأن هذه الحبال لو اتصل بعضها ببعض لكونت حبلا مسافته طول المسافة بين الأرض والقمر عدة مرات . قلت : أهذه الكائنات الذرِّية فى أجسامنا الصغيرة ؟ ما أصدق الشاعر الذى قال للإنسان :

وتزعم أنك خلق صغير وفيك انطوى العالم الأكبر ! !

إن هذه المُوَرِّثات هى التى تشكِّل الإنسان بأمر ربها ! « الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ »[2] .

ويوجد الآن علم هندسة «الجينات» للتدخل فى وظائف بعض الأجهزة وتعديل اتجاهها !

على أية حال من الخير لى أن أدع هذا البحث الذى لا أحسن القوْم فيه لأقول : نحن نولد على فطرة سوية ويجب أن نحافظ على سلامتها ، وأن الزعم بأننا نولد

---

(١) فصلت : ١١ .
(٢) طه : ٥٠ .

حاملين لعنة الخطيئة الأولى زعم مفترى! ذلك ولا نستطيع تجاهل العوائق التى تعترض مجرى الفطرة ، وتصدٌّ عن سبيل الله وقد عالجها الإسلام بقبول كل توبة عن كل خطأ ، والحفاوة بالنيات الحسنة ومضاعفة أجورها عندما تنمو مئات الأضعاف ، وفى الحديث القدسىّ يقول الله عز وجل : «**إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة ، وإن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها اكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة**» وحسبنا هذه الآية المفعمة بالرجاء :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[1]

فلنعتصم بدين الفطرة ، ولنرفض العوج الذى تقدِّمه أديان أخرى . .

* * *

(١) الزمر : : ٥٣ .

مذكرة للتاريخ

يزيد المسلمون فى شبه القارة الهندية على ثلث السكان ، أى أن أعدادهم تناهز ٣٥٠ مليونا من الأنفس! وكان من السهل أن يستمتعوا بحقوق «أقلية» كبيرة ، ويبقون داخل هند موحدة ؛ لو أنهم أنِسوا إلى معاملة منصفة ؛ ومواطنة شريفة . .

الذى حدث أن الاستعمار الإنجليزى الصليبى شحن القلوب ضدهم بالبغضاء ، وأفهم «الهنادك» أن المسلمين غرباء ، وفدوا على البلاد غزاة لنشر دينهم ، وأن معاملتهم ينبغى أن تنبع من هذا الإحساس . .

وقد كان المسلمون هم الحكام الطبيعيين للهند ، ومكثت السلطة فى أيديهم عدة قرون . . حتى قدم الإنجليز تجارا أول الأمر ، ثم استطاعوا تكوين امبراطوريتهم فى الهند بأقل الخسائر وأتفه الجهود . .

كانوا يضربون هذا بذاك ، ثم يرثون الجميع ، ولا أعرف مُلْكا عريضا تكوَّن بأرخص من هذا الثمن . .

وخضع المسلمون والوثنيون جميعا لانجلترا ، ولكن انجلترا شجعت الوطنية الهندوكية ، ونفخت فى نيرانها ، فانشغل المسلمون بالدفاع عن كيانهم المبعثر على مساحات شاسعة . .

فلما انتشرت روح الاستقلال فى العالم ، وبدأت مقاومة الاحتلال الأجنبى ، ونبتت روح الاستقلال بين الهنود جميعا ، كان عدد كبير من المسلمين يشعر بأن البقاء فى الهند عسير ، وأن الأفضل تقسيم البلاد بين المسلمين ـ وهم مئات الملايين ـ وبين الهنادك الذين يزيدون عليهم عددا . .

وظاهر أن الفكرة أملى بها اليأس من الحياة المعقولة فى وطن مشترك ، وأكاد ألمس أن الإنجليز من وراء هذه الأحوال النفسية التعيسة ، فإن عداوتهم للإسلام أغرت الوثنيين بإنكار حق الحياة لأمة التوحيد ، والوثنى إذا غضب فعل المآسى ، ولم يتحرج من إهلاك الحرث والنسل . .

ولو كانت الظروف عادية لبقى المسلمون فى الهند المستقلة الموحدة قلة تربو على الثلث ، وتنال أنصبتها وفق هذه النسبة فى كل شىء ! !

وعلى أية حال فإن مسلمى الهند الكبرى أحاطت بهم أحوال عصيبة عالمية ومحلية ، دينية وشخصية ، انتهت بتقسيم القارة الكبيرة إلى هند وباكستان . .

ويلاحظ أن هذا التقسيم لم يتم حسب الخطة المرسومة ، وأنه تم وسط برك من الدماء ، قتل خلالها نحو نصف مليون مسلم ، وأن النتائج المرجوة منه لم تحقق للمسلمين مكاسب ذات بال ، بل ربما عادت على كثير منهم بالوبال . .

ونشأت الباكستان التى انسلخت عنها فيما بعد البنغال . .! وبقى داخل الهند نفسها قلة مسلمة ، تبلغ نحو مائة وثلاثين مليونا من السكان ، بعضهم فى ولايات منفصلة خاضعة للهند ، لم يسمح لها بالانضمام إلى باكستان ؛ مع رغبتها فى ذلك كجامو وكشمير ، وبعضهم يملأ مدنا وقرى تعتبر جزرا وسط جماهير من الهنادك ، وبعضهم أفراد وطوائف يعيشون معزولين حيث تيسر لهم البقاء المعنت . .

وإسلام هؤلاء فردىّ خاص ، فإن التعليم فى الهند إما علمانى بحت ، وإما هندوكى متعصب ، وربما وجد المسلمون المنكوبون متنفسا لهم فى الجو العلمانى ، فإن العلمانية هناك قد تعطى حق الحياة للمؤمن والكافر . .

وقد رحب المسلمون . . بحكم حزب المؤتمر ، لأنه لايجور على عقائدنا الدينية ، بيد أن هذا الحزب فقد هيمنته على الأمور ، وفقد الكثرة الشعبية التى كانت توصله للحكم ، وظهرت فى الحياة العامة الوطنية الهندوكية الجانحة إلى اليمين- كما يقولون - .

وهذه ترى الإسلام عدوا تقليديا ، ولا ترعى لأمته إلاً ولا ذمة . .

ولا حرج عندها من هدم مسجد بقى مرتفع المآذن خمسة قرون ؛ لأن هناك شائعة بأنه بُنى على أنقاض معبد هندوكى لأحد الآلهة . .

والواقع أن مستقبل المسلمين داخل الهند غامض ، وهم قلة مستضعفة ، مع أنهم أكبر من عشر دول عربية مجتمعة!!

وموقف العالم منهم صفر . . ولا تتمثل المشكلة فى هذا الموقف الجائر . . إذ المشكلة تبدأ من موقف المسلمين من دينهم ، والأحوال الحضارية والأخلاقية التى تنتشر بينهم . . وهذا ما نريد إلقاء نظرة واعية عليه . .

الزبالون والاستهداف الأجنبى

أسماء الشيوخ الذين تلقينا العلم عنهم ، وأسماء أسر كبيرة لها وضع مهيب فى المجتمع كثيرا ما تنتهى بالحِرَف التى اشتهرت بها وعاشت منها ، فيقال الشيخ اللبان ، والفحام ، والسمان ؛ والدباغ ؛ والعقاد . . إلخ .

وهذه الألقاب لها طابع دينى ومدنى معا! فقد شاع بين المسلمين من سنن النبوة ؛ أن أفضل الارتزاق ما كان من عمل اليد ، وأن طلب الحلال واجب على كل مسلم ، وأن الله يحب المسلم المحترف . .

وسئل رسول الله : **أى الكسب أفضل؟ قال : «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور . .»** .

إلا أن المسلمين نكبوا بطوائف من البطالين ترفض هذا النهج ، وتحتقر عمل اليد ، فالفلاحة مثلا مهنة رديئة ، مع أنها كانت حرفة الأنصار رضى الله عنهم! ومن أمثال البدو فى الأرياف ، عندما تُخطب ابنة أحدهم : **«يأكلها التمساح ولا يأخذها فلاح»** ، وازدراء الفلاحة سفه وخراب معا . .

وقد قسم الفارغون الحرف فحسّنوا بعضها واستهجنوا بعضا آخر ، وأقاموا تقاليد اجتماعية شديدة على أساس هذا التقسيم ، وكان فيما نقرؤه أن كلمة آل من دلالات الشرف ، فلا يقال : آل الإسكاف ، أو آل الحجام . .

ومن طبائع البشر أن يصموا غيرهم بلا جريرة ، وأن يرفعوا من شاءوا بغير منقبة !! وهل الافتخار بالأنساب والأوطان والألوان إلا من هذا القبيل المكذوب ؟

ونحن نخاصم هذه النزعة الجائرة ، وننظر إلى أبناء آدم على أنهم سواء ، يهبط من يهبط بكسله وخموله ، ويعلو من يعلو بجده واجتهاده ، وقد تكون الجنة من نصيب امرىء خامل فى الدنيا متفوق - بخلقه - عند الله ، وقد يكون العذاب حظ عالٍ فى الأرض ، كبير المنصب ، مظلم النفس ، قريب الشر . .

والمجتمعات التى تأبى هذا الميزان ستدفع ثمن خطئها ، وقد نظرت مليا فى قضايا الزبالين والكناسين عندنا ، إن عملهم ضرورى فى كل مجتمع ، فما معنى احتقارهم حتى يجىء المبشرون للحنوّ عليهم؟ إنهم جاءوا فجعلوا من الحبة قبة ، وتدخلت مؤسسات دولية لترجيح كفتهم ؛ وإبداء العطف عليهم . .

قرأت كما قرأ غيرى فى جريدة الجمهورية ٩١/٨/١٥ أن المساعدات الأجنبية التى تمنح للزبالين فى مصر تستوقف الانتباه : جمعية لحماية البيئة من التلوث تمّ تأسيسها وسط زرائب الزبالين بتمويل ٣٠٠ ألف دولار من السوق الأوروبية المشتركة ! !

قرية نموذجية للزبالين بالمعادى على مساحة ٣٠ فدانا بتمويل من السوق الأوروبية وصندوق التعاون الفرنسى!! قرية نموذجية للزبالين بالمقطم تكلفتها ٤٠ مليون دولار تمولها اليابان ! !

راهبات وأجانب يقيمون مع الزبالين بصورة دائمة لتقديم الرعاية الاجتماعية والصحية لهم ! !

لماذا الزبالون بالذات ؟ هل هو نوع من التغلغل الأجنبى المنظم قصد أن يكون مصوَّبا نحو النخاع؟ هل هناك خطر ما ينتشر بشكل سرطانى فى هذا الجزء من جسم المجتمع دون أن ندرى ؟

ذهبنا لجمعية الزبالين : مبنى خرسانى من طابق واحد . . طرقنا الباب ودخلنا . لم نجد سوى الساعى ، فمجلس إدارة الجمعية بأكمله فى إحدى الكنائس!! انتظرنا طويلا حتى جاءنا «وجيه أنور» محامى وسكرتير عام الجمعية!! سألته : لماذا الزبالون بالذات هم محور المساعدات الأجنبية؟ قال : لأنهم مساكين وأوضاعهم فى الحضيض . .

وينبه الدكتور المجذوب إلى نقطة هامة ، فأجهزة المخابرات فى العالم تعتمد فى عملها اليوم بشكل أساسى على الزبالة والزبالين ، إذْ تعتمد على مخلفات المكاتب والأوراق المهملة . وعندنا - والحمد لله - تلقى الوزارات بالتقارير الهامة وهى سليمة !

وهناك سبب آخر للتركيز على الزبالين بالذات وتقديم تلك الخدمات إليهم - كما يقول الدكتور المجذوب - فالزبال يذهب إلى العمارات والبيوت ، ويعرف كل صغيرة وكبيرة عنها من خلال نوعية الزبالة ، والزبال فى عمارتى مثلا يعرف بالضبط أين أعمل ، والجامعات والأكاديمية التى أعمل أستاذا غير متفرغ بها . .

والمساعدات الأجنبية على هذا النحو يفسرها الدكتور المجذوب بأنها مخطط . . فما الذى يهم السوق الأوروبية من الزبالين المصريين ، ولديهم فى أوروبا المناطق المتخلفة التى تحتاج إلى مساعداتهم . . فهناك الآلاف فى لندن ينامون على الرصيف ويعانون البطالة . . وفى بروكلين بالولايات المتحدة أيضا ؟ ؟

هل عرفنا ما يراد بنا ؟ وهل نصحو ؟

نصر أبو زيد

أحترم الحقيقة المجردة ، وأرفض ما يعرض لها من زيادة أونقصان ، ومن فضل الله علينا أن الإسلام دين مضبوط الكمّ والكيف لا يتحمل إضافة من بشر بعدما أكمله الله ، كما أنه يتأبّى على النقصان والتشويه فهو محفوظ المقادير والسِّمات ، وكتابه آية خالدة فى الضبط والصدق « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه »[1]

ونحن مكلفون بالاتباع الدقيق ، لا إفراط ولا تفريط :

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ »[2] .

ومن ثم حاربنا الغلو والتطرف معتقدين أن الوحى يفقد من الأثر والوجاهة بقدر ماينضاف إليه من البدع والأهواء !

أى أننا لحساب الإسلام نحارب التطرف ، واحتراما لحقائق الوحى نكره الأباطيل . . ! !

وقد شعرنا بأن عصابة من صرعى الغزو الثقافى انتهزت فرصة الفوضى الفكرية السائدة وتقدمت بشىء من إنتاجها الإلحادى تحسب أنه يمرّ فى أثناء الحملة على التطرف ! !

ونحن نؤكد أن بغضنا للمرتدين هو هو بغضنا للمنحرفين ، وقد يكون أشدّ . .

وأننا فى دفاعنا عن الإسلام نقاوم الجاحدين له والجاهلين به على سواء ، وقد أدى صديقنا الدكتور عبدالصبور شاهين واجبه على خير وجه حين اعترض طريق الدكتور نصر حامد وجماعته التى تريد تحت ستار العلم الترويج لأقبح صور الإلحاد .

---

(١) الأنعام : ١١٥ .

(٢) المائدة : ٧٧ .

يقول صديقنا الدكتور مصطفى محمود : «الخلاصة المفيدة لإنتاج الدكتور حامد أنه ينعى على الخطاب الدينى ، أو يعيب عليه أنه يرد كل شىء فى العالم إلى الله ومشيئته! وهذا الردّ ينفى الإنسان وينفى القوانين الطبيعية والاجتماعية . .»

ثم يقول بعد دفاع حار عن الماركسية « إن الله تجلى فى القرآن كما تجلى من قبل فى المسيح . . ولكن منذ نزل القرآن فى كلمات عربية ، أصبح بشريا يجوز الطعن فيه ، وتجوز مناقشته ، ويجوز فيه ما يجوز على الكلام البشرى من خطأ وصواب » ! ! ! . هـ .

* * *

أقول : لا جديد فى كلام الملاحدة الذين زاد لغطهم فى هذه الأيام العجاف ، إنه الهراء القديم وضع فى ورقة مفضضة ، وأُعطِىَ عنوانا براقا ثم دفع به فى زحام المعركة بيننا وبين الغلاة كى يمرّ !!

ومن السهل على أى ملحد كذوب أن يقول : إنه يحارب التطرف فافسحوا الطريق!!

ونحن نعلم أن سلمان رشدى مثلا يحارب التطرف ، ولكنه يحاربه بأفكار أقذر من الأفكار التى يروجها المتطرفون أنفسهم ، وأن المنهج الراشد الذى سلكه أولو الألباب شىء بعيد عن هؤلاء وأولئك .

إن الاستعمار العالمى نجح فى تكوين فئات من الناس خربة الباطن مظلمة الروح حاقدة على الله ورسوله ، أو على الكتاب والسنة ، أو على العقيدة والشريعة جميعا ، ومهما كثر الأعداء ، وهاجمونا من جهات عدة فلا يجوز أن ننسى هؤلاء أونتهاون معهم فإنهم خونة مخاتلون لا إيمان لهم ولا أمان .

* * *

عجباً

لم يضع الاستعمار أوقاته سدى عندما وطئت أقدامه دار الإسلام ، لقد شرع لفوره يغيّر التشريع والتعليم والتربية والتقاليد ليصنع جوّا يلائمه ومستقبلا يطمئن إليه .

وها قد نضجت الأشواك التى بذرها ، ورأينا ناسا يفكرون بعقله ويضربون بيده ويحاولون تغيير الأخلاق والعقائد وفق مشيئته . .

والناظر عن قرب أو بعد يرى المثقفين قسمين ، قسما لم يتغير للإسلام ولاؤه ولا انتماؤه وقسما آخر يعالن بكراهيته لشرائع الدين وشعائره ، ورغبته فى إسقاط ما بقى من رايات الإسلام فى بلاده!! ، كانوا قديما شيوعيين ، ثم صاروا علمانيين . . وتتغير الشارات التى يَبْدون فيها وتبقى ضغائنهم على الإسلام وأمته ثابتة لا تزيدها الأيام إلا ضراوة وغلوّا . وهم مع ضيقهم بالإسلام ومعالمه حراص على البقاء فى دائرته ! لماذا ؟ حتى يؤدوا وظائفهم فى تخريبه من الداخل ، إن دودة «البلهارسيا» تريد أن تبقى داخل الجسم لتعوق نموّه ، وتنمِّى علله وتجرّه إلى الموت جراً ، ولذلك رأينا هؤلاء المرتدين عن الإسلام يرفضون المعالنة بتركه ويحرصون على البقاء فيه!! لكنهم فى الوقت نفسه لايقيمون صلاة ولا يؤتون زكاة ، ولايُقرّون لله بسمع أوطاعة! إنهم يعرفون إسلاما بلا نصوص ولا أركان ، ويحاربون كل دعوة إلى الاحتكام إليه أوإحياء ما أمات الاستعمار من أمره . .!!

واليوم وقد سقطت الشيوعية فى كل أماكنها نجدهم يملكون أزمّة التوجيه ويفرضون إلحادهم صراحة أو التواء ويحاربون رموز الإسلام بكل ما لديهم من طاقة !

لقد بلغتْ الأمور مرحلة لا تتحمل هذا النفاق ، ونحن نأبى كل الإباء أن يضرب الإسلام بأيد إسلامية ، ولا مكان بعد اليوم للبس أونفاق ، إما أن تكونوا أيها الناس مع الإسلام باطنًا وظاهرا ، وإما أن تتركوه علانية وتكشفوا كفركم به! ويعجبنى قول المثقّب من شعراء الأقدمين :

فإما أن تكون أخى بصدق ... فأعرف منك غثّى من سمينى

وإما فاطّرحنى ، واتّخذْنى ... عدوا أتْقيك وتتقينى!

لامكان بيننا اليوم لمرتدّ يكره الكتاب والسنة ، ويصدم جماهير المؤمنين ثم يزعم نفاقا أنه مسلم ! مسلم يحارب الله ورسوله ! ياللعجب . .

يضاهئون قول من قبلهم!!

وصف الله قرآنه الخاتم بقول : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[1]

ويقول الدكتور أبوزيد : إن القرآن «منذ لحظة نزوله الأولى ، أى مع قراءة النبى - ﷺ - له لحظة الوحى تحول من كونه نصا إلهيا وصار فهما إنسانيا» !!

كيف ؟

يقول : «لأنه تحوّل من التنزيل إلى التأويل! فإن فهم النبى - ﷺ - للنص يمثل أولى مراحل حركة النص فى تفاعله بالعقل البشرى ، ومن ثم فإن إنطلاقنا الفكرى يبدأ من حقيقة أن النصوص الدينية هى نصوص بشرية إنسانية لغة وثقافة . .» .

نقول : وهذا كلام فى غاية الغثاثة والسقوط . .

كيف تنقطع صلة الكلام بمنزله عندما ينقله الرسول إلى غيره؟

جاء فى سورة الزمر مثلا : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ * قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[2]

وتكررت كلمة «قل» فى السياق خمس مرات ! .

فما معنى ابتعاد النص عن الله وتحويله إلى تراث بشرى ؟

منذ قال الله لنبيه فى غار حراء ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾[3] ظل القرآن ينزل ثلاثا وعشرين سنة لم ينقطع إلا بالوفاة فلما تضايق الكافرون منه قالوا له :

---

(١) الشعراء : ١٩٢ : ١٩٥ .

(٢) الزمر : ١٠ : ١٢ .

(٣) العلق : ١ .

﴿ ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ (١)

فكيف تحول القرآن من الربانية إلى البشرية ؟

كان الدكتور محمد أركون - إتباعا لفلاسفة الغرب - يصف القرآن بأنه «النص» ويحاول سحب العصمة الإلهية عنه وقد اشتبكنا معه فى ندوة بالجزائر خرج منها زاريا على نفسه .

ودكتورنا المصرى نصر أبوزيد يتأثر خطوات أركون ، ويناصر الإستعمار الثقافى ويزعم أن القرآن بعد الوحى صار فهما لمحمد ، وتراثا بشريا عاديا ! !

ونتساءل : هل أركون وأبوزيد ومن سبقهما ومن لحق بهما يمثلون أنفسهم فى هذا التحامل على القرآن ؟

كلا إن الذين قادوا الفكر الشيوعى المادى هم . . هم الذين يقودون الفكر العلمانى الإلحادى .

وسنرى كيف أنهم سماسرة للاستعمار العالمى الكافر بالله والمرسلين .

وكيف يغضب بعضهم لبعض ويناصر بعضهم بعضا . .

* * *

(١) يونس : ١٥ .

عتمة فى العقل!

أسماء القرآن معروفة ونرفض اختراع اسم آخر له ، ولكننا نستغرب من الذين أسموه «النص» . لماذا لم يلتزموا به ويتفقهوا أحكامه ؟ كما توحى الكلمة .

يقول الدكتور أبوزيد : « إذا كان مبدأ تحكيم النصوص يؤدى إلى القضاء على استقلال العقل . إذ يتحول إلى تابع يقتات بالنص ويلوذ به ويحتمى ، فإن هذا ماحدث فى تاريخ الثقافة العربية الإسلامية » .

وما العمل والحالة هذه ؟ يجب احترام الواقع وقبوله وإقصاء التمرد عليه .

يقول الدكتور أبوزيد : « الواقع هو الأصل ولا سبيل لإهداره . ومن الواقع تكوّن النص يعنى القرآن !! ثم يؤكد الواقع أولا والواقع ثانيا والواقع أخيرا . وإهدار الواقع لحساب نص ثابت جامد المعنى والدلالة يجعل كليهما أسطورة » ! !

ويشرح الدكتور مراده فيقول : « إن الإسلام بدأ تحرير المرأة وأعطاها نصيباً من الميراث لم تكن تناله فيجب المضى مع هذا الاتجاه ، وتسوية المرأة بالرجل فى الميراث احتراما للواقع الجديد » .

وعبارته هى « ليس من المقبول أن يقف الاجتهاد إلى المدى الذى وقف عنده الوحى . وإلا انهارت دعوى صلاحيته لكل زمان ومكان » .

يبدو أن الشارع وافاه الأجل قبل إنصاف المرأة بالمساواة الكاملة فلنكمل نحن ماقصر فيه ! !

ويكرر الدكتور نفسه فيقول : « إن التمسك بالدلالات الحرفية للنصوص لايتعارض مع مصلحة الجماعة فحسب ولكن يضر الكيان الوطنى ضررا بالغا . . » .

ويغمز الدكتور أبوزيد قضية عموم الرسالة المحمدية ويتابع المستشرقين الذين زعموا

أن محمدا بعث للعرب ، ولكن النصر الذى أحرزه فى جزيرة العرب أغراه بالانطلاق إلى آفاق العالم والزعم بأنه للناس كافة ، وقد أحصينا - فى كتاب لنا - أن عموم الرسالة ورد فى إحدى عشرة آية من القرآن الكريم[1] .

وأن هذه الآيات جميعا نزلت فى مكة قبل أن يحرز الرسول أى نصر على المشركين فى معركة صغيرة أوكبيرة ،بل إن قوله تعالى : ﴿ وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ [2]

نزل فى سورة القلم وهى من أوائل الوحى النازل بمكة فى السنة الأولى!

لكن سماسرة الاستشراق يتبعون سادتهم بعمى عجيب !

إن محمدا جمع فى شخصه وهداه سائر الأنبياء ، ما يفرق بين أحد منهم ، وليس ميراث محمد إلا ميراث الرسل كافة فالكفر به كفر بهم . ووثنية أعتى من سائر الوثنيات . .

* * *

(١) انظر كتاب «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين» للمؤلف .

(٢) القلم : ٥٢ .

سجل آلام المسلمين

طالعت هذا السِّجلّ الحاوى لآلام المسلمين فى البوسنة والهرسك ثم قلت : هل يبلغ البشر هذا الحدّ من التوحش؟ هل يَفْتنُّون بتعذيب ضحاياهم على هذا النحو الكفور ؟

كنت أحيانا أشاهد عالم الحيوان فى التلفاز المصرى ، فأرى كيف يفتك سبع بظبى أونمر بثعلب ، إنها ضربة واحدة ثم يشرع الوحش فى التهام فريسته ، وما يضير الشاة سلخها بعد ذبحها . .

أما المسلمون بين مخالب الصرب فلهم شأن آخر! إن نفوسهم تزهق جزءاً جزءاً ، وآلامهم تتسلط عليهم ألما بعد ألم فما تفيض أرواحهم إلا بعد أشدّ العذاب . . !

ما مبعث هذا الحقد الدفين ؟

إن المسلمين رجالا ونساء بوغتوا به ، وما جرى فى خيالهم يوما أن يلقوا مثله! ويماثله فى الوحشية والخسة أن أوروبا وأمريكا علمتا به فتحركتا ببطء لاستنكاره ، وما تجاوزتا الكلمات الجوفاء ولا تركتا مكانهما لعمل شىء طائل ، صحيح أنهما أنقذتا «سلوڤونيا وكرواتيا» من بطش الصرب ، وأسرع الساسة إلى إعلان استقلالهما والدفاع عنهما . .

أما المسلمون فكان الحرص شديدا على عدم إمدادهم بالسلاح ، وعلى الإبطاء الشديد فى حجب التأييد الدولى عنهم ، إن استنقاذ الكاثوليك فى «سلوفونيا وكرواتيا» واجب .

أما المسلمون فليتركوا ليلقوا حتفهم ، بعد العذاب الأليم ، يجب أن نعى هذا التعصب ضد الإسلام ، فى مؤسسات دولية زعمت احترامها للإنسانية المجردة وبغضها للتعصب الدينى . .

ماذا نسمّى الحيْف الذى نزل بنا والدواهى التى حلّت بإخواننا ؟

إن السياسة العالمية ساقطة الضمير ، أوهى لاضمير لها بتة عندما يتعلق الأمر بالمسلمين .

إن أسبانيا فى الدورة الرياضية العالمية ببرشلونة ذكّرت العالم بأنها طردت الإسلام من ديارها وقد مرت خمسمائة عام الآن على هذه الذكرى الجديرة بالاحتفال .

أما المسلمون الذين سمعوا هذا الكلام فكانوا مخدَّرين ، وربما فوجئوا بما قيل ولكنه مرّ دون تعليق فإن الغزو الثقافى أفقدهم رشدهم ، ونسّاهم أيامهم الأولى وهم الآن دويلات يسعى أغلبها لمحاربة الفقر!!

يجب أن نعرف تاريخنا جيدا ، إننا لسنا المسئولين عن الحروب التى اشتعلت فى أرجاء العالم قديما ، إننا نحن المسلمين حاربنا الرومان الغزاة الأجانب عندما أغاروا علينا فهل تلك جريمتنا ؟

وطاردنا الصليبيين عندما حاولوا العودة فى القرون الوسطى فهل نلام على ذلك ؟

وإذا كانت ذراريهم تحمل الجراثيم نفسها فهل المطلوب أن نستسلم لهم ؟

إننا قديما وحديثا ندافع عن حياتنا وعقائدنا ومواريثنا . .

* * *

هل تدهمنا الأحداث ؟

إن كراهية أوروبا للإسلام شديدة ، وليست أمريكا أحسن منها حالا ، لكن الخطط والأدوات تغيرت مع سيادة النظم العلمانية ، وترْك رجال الكهنوت القيادة لغيرهم . . إن تبدّل القيادات عرّض الإسلام لمحن أخبث وأسَوأ ، وقد رأينا روسيا التى اعتنقت الإلحاد الأحمر سبعين سنة ، إنها ظلت على ولائها للصرب وللأرثوذكسية ، وهى تسعى لجعل دولة البوسنة دولة لاجئين تماما كما حدث لمسلمى فلسطين ! !

أما الدول الكبرى الأخرى فقد حرصت على تجريد المسلمين من السلاح فى حرب يتفانوْن فيها ، وماذا عليهم لو هلكوا جميعا؟ تكون الخطة قد نجحت . . !

وفى ظل المؤسسات الدولية يواجه مسلمو البوسنة حربا ليست فيها ذرة من شرف أوحياء ، والعزاء الذى يذكر حينا وينسى أحيانا أنه لابد من تأسيس محاكم لمعاقبة مجرمى الحرب . . بعد فناء المسلمين طبعا وذهاب ريحهم !

لا أُلْفِينَّك بعد الموت تندبنى ... وفى حياتى ما قدمت لى زادا . .!!

لكنى أعود إلى نفسى ثم أقول : نحن صانعو المأساة المخزية ، لقد وجدت سباقا بين الصحف على شرح وتصوير مباهج العيد التى هرعت الجماهير للانغماس فيها !

قلت : أهذه أمة تشعر بالنكبة ؟ ؟

وقال لى أحد البوسنيين : نحن ما نحتاج إلى رجال ، ولا إلى متطوعين ، نحتاج إلى سلاح وحسب ، ونعرف أن هيئة الأمم تمنع عنا السلاح ، لكن التهريب ممكن ، أنفقوا مليارين . . مليارا ثمنا للسلاح وآخر للعصابات التى تهرِّبه ، ونحن كفلاء بحل المشكلة .

لكننا نحن المسلمين ننفق القناطير المقنطرة فى الترف ، أونختزنها لضمان الغنى ونترك إخواننا يموتون كمدا ، ولا تحركنا أخوة الإسلام لعمل شىء . .

إن الإسلام يواجه فى هذا العصر حرب فناء ، وأطرافه يُغار عليها وتتساقط الفئات من المؤمنين واحدة بعد أخرى . .

أما القلب فإن الاستعمار الثقافى يتولّى أمره ، ويوجد فى ربوعه من يشيد بالرواية القذرة التى ألفها «سلمان رشدى» ، ومن يحدث ثقوبا فى مستودعات الإيمان حتى إذا جاء اليوم الموعود عزّ الرجال وقلّ المدافعون ولحق القلب بالأطراف . .

أنصحو أم نبقى رقودا حتى تدهمنا الأحداث ؟

لمن يعقل

لايزال فقدان الرشد الاجتماعي يسيطر علي طوائف من المسلمين ويضرى الحروب بينهم فى الوقت الذى تحتاج فيه أمتنا إلى التجمُّع والوئام ، بأى عقل يستأنف المجاهدون الأفغان القتال بعضهم ضد البعض الآخر؟ وكانوا بالأمس القريب يقاتلون عدوا مشتركا !

بأى عقل تبقى العداوة الخسيسة بين أحزاب الصومال وقد عصفت المجاعات بالشعب كله وتسابق الغرباء إلى إطعام الجائع وإيواء الشارد؟ ومتى يقع هذا البلاء؟ يقع وحرب صليبية جديدة تنشب فى البلقان للقضاء على الإسلام فى شرق أوروبا تمهيدا للقضاء عليه فى أوروبا كلها . . !

إن وكالات الأنباء أذاعت أمس عن «فليبور اسكوبتش» وزير الإعلام فى حكومة الصرب أن حكومته تحارب فى البوسنة والهرسك لإنقاذ أوروبا من الإسلام . . ! !

وأنها ترفع لواء حرب صليبية جديدة لمنع الإسلام من السيطرة على العالم! وزعم هذا الوزير أن المسيحية تتقلص من العالم ، وأن لدى المسلمين من العقيدة والمال والكثرة البشرية ما يجعلهم يرثون الأرض ، وصرح الوزير الظلوم! بأن الصرب تقوم بحرب دينية ضد المسلمين الذين يهدمون كنائسهم ! !

أين وقع هذا الهدم ؟ والمساجد وحدها هى التى تزال! إنها قصة الذئب والحمل تتكرر فى كل مكان .

وقياما بشعائر هذه الحرب الدينية تنشر «الوفد» بعنوان يمتدّ فوق جميع أعمدة الصحيفة أن الحراس الصربيين السكارى يذبحون المسلمين ويلقون بجثثهم إلى الكلاب!! وأوضح الفارون من معسكرات الموت أن الصربيين كانوا يجبرون الأسرى المسلمين على الانبطاح فوق أرصفة المعتقل قريبا من بالوعات المجارى المؤدية إلى نهر «سافا» حتى تتدفق دماؤهم إليها بعد ذبحهم . . !

كما قرروا أن عددا من الأطباء والممرضات يبترون أعضاء بشرية من القتلى ويغلِّفونها فى أنسجة بلاستيكية ثم ينقلونها فى ثلاجات خارج المعسكر ، وما تبقى من الجثث يرمى للكلاب . . ! !

ولا أمضى فى نقل هذه الأخبار الهائلة ، وإنما أسجلها ليعلم من لايعلم أن مصيرنا لن يكون أفضل من ذلك إذا أحاطت بنا هذه الظروف التى أحاطت بإخواننا فى البلقان !

والزمان قُلّب ، والفلك الدوّار لا يقف! فهل نبقى مختلفين يقاتل بعضنا بعضا ؟

ومن نكاية الدنيا بنا أن الغزو الثقافى شوّه أفكارا كثيرة عندنا وسَلَخَهَا عن دينها وتراثها .

فقد سمعت رجلا كبير الجُثَّة والمنصب ينكر أن هذا العصر عصر الحروب الدينية . .

ويزعم الأحمق أن القتال الدائر هو صراع أعراق! وتنازع السلطة على أمكنة من الأرض ؟

إن حكام الصرب صرحوا بطبيعة الحرب التى أعلنوها ، ومع ذلك فإن صرعى الغزو الثقافى لا يزالون يهرفون بما لا يعرفون ! وقى الله أمتنا شرهم .

* * *

جفّت المشاعر

فى الجاهلية الأولى كان هناك أفراد حنفاء تشبثوا ببقايا من دين إبراهيم فازدروا الوثنية واستعفُّوا عن المناكر والمظالم .

وفى أمريكا وأوروبا الآن أفراد ظلت ضمائرهم حية وأحكامهم عادلة فهم يشهدون بالحق ويواجهون الظالمين .

من ذلك ما علمته عن لجنة لحقوق الإنسان فى الولايات المتحدة اتهمت رؤساء الدول الغربية بتغليب المنافع القومية على المبادىء الأخلاقية وبدأت بأمريكا نفسها التى تجاهلت هزيمة حقوق الإنسان فى الصين ، وما يقع من مآسى للمعارضين المستضعفين وذلك حفاظا على مصالحها التجارية وضمانا لمنافعها الاقتصادية! وقالت عن فرنسا إنها سلحت حكومة رواندا وتركتها تفتك بخصومها من قبيلة أخرى ودخلت البلاد بجيشها حتى مكنت الحكومة المعتدية من الفرار بعدما قتلت نصف مليون رواندى فاحت رائحتهم فى أرجاء العالم ، وذكرت اللجنة عددا من دول أوروبا فى مقدمتهم انجلترا وحلف الأطلسى الذين مكنوا ذئاب الصرب من افتراس مئات الألوف من المسلمين ومنعوا تزويدهم بالسلاح ليستطيعوا الدفاع عن أنفسهم !

ذكرت جريدة «الوطن» عن مراسل أجنبى رأى أن يحقق بنفسه ما يقع من جرائم ضد الإنسانية فى البوسنة قال : التقيت بأحد البوسنيين وكان مفجوعا شاردا إثر جريمة وقعت له ولأسرته تركته أقرب إلى الجنون ! !

يقول : هربت من القصف فى سراييفو ومعى زوجتى وطفلنا الرضيع ، وليتنى ماهربت كان هروبا مهلكا . . إذ وقعت فى ثكنة عسكرية صربية ، تضم وحوشا بشرية لاقلب لهم ولايعرفون الرحمة ، قاموا باغتصاب الزوجة ورموا الطفل فى مدفأة تشتعل بالنار ، فأخذت أصرخ أنا وزوجتى صراخا متواصلا حتى فقدنا الوعى ، وما صحونا إلا على ركل أقدامهم ودفع نعالهم ثم أحضروا لنا لحما مشويا قد تفحَّم وألصقوا بنادقهم بأجسامنا وأمرونا بالأكل . .! كان ذلك اللحم هو لحم ابننا الرضيع . . !

كيف نبقى أحياء بعدما أصابنا هذا البلاء الماحق ؟

هؤلاء هم رؤساء حلف الأطلسى الذين تآمروا على دولة إسلامية صغيرة ضعيفة وسط بحر هائج من الدول الصليبية الكبرى إنهم يتشدقون بحقوق الإنسان! أى حقوق بعد موقفكم المخزى من المسلمين القلائل الذين أوقعهم سوء الحظ بين ظهرانيكم ؟

الويل لمن يتذكر

من أمارات النفاق ألا يستفيد المرء عبرة من الماضى ولا درسا للمستقبل بل يرتجل تصرفاته ارتجالا ويتحمل نتائجها دون وعى !

وقد جاء فى القرآن الكريم وصف المنافقين بهذه البلادة قال تعالى : ﴿ أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(١)

إن الإيمان حسٌّ شديد ، واستفادة من الأحداث ، وأخذ من الماضى للحاضر والمستقبل وقد صح عن رسولنا قوله : «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**» فما بالنا نلدغ من الجحر الواحد مثنى وثلاث؟ ثم نمضى فى طريقنا كأن لم يقع شىء !!

من أيام احتفلت أوروبا بمرور ٥٠٠ عام على خروج المسلمين من الأندلس ، أما نحن فإن الذكرى الكئيبة مرت بغير اكتراث! لعل الكثيرين لا يَدْرُون أننا كنا هناك ، إنهم يذكرون ، أما نحن فننسى !

وفى القتال الوحشىّ الذى وقع بين الصربيين والمسلمين فى «سراييفو» قال المراقبون : إن البلد تحوَّل إلى «سلخانة» كبيرة ، وإن جثث المسلمين ملقاة فى الطرق لاتجد من يدفنها !!

إن القذائف تنهمر فتخطف الأرواح وليس هناك إلا مقاتل يتحصن وراء هدم ، أوتحت بقايا بيت ، والحرائق مشتعلة لاترى عندها إلا سحب الدخان . .

إن براكين الحقد التى انفجرت بغتة ذكرتنا بغارات الصليبيين القدامى على أنطاكية وبيت المقدس مُخلِّفة أكواما من الجثث تبلغ أحيانا عدة طوابق ، عجبا إن الحقد القديم لم تفتر حرارته ولا مرارته رغم مرور القرون . . !!

إننا وحدنا الذين ننسى أما القوم فإنهم يتذكرون ويتحركون !!

---

(١) التوبة : ١٢٦ .

ومن بقايا إنسانية لاتزال تحيا فيها ذكريات عدل ورحمة صدر قرار مجلس الأمن بإدانة العدوان والإذن بمقاومته !

وتساءلتُ : ماذا صنعتْ المؤسسات السياسية فى العالم الإسلامى الكبير تعليقا على أنْباء السلخ والحرق والنسف الذى تعرضت جماهير المسلمين له فى البوسنة والهرسك ؟

كنت أرقب أن ينعقد المؤتمر الإسلامى ليواجه المأساة ، ولكن يبدو أن الإسلام السياسى فى واد ، والإسلام الشعبى فى واد آخر!!

سياسىٌّ يوغوسلافى يقول عن أهل البوسنة والهرسك : لقد كان هؤلاء الناس صربيين أرثوذكس ، ويجب أن يعودوا كما كانوا !! أى لا بقاء للإسلام وأمته هنا . .

وقال سياسى عربى : نحن نستنكر الظلم الواقع بغضِّ النظر عن أن الذين يعانون منه مسلمون أوغير مسلمين ! !

أى أن تحركه ليس غيرة دينية ، ولا أسى لإخوان العقيدة ، ولا أن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم . . لا . إنها غضبة إنسانية ! !

إن أعداء الإسلام يجددون أحقادهم ويؤكدون انتماءهم ، ونحن وحدنا الذين ننسى والويل لمن يتذكر ! !

* * *

عار الصمت

«الدبلوماسيون» أطول الناس حلما وأبعدهم أناة وأقدرهم على كتمان الغضب وضبط النفس ولذلك عجبت من موقف الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور «بطرس غالى» عندما حجب العون الدولى عن مسلمى البوسنة والهرسك وقال : هذه حرب الرجل الثرىّ !!

قلت : من الرجل الثرىّ فى هذه المأساة ؟

الصربى الفاتك الذى يريد سحق وطن ومحو دين !

أم المسلمون الذين وقعوا فى مصيدة المدافع المنصوبة فوق الجبال تصبّ عليهم الموت من كل مكان ؟

إن أمين الأمم المتحدة سلك مسلكا مزريا عندما قرر ترك المسلمين يستغيثون ولا يغاثون ، ويطلبون النجدة من «الشرعية الدولية» فلا يجيبهم إلا عار الصمت ! وسكوت المتغاضين ، لقد دمرت المساجد كلها تقريبا وقتل مئات الأئمة ، وهرب من الأسر المذلّ ملايين المدنيين العزل ، وبدأت مظاهر الاستعمار الاستيطانى تغيِّر معالم الأرض كى يرثها الصربيون كما فعل اليهود بفلسطين وأهل فلسطين !

فهل هذه حرب الرجل الثرىّ المستغنى عن المعونات ؟

ومعلوم أن آلاف الأطفال فقدوا أسرهم فتولّت محَاضِنُ التبشير العناية بهم ، قدّمت لهم المأوى ومحت عنهم معالم الإسلام ليشبّوا بعيدا عن ماضيهم الحزين !

يقع ذلك كله والأخبار ترد معلنة أن أرض الإسلام تُنْتقَص من أطرافها ، فها هى ذى صحيفة المسلمين تعلن عن ارتداد أربع قرى إسلامية ، فرض عليها الهندوس ترك الإسلام واعتناق الوثنية ، فإذا نحن بين عشية وضحاها نفقد ٧٥ ألف مسلم ، عدا من تُسرَق عقائدهم من الهائمين على وجوههم هنا وهناك . . !

فى هذا الوقت يقول الدكتور «بطرس غالى» : «إن حرب البوسنة والهرسك حرب الرجل الثرىّ ! » .

أعلم أنه وجّه إعانات الأمم المتحدة إلى الصومال ، وضنّ بها على مسلمى البلقان التائهين والصومال فى أيام نحسات صنعها لنفسه بنفسه ، إنه تفانى فى الصراع على الحكم وطلب السلطة لرؤساء مشئومين! ونحن نريد له الخلاص من محنته وعودته إلى حريته .

ولكننا نرفض الاعتذار بحالته عن ترك مسلمى البوسنة يواجهون حرب الإبادة المعلنة عليهم . .

إن الوضع شائن مرعب فى وسط البلقان ، وقد انكشفت المؤامرات المدبَّرة لسحق المسلمين فى هذه البقاع ، بل فى أوروبا كلها ، وعلى أمين الأمم المتحدة أن يواجه الواقع ولا يحاول الفرار منه أوالاعتذار عنه ، وإذا بقى يصمّ آذانه عن آلام المسلمين فإننا معذورون إذا اعتبرنا هيئة الأمم تريد أن تكون صربيا الجديدة إسرائيل أخرى وأن رجلها فى تنفيذ المؤامرة هو الدكتور «بطرس غالى» فهل يرضى لنفسه هذا الدور ؟

* * *

جراءة

إلى متى نحب الدنيا ونكره الموت؟ إلى متى نحب التوجس ونكره الجسارة ؟

إذا كان صاحب البيت جبانا واللص جريئا فالبيت ضائع لا محالة . . !

عندما زار «مسيو ماتيران» مدينة «سرأييفو» واخترق الحصار المضروب حولها شعرت بانبهار لشجاعة الرجل ، تابعته فى الذهاب والإياب ، وهو يهبط بطائرته فى أرض الوحشة والموت ، ويتخطى العقبات المبعثرة ، ويحاول الاتصال بالمسئولين وسائر الأهلين!

قالوا : ووصلت القذائف الطائشة قريبا منه ، واخترق بعضها طائرته وهو منتصب القامة رابط الجأش كأنه سيف الدولة عندما قال فيه المتنبى :

وقفت وما فى الموت شك لواقف　　　كأنك فى جفن الردى وهو نائم! !

وأخذت طائرته تحطّ أحمالها من الأغذية والأدوية ، فاتحة الطريق أمام طائرات أخرى تحمل الشفاء للمرضى والطعام للجائعين . .

إن ذئاب الصرب قطعت الطريق أمدا طويلا حتى بلغت القلوب الحناجر وكاد اليأس يهزم المقاومة !

وخطة المعتدين إرغام المدينة على الاستسلام حتى يستطيعوا ضم أراض من البوسنة والهرسك إلى صربيا الجديدة ، فإذا صحّ للمسلمين بقاء بعد ذلك فهو بقاء الحرج المختنق ، بعدما فقدوا بيوتهم ، وتعرضوا لاستعمار استيطانى يشبه مايتعرض له عرب فلسطين . .

«ومسيو ماتيران» لا علاقة له بمستقبل الإسلام وأمته ، وهو لم يفعل ما فعل ذودا عن حوزته أو صونا لوحدته! إنه زعيم إنسان يحترم العقل والضمير ، ويناضل من أجل كرامة البشر فى الميدان السياسى والاقتصادى . .

وقد ساءه أن جند الصرب ارتكبوا المناكر وألفوا الغدر واستضعفوا المسلمين واسترخصوا الفتك بهم شيبا وشبانا ، فرأى أن يذهب بطائرته ليمحو هذه السُّبَّة من وجه الحضارة الحديثة ! !

وإنى أذكر فعل الرجل لأن المعادن النفيسة تستحق التنويه ، ولأسائل قومى : أما كان فيكم من يقدر على مثل هذا الصنيع ؟

قد يكون جمهور المسلمين فقيرا إلى الأسلحة الحديثة ، بيد أنه - عند التمحيص - أفقر إلى النفوس الكبار التى تضعف فى مرادها الأجسام . .

إننا نحمل رسالة الإسلام ، وهى رسالة ضخمة تنوء بها الكواهل الطَّرِيّة ولا يصلح لها عبيد الشهوات وأحلاس اللهو وإنى أنظر إلى المستقبل بقلق لأن أعداءنا يخدمون مبادىء وعقائد . . أما نحن فالعقائر ترتفع بشىء آخر . . هو رفع مستوى المعيشة ! !

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴾[1] .

* * *

---

(١) الإسراء : ٨٤ .

كراهية

قد تشعر بكراهية الآخرين لك فى فلتات اللسان وسقطات الحديث فتأخذ حذرك وتحتاط لنفسك ، ولكن ما الموقف إذا واجهت غلاً راسبا وخُصُومة عاوية وعدوانا لا يقر معه قرار؟

إننى قرأت مع ألوف القراء تصريحات القائد الصربى «فوشتيك» عن الأسلوب الذى يعامل به المسلمين وكيف يستهتر بقتلهم ويستريح لفراغ الأرض منهم فقلت كأنه المعنىُّ يقول شوقى :

سكينه ، وحزامه ، ويمينه ... والصولجان ، جميعها آثام . .!!

ولم أر أخسَّ منه وأحقر إلا من سمعوه وسكتوا فلم يفعلوا شيئا . .

لقد سأله الصحفى الألمانى مندوب مجلة «ديرشيجل» : كم من المسلمين قتلتهم أنت شخصيا؟ خلال الحرب الدائرة فى البوسنة والهرسك ؟

فأجاب : مئات كثيرة! كذلك قمت بإطلاق الرصاص على الأسرى المسلمين للقضاء عليهم . . فلما نبهه المندوب الألمانى إلى خطورة مايقول ، لأن المعاهدات الدولية تحرِّم قتل الأسرى . قال ساخرا : إنه لم يجد سيارات لنقلهم ، فأسهل الطرق وأرخصها هى التخلص منهم بالقتل!! مثلما أجهز الصربيون على ٦٤٠ مسلما كانوا مختفين فى مخبأ فتخلصوا منهم جميعا قتلا بالرصاص !!

وسأله الصحفى الألمانى : ماهو الهدف من هذه الحرب . . ؟

فأجاب : هدفنا القضاء على الإسلام! فالمسلمون فى أوروبا يجب أن يختفوا وألا تكون لهم أمة !

إن على المسلمين هنا أن يتحولوا عن الإسلام ، وأن يصبحوا صربيين أوكروات أما الخيار الثالث فهو الموت ! !

إننى أقتل كل قادر على الحرب من المسلمين . ومن لم أقتله أقوم بخرق عينيه! وعندما نستجوب الأسرى لاستخراج المعلومات منهم نهشم أيديهم ببطء حتى يعترفوا بما نريد . .

هذا ما يقوله القائد الصربى مجاهرة يصف معاملته للمسلمين والكلام المذكور هنا نشر فى أوروبا فماذا كان صداه فى أوروبا ودولها الساعية إلى الوحدة ؟

ونقل إلى أمريكا فماذا فعلت هيئة الأمم المتحدة التى زعمت أنها قامت لحفظ كرامة الإنسان ورعاية حقوقه؟ ونشر أخيراً فى البلاد العربية فماذا كان غضبنا لديننا وإخواننا . . ؟

الغريب أن اسم الحروب الصليبية ليس من وضعنا نحن ، إنه اصطلاح أوروبى ، أما نحن فكنا نسمى الغارة الوحشية علينا بأنها هجوم الفرنجة ! !

إن العدوان باسم الدين طبيعة فى القوم ، أما نحن فأبعد شىء عن أذهاننا الحروب الدينية! وطرد الرومان من مصر والشام وسائر المستعمرات الأخرى كان ردّ عدوان وتحرير مستضعفين وما كان إكراها على دين ، ولا إقرارا لفتنة . . إن تحت الإهاب الأبيض للأجناس الأوروبية مشاعر سوداء ، لم يَشْقَ المسلمون وحدهم بها بل شقى بها الهنود الحمر وغيرهم وهلكت فى حريقها أجيال . . ولأمر مّا قال الله فيهم : ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[1] .

فهل نثبت أم نزيغ؟ وهل ندرك الواقع أم نحيد عنه؟ إن هزيمة الإسلام فى البوسنة لها ما بعدها . .

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] .

* * *

---

(١) البقرة : ٢١٧ .

(٢) النور : ٦٣ .

ذئـــاب

فى أثناء حملات الطرد والإبادة التى تعرض لها مسلمو البوسنة هوجمت إحدى القرى هجوما شديدا وأخذت المدافع والصواريخ تصبّ حممها من كل ناحية ، وشعر الشبان الذين يحملون البنادق بعجزهم عن المقاومة ، كما شعر السكان القابعون فى البيوت أن وراء هذه الحملة ما وراءها فقرروا الفرار من وجه الذئاب القادمة ، وتركوا بيوتهم إلى العراء يلتمسون النجاة فى أماكن أخرى ، وأدركهم الصربيون وهم فى حال منكرة من الفزع ، وشرعوا يجهزون عليهم وهم يصيحون بهم : أين ربكم الآن يامسلمون ؟ ؟

سمعت هذه القصة من إذاعة لندن ، وظل هذا الاستفهام يرنّ فى أذنى طويلا وشعرت بالعجز والخزى !

إن الذئاب الفاتكة لاتهاب أحدا ولا يَردّها شيء ! !

وواجه الهاربون مصايرهم فهم بين قتيل وأسير وهارب . . والنداء الصربىّ يلاحقهم : أين ربكم الآن ؟

أعرف أن هؤلاء ليسوا أول مظلومين فى التاريخ ، فقد وثب الفراعنة على بنى اسرائيل يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويجعلون نهارهم ليلا وحياتهم ويلا !

فماذا كانت العقبى ؟

أغرق الله الظلمة وأبقى أبناء المحروبين ليرثوا الأرض من بعدهم . .

إن نسيج هذه الحياة من اختبارات لاتنتهى ، هكذا شاء من : « خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً » [1] .

والاختبار يتم فى أزمنة قريبة أوبعيدة ، وقد تبدأ المقدمات فى جيل وتظهر النتائج فى جيل آخر ، فما بدٌّ من الصبر والانتظار ، نعم لابد من تمحيص المؤمنين وإمهال الكافرين .

(١) الملك : ٢ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [1]

والذين يقولون للمستضعفين من المسلمين : أين ربكم الآن؟ سيجدون ربهم إن قريبا وإن بعيدا فيوفِّيهم جزاءهم! لابد من زمن يطول أويقصر يتم فيه القدر الساهر .

ولذلك يقول الله لنبيّه : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[2]

إن كلمة حين تكررت مرتين هنا ، ليُعْلَم أنه لابد من صبر وانتظار حتى يتمّ القدر الأعلى . .

ونتساءل : ماذا يعمل الناس فى هذا «الحين» ؟

يصابر المستضعفون الليالى ويعملون لمستقبل أفضل !

هل نقوم نحن المسلمين بهذا الواجب ؟

كلا إن هناك بلادة لاينقضى منها عجبى ، لقد بحثت فى الصحف عن أخبار المذبحة التى كان الصربيون يقولون فيها للمسلمين : أين ربكم الآن ؟ فلم أجد لها ذكرا . .

وسألت رجلا فى منصب كبير هل سمعت إذاعة لندن تقول كذا وكذا ؟

قال : نعم سمعت !

لماذا تواطأ المراسلون – عندنا – على طيّ هذه الكلمة الكافرة ؟

لأنها تكشف عن خبايا الحقد الصليبى ، والفكرة السائدة جعل هذه الحرب غير دينية!! ومادام البلاء ينصبّ على رءوس المسلمين وحدهم فالخطب سهل !! ولله فى خلقه شئون . .

* * *

(1) الطارق : ١٥ - ١٧ .

(2) الصافات : ١٧٤ : ١٧٨ .

الوعى.. ولقمة الخبز

قلما تسقط الحضارات أوالدول دَفْعة واحدة ، إنها غالبا تترنّح وتدوخ ثم تهوى ! وعندما نتأمل فى تاريخنا نجد أن الأندلس لم تستسلم وتزول دفعة واحدة ، إن هذا المصير تم جزءا جزءا ، وكانت غرناطة آخر قطعة فى الأرض الضائعة . .

ومن حقنا أن نفزع من تعرض فلسطين لمصير الأندلس ، ومن استنامة العرب لفقدان بعض أرضهم والنظر ببلادة إلى مايصير!! لاشك أن الإسلام فى مرحلة سيئة من تاريخه وأن على أولى الألباب مراجعة النفس واتخاذ الحيطة . .

لقد أدهشنى هذا الاهتمام الذى اكتسح أوروبا وأمريكا بقضية «غزة وأريحا» ، إن الولايات المتحدة برؤسائها السابقين واللاحقين ودول الجماعة الأوروبية مشغولة بالموضوع كلها ، حتى النرويج ! !

إن هذا القطر القصىّ شمال العالم هو الذى تمت فيه المفاوضات السرية وصنع فيه القرار الأخير !

لماذا؟ لأن هذه الدول جميعا مسيحية مسئولة عن قضية القدس ، ومكترثة بوضع العرب فيها ، وهى ترمق مستقبل الإسلام بحذر ، ولا تبالى أن تكيل له التهم ، وهى لم تنس ولا تريد أن تنسى الحروب الصليبية الأولى !

ذلك كله يقع ونحن فى واد آخر نَوْجل من الاشتغال بالقضايا الإسلامية ، ونهشّ لأى عنوان آخر غير عنوان الدين . . !

لماذا وقد وُجِّهتْ إلينا أسئلة شتى - لم نسأل إسرائيل : هل ستبقى وطنا قوميا ليهود العالم أجمع ؟ يجيئون إليه متى شاءوا جماعات ووحدانا ؟

وإذا كان اليهود فى شتى الأقطار نحو خمسة عشر مليونا فكيف تسعهم فلسطين وحدها ؟

أم أن إسرائيل الكبرى لاتزال الحلم الجاثم فى عقل اليهود ومَنْ وراءهم من الحلفاء ، وليذهب جيران فلسطين إلى الجحيم !

ثم ماهو مصير اللاجئين الضائعين بعد حربى سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ ، هل نذكرهم أم أنا تركناهم للمجهول ؟

لو أن عرب الأندلس فكروا فى أعقاب كل هزيمة ماذا جرّ عليهم هذا البلاء لنجت بقيتهم من المحق الذى لفّهم فى أكفان العدم ، وإنى ألحّ على مسلمى اليوم أن يعوا حقائق الأحداث الضخمة التى تهز اليوم كيانهم ، إنهم ماضون فى خطّهم المائل وأعينهم مغمضة !

الناس - حتى عبدة الأوثان - يذكرون أديانهم ، ونحن وحدنا الذين نترخص ونستهين !

تحت القطبين ، وفى أعماق المناطق الحارة ترسم الخطط لضرب الإسلام ، والمسلمون هنا وهناك مشغولون بلقمة الخبز ، وحبّ الدنيا وكراهية الموت . . ترى هل نعى ؟

* * *

مكرٌ بالعرب..

لن يقع سلام أبدا بين اليهود والعرب مابقيت فلسفة الاستيطان الدينى ماثلة فى أذهان اليهود حَسَبَ رؤى التوراة! والذى يطلب من العرب أن يتركوا أرضهم لشراذم قادمة من هنا ومن هناك ، مؤمنة ، بهذه الرؤى هو امرؤ جائر حائر .

إن يهود العالم يبلغون خمسة عشر مليونا ، ثلثهم الآن فى «فلسطين» بعد طرد العرب من أغلبها فإذا بقيت خرافة أن الأرض لليهود ميراثا من إبراهيم فمعنى هذا أن العشرة ملايين الباقية ستستولى على أرض الدول المجاورة ، وتقوم إسرائيل الكبرى بين الفرات والنيل كما تقرر النبوءات المزعومة . .

هل يستقيم هذا مع صلح يمنح العرب «غزة وأريحا»؟ أم أن هذا مكر بالعرب الطيبين ؟

لكى يمكن تصديق بعض مايقال عن هذا الصلح يجب أن تعلن إسرائيل وقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، تمهيدا لبحث سلام حقيقى بين السكان الأصلاء وبين القادمين الذين جاءوا من شتى الأقطار باسم الإقامة فى أرض الميعاد!! ثم يجب من الآن البحث فى إعادة اللاجئين العرب إلى ديارهم ، سواء من تركها سنة ١٩٤٨ أو ١٩٦٧ . .

إن أوروبا وأمريكا - لأسباب دينية - مهتمتان بأمن إسرائيل ، فهل اكتفتا بما ناله اليهود؟ وبالدولة الشامخة التى أسسوها ؟ ربما قبل العرب الأمر الواقع وفكروا فى أسس جديدة لتعايش ممكن !

لكن ذلك لايتصور أبدا إذا بقيت أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين مفتوحة ، أين سيقيم هؤلاء إلا إذا كان مخططا لهم استعمار فلسطين ودول الطوق وماتيسّر من دول عربية أخرى ! !

إن سياسة التوسع اليهودى تقوم على أعمدة دينية فصلها العهد القديم وأشار إليها العهد الجديد والعالم كله الآن ينظر فيها ويفكر فى عقباها ، ولن تحلّها أريحا ولا غزة ولا مابعدهما إنما يحلها العرب إذا صحوا من الإغماءة الطويلة التى أصابتهم! وإذا علموا أن مزيدا من الإغماء سيخمد أنفاسهم ويقضى على حياتهم .

ونسأل العلمانيين العرب بعد ذلك : هل سيبقون فى مواقف الخيانة لدينهم وقومهم وتاريخهم ؟

إن كرههم للإسلام ، وموالاتهم لأعدائه وضيقهم بشرائعه هو دعم للصهيونية وإيهان لعناصر المقاومة الباسلة التى يبديها المؤمنون الأحرار .

هل.. تحرير فلسطين بالعلمانية!![1]

بعد يوم متعب بارد منَّيْت نفسى بليلة هادئة دافئة فى فراش وثير مريح ، لكنى ماكدت أبدأ المنام حتى هاجمنى ضميرى ، وهاجت الأفكار فى رأسى !!

أنت هنا تجد الفراش المعجب ، وإخوانك المطرودون من فلسطين لايجدون شيئا ؟ إنهم يأكلون نزْرا ويشربون كدرا ويطاردهم الصقيع سواء خرجوا من خيامهم أواختبئوا داخلها ، وجريمتهم أنهم إسلاميون يحرسون دينهم وبلدهم ، إنهم خلاصة الرجال فى الأرض المحتلة ، فيهم العلماء والمستشارون والدعاة وأولو الفطنة والقدرة الذين زلزلوا الكيان الصهيونى وعكروا صفوه! أربعمائة أويزيدون من الأوفياء لدينهم وتراثهم ، أليس عجيبا أن يسكت العالم على العمل تحت راية اليهودية ويثور للعمل تحت راية الإسلام ؟

هل الانتماء إلى القرآن جريمة العصر . .

والانتماء إلى أى دين آخر سائغ مباح ؟

إن قضية فلسطين قضية دينية شئنا أم أبينا ، والمستوطنون اليهود قدموا إلى هذا القطر المنكوب وهم يصلّون لرب إسرائيل ، ويتذاكرون وعوده فى التوراة والتلمود أن يردَّهم إلى أرض إبراهيم ، التى ورثوها عنه كما يزعمون . .

فما مكان العلمانية فى هذا التفكير؟ ومامعنى أن يكون العرب علمانيين كى يسمح لهم بالبقاء فى هذه الأرض كلها أوبعضها ؟ ؟

إن إبعاد الإسلام عن هذه القضية قضاء أبدى على فلسطين ، ومخدِّر خطير ، بل سم قاتل لمستقبلها كله! وقد أدركت أن الخطة الاستعمارية التى وضعت من قديم كانت تسعى إلى هذا الغرض ، كان الحاج أمين الحسينى بعمامته التقليدية رمزا للإسلام المكافح ، وكنت قريبا من الرجل فرأيت فيه استنارة العلماء وعزم المجاهدين ،

---

(١) كتب هذا المقال أثناء قضية الفلسطينيين المبعدين الذين طردتهم السلطات الإسرائيلية .

ورأيتـه يتـحـمـل الهـزائم بِجَلَد ، ويرتب صـفـوفـه بأمل ، وكنت أزوره فى مـسكنه بمصر الجديدة أتدارس معـه حاضر الإسـلام ومستقبله . ثم فوجئت بإخراجـه من القاهرة ، واضطراره إلى سكنى بيروت ، ونفث الدخان حول سيرته وكفاحه . .

كانت الخطة قد رسمت ليكون تحرير فلسطين تحت راية علمانية لا إسلامية . .

وبدأت سلسلة الهزائم ، فقد خذلتنا الأرض ، وحرمتْنا السماء ، ولم ننل شيئا من أحد ! !

إننا نطلب اليـوم سـلامـا فى مـقـابل التنازل عن بعض فلسطين ، وهم يطلبـون استسلاما على شروطهم هم . .

وهذه أولى بركات العلمانية التى جُعلت عنوانا لتحرير فلسطين!! لكن أمتنا الكبرى تأبى إلا الإسـلام شكلا وموضوعا ، ومن حقها أن تحيا بدينها وأن يعود اليهود من حيث جاءوا . .

إننا نقنت فى مساجد للنوازل الداهمة ، ومايحدث الآن للمجاهدين المطرودين يحتاج أن نجأر إلى الله بالدعاء كى يفرج كربهم ، ويحلّ عقدتهم ، ويثأر من ظالميهم .

* * *

ماذا بعد غزة وأريحا؟

بعد الحرب العالمية الأولى حققت انجلترا لليهود إنشاء وطن قوميّ لهم يجمع شتاتهم ويلمّ شملهم بعد آلاف السنين من التشرد والمسكنة! وتمّ ذلك على أنقاض العرب الذين رأت انجلترا أن يذهبوا إلى حيث ألقت ، فهم مسلمون لايستحقّون الحياة! وهبّ المظلومون يدفعون عن أنفسهم وتراثهم وعقائدهم ولكن الهزائم لاحقتهم لضعف الناصر وفتك المعتدى والحرب دينية يقينا وهى تخالف مبادىء القومية الحديثة ولكن إذا كان الغرض القضاء على الإسلام فلا بأس !

إن الدين يعتبر تخلفا إذا كان الإسلام أما إذا كان غير ذلك فهو تنوير وتحرير !

ورأى بعض الفلسطينيين أن يدع العنوان الإسلامى ويرفع راية العلمانية . وهذا مافعلته منظمة التحرير على أمل أن تكسب شيئا وقد تدخل بعض الساسة ومنحوا العرب فرصة العيش إلى جوار اليهود أصحاب الدولة والصولة . . !

وأنا الآن أمام واقع عالمى ومحلى يحتاج إلى الدراسة والتروّى . أبناء فلسطين الآن بحاجة إلى نوع جديد من الجهاد قد يكون أقسى مما عانوه فى الأيام الماضية . أخوف ما أخافه أن يقتتل أبناء البلد المغصوب ويقع بأسهم بينهم ، بل أعتقد أن قوى خارجية ستفعل ذلك .

ورأيى أن موطىء القدم الذى أتيح للعرب يجب أن يحصَّن ويؤمن ، وأن تعمل التربية الإسلامية عملها فى دعم الأخلاق ومضاعفة الإنتاج وإشاعة التراحم والمواساة وإعادة الصواب إلى من فقدوا صوابهم ينبغى فى صمت أن ينكس شعار العلمانية وإضاع الصلاة واتباع الشهوات ، وأن نحترم ديننا وكتابنا وسنن نبينا !

إن عقلاء العالم أخذوا يحذرون من الانطلاق الأعمى وراء الشهوات وهذا «نيكسون» يخيف الأمريكيين من الضياع وراء إغراق هوليوود فى الجنس والعنف !

وهذا ولى عهد انجلترا يهيب بقومه أن يلتزموا التقاليد الجادّة وإذا كان لابد من ضرب الأطفال كى يرعووا فلا حرج !

ومن الحفاظ على التراث الأدبى أن نحترم لغتنا ، ألا ترى «رابين» يخطب بالعبرية فى واشنطن من عدة شهور ، وفى القاهرة من أيام كى يحيى لغة ميتة بينما العرب يحسنون الرطانة ويميتون لغة حية لغة القرآن الكريم .

لقد استصدر وزير الثقافة فى فرنسا قانونا بمعاقبة من يستعمل كلمة أجنبية لها بديل يغنى عنها فى اللغة الفرنسية! وفرض ذلك فى ميادين الإعلام والتعليم . .

أما نحن فنحطم قواعد النحو والصرف والبلاغة دون حرج لكى نكون عصريين علمانيين ! !

إن الشعب الفلسطينى من أذكى الشعوب العربية ، ويستطيع جعل ما حدث خطوة إلى مستقبل أنضر وأطهر ، والمهم نكران الذات وإرضاء الله واستعادة النماذج المشرقة فى تاريخه الجلْد المصابر . أيها الفلسطينيون شرفوا الإسلام كما شرفه آباؤكم وأجدادكم والمستقبل بعون الله لكم .

* * *

نؤثر الموت

قاومت متاعبى التى جعلتنى بمعزل عن الناس وقررت مشاهدة حفل استعادة غزة وأريحا .

إننى أمثل الإسلام الذى تضاعفت خسائره فى هذا العصر ، فلأنظر ما هنالك لعلى واجد بعض العزاء! وألقيت نظرة سريعة على الساحة – من خلال التلفاز – فرأيت أول ما رأيت جيشا من الفنانين والفنانات يشبه حزمة من الورود الصناعية لاطعم لها ولا ريح .

فقلت : كان الأولى أن يشهد الحفل طلاب الجامعات ليروا كيف يصنع مستقبل أمتهم . . ! !

ودخل الساسة الكبار وسمعت أحاديثهم واحدا واحدا وأصغيت بوعى إلى كبير اليهود الذى بدا وكأنه يتصدق على العرب ببعض ما يملك !

وعادت بى الذاكرة إلى ماحدث قبل نصف قرن ، فقد اجتمعت هيئة الأمم المتحدة وقررت إقامة دولة اسرائيل على الأرض العربية ، وقسمت فلسطين قسمين خصت اليهود بالنصيب الأهم ورمت إلى المسلمين مابقى ، وناصرت أمريكا وأوروبا ما وقع وقيل فى التعليق على هذا الجور : إن من لايملك أعطى من لايستحق !

والواقع أن أحقادا تاريخية هائلة كمنت وراء هذه السياسة الخرقاء بدأت بإسقاط الدولة الإسلامية الكبرى ثم توزيع المسلمين على عشرات القوميات وشغل كل قومية بقضايا محلية وإحراج الإسلام ثقافيا واجتماعيا حتى لايتضح له هدف ولايستقيم له درب .

لكن جماهير المسلمين أبت إلا التشبث بدينها وأهل فلسطين لم يستسلموا قط للضياع الذى كتب عليهم ، ولم تزدهم التضحيات المتلاحقة إلا ثباتا . .

وهنا ظهرت حلول جزئية وسمعت صيحة السلام لتهدئة المواقف وطمأنة المصالح

العالمية . ونحن المسلمين أحرص الناس على السلام وماحملنا السلاح للعدوان يوما لكن ماذا أصنع إذا طردت من دارى وعشت فى العراء؟ ألا أدافع عن أرضى وعرضى؟

إن الدم النقىّ لصربيا الكبرى وجد من يحميه ويفرضه ويرفع علمه فماذا يصنع المسلمون الذين يهيمون على وجوههم بعدما فقدوا ٧٢٪ من أرضهم ، وهلك منهم نحو مائتى ألف .

مامعنى صيحة السلام هنا إلا إعداد الأكفان لدين وأتباع ؟

إن المسلمين وهم خمس العالم لايضيقون بأن يعيش يهود العالم أجمعون بين ظهرانيهم لهم مالنا وعليهم ماعلينا أما أن يضنّ العالم على الرسالة الخاتمة بالبقاء وعلى تعاليمها بالنفاذ وعلى أحكامها بالتطبيق وعلى أتباعها بالإنصاف فهذا باب فتنة كبرى لاتجدى فيها ألاعيب الساسة وحيل الدبلوماسية الحديثة ، وليعلم القاصى والدانى أننا لانفكر فى ترك ديننا وإطراح شريعتنا ونؤثر الموت دون ذلك . .

* * *

محنة الصومال

لا أدرى ما دهى أمتنا فى المشارق والمغارب حتى أمست أرضها نهبا للفوضى والشتات والنكبات؟ ترى مايقول الناس عنا وعن ديننا عندما يذاع أن التهارش بين الأقوياء حال دون وصول الأقوات للجياع من نساء وأطفال؟؟ هل بلغت شهوة السلطة هذا الحدّ من التوحش فتستولى على أطعمة أناس يموتون جوعا بالآلاف كى يقدروا هم على استلاب الحكم؟؟ هل أرض الإسلام هى التى تقع فيها هذه المآسى أو هذه المعاصى؟؟ إن مجىء قوات أجنبية لدعم جوانب إنسانية واضحة فى أرض الإسلام أمرٌ يكاد يبعث على الجنون !

ولا يقع هذا فى الصومال وحده ، بل فى شمال العراق حيث تتدخل قوات أجنبية لإطعام الأكراد وتدفئتهم من زمهرير الشتاء ، فإن الأكراد - فى ضمير البعث العربى - لايشفع لهم دين ولاتاريخ فى العيش السوىّ مع سائر العرب الأشاوس !!

لقد كانوا جميعا أمة إسلامية واحدة ، فكيف صاروا قلة منبوذة ؟

هذه بركات القومية العربية والتعصب الجنسى والبعد عن الإسلام !!

لقد لاحظت أن الصومال عندما انضم إلى الجامعة العربية كان قد قرر استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية! أهذه هى العروبة ؟

ثم لاحظت أن الفكر اليسارى استبدّ بالبلد المسلم فأصبح ذيلا لروسيا حتى ضاقت به روسيا فقطعته وآثرت عليه الحبشة ، فهل عاد إلى دينه بعد هذه اللطمة ؟

إننا لم نحسن الانتماء إلى ديننا ولا العمل به ، بل لم نحسن فهمه فكانت النتيجة مانرى . .

أريد أن يعرف المسلمون أن العبادات لا وزن لها إذا كانت غطاء للدنايا ، أوتنفيسا عن سفساف الأمور . .

إن الإنسان العادى يتحول إلى وحش كاسر عندما يعبد نفسه وعندما ينطلق فى الحياة خادما لمآربها مولّيا وجهه شطر ما ينفعه وحسب ، أى شرف فى سلوك عصابات

تقاتل لتستولى على طعام أطفال يموتون جوعا؟ وهى عندما تشبع تتخاصم بالسلاح على الحكم وإحراز منافعه . .

إن القرآن الكريم يصف عباد الله الصالحين فيقول : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾[1] .

هؤلاء المحسوبون على الإسلام فى هذه الأيام ما أسلموا الوجوه ولا أحسنوا العمل!! لقد تذكرت حديث الرسول الكريم عن أول ثلاثة تُسعَّر بهم النار يوم القيامة إنهم مراءون بالإسلام لم تخصب به قلوبهم ، ولم تطب به نفوسهم ، فما أغنت عنهم قراءة ، ولا أجدى عليهم جهاد أوعلم . .

أما هذا النفر المنسوب إلى الإسلام اليوم فشأنه أعجب ، إنه لم يراء بإسلام لأنه زاهد فيه ، إنه يدور حول نفسه ، ولا يبالى بحاضر الإسلام ولا مستقبله .

* * *

(١) لقمان : ٢٢ .

ردة

بدأت الشيوعية حركة قلّة من الناس تحسن استغلال الجماهير ، والاستفادة من الضوائق التى تخنقها ، وبقيت هذه القلة من الناس فى موقعها القيادى تكسب وتتوسع حتى سمَّت نفسها آخر الأمر الشعب! وملكت باسم الشعب المزعوم كل شىء فى أكبر دول أوروبا ، وأقامت حوله سياجا حديديا يحظر عليه التحرك إلا بإذن ، وحسبه أن يأكل ولو أتفه الزاد وأن يرضى طول حياته بالفتات . .

وفى مقابل ذلك وجد فى أوروبا وأمريكا مايسمّى بالعالم الحرّ يستمتع ويمرح ويجيئه من المستعمرات سيل غدق من الخيرات . .

المهم من هذه اللفتة أن الشيوعية منذ وُلِدتْ وهى قرينة الاستبداد السياسى وما عرف أهلوها طعم الحرية الفردية ، وظهر الشيوعيون العرب يبشرون بالاشتراكية ويتحدثون عن الفردوس المنشود ، ولم ينسوا أن يقولوا إنهم باسم الشعب يعملون ولمصلحته يكافحون ، فما الذى عرضوه على الناس ؟

الخبز والسلام ، هكذا قالوا! هل تم شىء آخر؟ لا الدنيا تغنى عن الآخرة ، فلا تلويح بشىء آخر !

ولم يفلح الشيوعيون فى اجتذاب الجماهير إلى صفوفهم على حين نجحت أحزاب أخرى كثيرة . .

ثم انهزمت الشيوعية عالميا ومحليا ، واختفى الاتحاد السوفيتى وانكسر السياج الحديدى . .

ونظرت إلى أمتنا العربية بعد هذا التغيّر الهائل فرأيت عجبا .

إن هناك حملة كبيرة على الإسلام فتفرست فى وجوه الأعداء الجدد ، فإذا هم شيوعيو الأمس القريب ، الأسماء هى الأسماء وإن تغيرت العناوين ، لقد سمّوا أنفسهم علمانيين ، وزعموا أنهم أنصار الحرية الفردية والاجتماعية ، وأنهم يريدون حزب الرجعية القديمة وتنوير الأذهان من المخلفات الدينية ! !

والعلمانيون العرب يكنون ضغينة سوداء على الإسلام وحده ، ربما قبل العلمانيون الألمان والطليان أن تحكمهم أحزاب تنتمى إلى المسيحية ، وربما قبل العلمانيون اليهود أن تشدَّهم خيوط إلى التوراة ، أما العلمانيون العرب فهم يمقتون الإسلام سرا وعلنا ويرفضون كل صلة به !

هل هذا الإلحاد جديد عليهم ؟ كلا ، لقد كانوا شيوعيين يقولون : لا إله والحياة مادة ، فلا حرج عليهم إذا استمر الكفر وبقيت الردّة واتسعت الحملة على القرآن والسنة ، واتصل النشاط لتكفير الجماهير تحت عنوان التنوير . .

إننى أحذّر من الرِّدّة الجديدة ، إن كفرها صريح بالشريعة وماكر بالعقيدة ، وضيقها بالقرآن نفسه ظاهر ، وهى تستنجد بالحرية وقد علمْتَ أنهم مذ وجدوا أعداؤها ، وأن هدفهم الأول والأخير تمويت الإسلام .

*　*　*

مـقال

فى مجلة «كشمير المسلمة» قرأت مقالا عن النموذج الأسبانى وكيف نقضى على المسلمين فى الهند ؟

ومع أن قراءة المآسى توجع فؤادى إلا أنى أرغمت نفسى على مطالعة المقال إلى آخره لأرى ماذا يقع لإخوان العقيدة فى مختلف القارات ، ومن منهم سيموت بالسيف ومن منهم سيموت بغيره ؟

وقد رجح الكاتب الباكى أن الهندوك اختاروا النموذج الأسبانى فى القضاء على الإسلام بالهند واستقى معلوماته من الساسة والمفكرين الهنود !

لقد سقطت غرناطة سنة ١٤٩٢م وبعد ١٢٠ سنة أى فى أوائل القرن السابع عشر غربت شمس الإسلام نهائيا عن الأندلس بعد سلسلة من المذابح والاضطهادات الدينية الوحشية ! والغريب أنه فى الدورة الرياضية العالمية التى تمت ببرشلونة من عدة سنين احتفل العالم بانقشاع الظلام عن أسبانيا وعرضت تمثيلية هائلة لليل المدبر والحضارة المنتصرة ، وكان الرياضيون العرب والمسلمون يشاهدون وهم واجمون !

إن النسيان لفّهم ، فهم لايدرون شيئا ، أما خصومهم فهم لاينسون مامضى ولا مايجىء . . !

وأرى أن القوى المعادية للإسلام لاتلتزم خطة واحدة فى ضرب عقيدة التوحيد ، وأن تجارب أخرى تتم فى إفريقية لتقليص الرقعة الإسلامية إداريا وثقافيا وسياسيا ، ومع المخادعة ومع المصابرة يمكن أن تتحقق الأهداف !

هناك مائة مليون مسلم فى «نيجيريا» وفى أى انتخابات حرة سيفوز المسلمون بالحكم ، ويرتبط النيجيريون بإخوانهم فى العالم كله فما العمل ؟

الحلّ هو الانقلابات العسكرية التى تساند سياسة علمانية يرضى بها الوثنيون والنصارى الذين احتضنهم التبشير والذين لايزيدون عن ٥٪ من السكان! والإنجليز

يدعمون هذه الحكومات العسكرية ويزينون لرجالها الاستيلاء على الحكم وحرمان المدنيين الفائزين فى الانتخابات من حقوقهم واتهامهم بالخيانة !!

والأم عادة لاتحارب جيوشها وستضطر إلى الاستسلام وقبول التسويف فى قضايا كثيرة وانتظار الوعود بعودة الكثرة المسلمة المستبعدة وخلال ذلك يقضى على عاطفة التدين وتقاليد العفة والحجاب وتمزيق أواصر الجامعة الإسلامية وإشاعة نوع من التعليم المائع لايحترم شخصية الأمة ولا تراثها ، وبذلك يتم القضاء على الإسلام وإن طال المدى ، فَنَفَسُ الاستعمار طويل ! . .

*　*　*

عدتُ.. كئيب النفس

كلما طالعت أخبار المسلمين فى الصحف ، أو تتبعتها فى الإذاعات عدت كئيب النفس كسير الخاطر! ماكنت أحسب أن الضعف يجرّ على أهله هذا الويل كله ، ويغرى الذئاب بالنيل منا على هذا النحو! ثم تذكرت قوله تعالى : ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ .[1]

لقد غفلنا ومالوا ، «**ولأم المخطىء الهبلُ**» كما يقول المثل ، وتأملت فى المفاوضات التى تدور بين الضعيف والغالبين فملكنى الدوار !

يقول المفاوض اليهودى لنظيره العربى : لاتتحدث عن القدس ولا عن المستعمرات ولا عن دولة مستقلة ، ويمكن أن نطيل الكلام فيما وراء ذلك ، فى ظل ميثاق حقوق الإنسان . !

وتنقل الأنباء خلال ذلك مصارع العشرات من الشباب الذين لايملكون إلا الحجارة بالرصاص اليهودى . .

كما تنقل نصائح أصدقاء العرب لهم أن يحافظوا على السلام . . !!

وفى البلقان تتفق القوى العالمية على رفض إمداد المسلمين بالسلاح ، وتمضى المفاوضات المفروضة ومئات المساجد تهدم ، وآلاف البيوت تحترق ، وعشرات الألوف من الناس تزهق أرواحهم . والمهم أن ذلك كله يتم تحت عنوان البحث عن السلام ، وتحرّك وسطاء الأمم المتحدة لإقرار الحقوق المشروعة .!!

ويبدو أن السلام لن يجىء حتى تكون الديار بلاقع ، ويكون الوجود الإسلامى ذكرى منتهية ببركة هيئة الأمم المتحدة . . !!

ثم قرأت هذا الخبر عن مسلمى الهند ومايفعل الوثنيون بهم ، إن عدد المسلمين فى الهند أقل قليلا من أعداد المسلمين فى جامعة الدول العربية! ولا أستطيع بتة أن

---

(١) النساء : ١٠٢ .

أتناسى آلامهم لقد قرأت أن ٧٤ ألف مسلم أجبروا على ترك دينهم . هم مجموع أربع قرى من مقاطعة «ويستك» جنوبىّ الهند تم تحويلهم إلى الديانة الهندوسية . وكان حزب «بوشوا هندوبار يسند» المتشدد قد سارع إلى تغيير وثائقهم المدنية وأخذ يطبق عليهم كل مظاهر الدين الجديد ابتداء من حرق الموتى ، واتباع تقاليد الزواج ، ومنعهم من مخالطة باقى المسلمين فى المقاطعات المجاورة ، وفرض حظر على ترديد كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله » وقال الأمين العام للمجلس الهندوسى العالمى فى مدينة « الله اباد» ليس فى قدرة أحد فى العالم أن يمنعنا من إقامة دولة هندوسية فى الهند خلال العام الحاضر !

يقع ذلك كله وهناك نفر من المثقفين العرب يرفضون الإسلام ، ويمقتون تعاليمه ويتنادون لإقامة مجتمعات علمانية متقدمة !! حتى لانعود إلى حضارة الصحراء .

* * *

ما جاء بكم إلى هنا؟!

الاستعمار الغربى شديد المقت للإسلام والنقمة على أمته ، كما يمقت اللص شرطيا أخذ بتلابيبه ، وحمى الناس من سرقاته ، ثم ساقه إلى السجن ، لكن الشرطىّ للأسف مات وترك ذرية ضعفاء وجد اللص فيهم متنفسا لحقده القديم . . !!

ما الذى أغرى الرومان بالزحف على الشرق ؟

قالوا : سحر الشرق وكنوزه المهملة . .!! وغفلات حكامه ! !

لقد رأيت تمثالا للإمبراطور «قسطنطى» فى الجزائر ، فى البلد الذى أطلق عليه اسمه ، وظل الرومان فيه دهرا . .

ومن قبل ذلك كان احتلال مصر التى عاش فلاحها يكدح لتصدير القمح إلى روما !

ما الذى جاء بهؤلاء الناس ليحتلوا الشمال الإفريقى كله ، ويحتلوا وادى النيل والشام والأناضول ؟

إنه السلب والنهب وضراوة القوىّ بالمستضعفين . .

الغريب أن الإسلام وحده هو الذى أخرج الرومان مدحورين ، وطارد جيوشهم حتى ردّها إلى أوروبا وقطع عنهم الإتاوات التى فرضوها لأنفسهم !

فهل روعيت هذه الحقائق فى كتابة التاريخ ؟

قالوا : فتح العرب مصر ، هل كانت مصر دولة مستقلة ذات سيادة قاتل العرب أهلها واستولوا عليها ؟

لقد قاتل المسلمون الرومان المستعمرين ، ما قاتلوا أحدا من مصر ، وظلوا يطاردونهم حتى أجْلَوْهم من الإسكندرية إلى إيطاليا .

وعندما قرأت غزوة مؤتة خيّل إلىّ أن هذا بلد أجنبى يمتلكه الرومان ، ثم عرفت بعد أن مؤتة فى الحجاز كدمنهور فى مصر ، بلد عربى خالص .

قلت ما جاء بالرومان إلى هنا ، وما الذى أغراهم بوقف سير الدعوة الإسلامية شمالىّ الحجاز ؟

لكن الله غالب على أمره ، لقد ظل «الفتح» الإسلامى يقاتلهم شبرا شبرا . فلما أصاب منهم مقتلا فى معركة اليرموك خرج هرقل من الشام وهو يقول : سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده !

اخرج لا ردّك الله ، ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

وما الذى قدمتم إلى الناس طول مقامكم بينهم ؟ الإذلال والكفر !

لقد شاء الله أن يكون الإسلام وحده مؤدب أولئك الطغاة ، ففى العصور القديمة والوسطى كان الرومان جاثمين على صدور الناس ينالون منهم ماشاءوا حتى ظهر خاتم الأنبياء «محمد» ، وقذف بالرجال الذين رباهم على قلاع الظلم فتساقطت قلعة قلعة بعد ما ظلت ألف عام لايحركها شىء! أفلا يكره الأوروبيون الإسلام بعد ذلك ويكيدون له ما استطاعوا ؟

* * *

كيف نكتب التاريخ؟!

سرنى أن جماعة الإغاثة الإسلامية فى البوسنة والهرسك هى التى تجمع الأخبار والحقائق عن الحرب الدائرة هناك! وإذا لم يهتم المسلمون بذلك فمن الذى يهتم ؟

إن دراسة التاريخ القريب والبعيد عبادة ، وقد كان الصحابة يروُّون لأولادهم مغازى الرسول كما يحفظونهم السورة من القرآن . وإننى أحسّ فزعا كبيرا من جهل أمتنا بالوقائع الخطيرة فى حياتها ، يبدو أن المشاكل الاقتصادية والسياسية للساعة الحاضرة أحاطت بهم ولفّتهم فى ضباب قاتل ، وإلا فما هذا الجهل والانحسار ؟

ذلك وقد رأيتُ بعض المتدينين يهتمون بقضية المسح على الجورب أكثر من اهتمامهم بسقوط قطر إسلامىّ فى يد الأعداء! فأى تديّن ذلك ؟

إننا بحاجة إلى أن نعرف مايقع لنا ، وما يعترض مسيرتنا ومدى العداوة التى تواجهنا وحرام والله أن نلتقط هذه المعلومات من أفواه المراسلين الأجانب الذين تتحكم فى مروياتهم أهواء شتى . .

إننى مع ألوف غيرى كنا نقرأ أن «**طارق بن زياد**» أحرق سفن المسلمين وألهب مشاعر جنوده كى يفتحوا الأندلس .

والحق أن هذه رواية مختلقة لاسناد لها .

والغريب أن المصادر الأوروبية مجمعة على أن الأسبان الثائرين على مليكهم الفاسق هم الذين استنجدوا بالمسلمين ، وقدموا لهم العون ، وأغروهم بفتح «الأندلس» وإنقاذ شعبه المقهور !!

لماذا لا نستوعب كل مايقال فننصف أنفسنا ورسالتنا ؟

ولماذا لانزال ندرس سقوط بغداد على أنه غارة تتارية بدل أن نتدبر الروايات الأوروبية التى تؤكد أنه حَمْلة «مغولية صليبية» شارك فيها الفاتيكان مشاركة فعالة ؟

إن جهود المؤرخين المسلمين قاصرة ، ونشاطهم مشلول ، والغارة على الإسلام فى هذا العصر لانجد من يسجل أنباءها ، مع كثرة هذه الأنباء ومرارتها واتساع جَبَهاتها وإنه

مما تسوَدُّ له الوجوه أن يهلك الألوف من المسلمين جوعا ومرضا ، بينما تبحث ألوف أخرى عن الاستجمام والراحة لأنها لاتدرى شيئا عما يقع لإخوانهم . .

أناشد أيقاظ المسلمين أن يسدّوا هذا النقص .

إن أنباء كالحة تجىء عن مسلمى الهند الذين قهرهم الهندوس ، وكما هدمت مئات المساجد فى مدن البوسنة وقراها هدمت أمثالها فى أرجاء الهند ، إن الغارة على الإسلام تشعبت وغارت جراحها والمسلمون الآن يُناوَشون شرقاً وغرباً ، وضعف المقاومة يعنى الموت . .

فليكن هذا الكتاب صيحة لها مابعدها ، ولتتجاوب النداءات من كل مكان حتى تصحو الجماهير الغافية : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ .[1]

* * *

(١) هود : ١٢٣ .

فتـــن

لا يزال جهاز المناعة فى كيان الأمة الإسلامية يؤدى وظيفته ، ويحمى هذه الأمة من الأزمات والفتن التى يبثها أعداؤها ، ومن الخطأ أن تحسب شموع الإسلام قد انطفأت كلها وأن الظلام يهدد مستقبله ، وأن أمة أخرى ورسالة أخرى موشكة على الظهور! . كلا ، ليس بعد رسالتنا رسالة ، ولا بعد أمتنا أمة ولاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ، وكتابنا باق إلى يوم البعث ، وسنقول للمجرمين الذين حاربونا : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ .[1]

وقد وعد الله «عيسى بن مريم» بأنه نازل لتوكيد عقيدة التوحيد ، وأنه لن يجىء لغير هذا الهدف الذى قرره فى حياته الأولى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ .[2]

والقول بأنه سوف يبيد الملايين من الناس فى معركة «هرمجدتون» تمهيدا لقيام مملكته قول مستنكر . .

إن المسيح إذا نزل الآن فسيدافع عن المسلمين فى «البوسنة» و«الهرسك» وسيدافع عن المضطهدين فى كل مكان ، وسيحفّ به المسلمون فهم أولى الناس به . قال تعالى :

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .[3]

ومزاعم الإنجيليين « البروتستانت » أن قيام إسرائيل الكبرى شرط لنزوله خيال مريض ، بل هو نوع من التضليل الصهيونى الذى وقع المساكين فى حبائله ، والنبوءات

---

(١) الروم : ٥٦ .

(٢) آل عمران : ٥١ .

(٣) آل عمران : ٥٥ .

التى عندنا – وهى أصدق مما اختلقوه – أن اليهود يحفرون فى فلسطين مقابرهم ويخطّون مصارعهم ، ولن تقوم بإذن الله إسرائيل الكبرى ولن تبقى إسرائيل الصغرى ، وإن غداً لناظره قريب .

أعرف أن الخلافة الإسلامية سقطت من سبعين سنة ، وأن الجامعة الإسلامية تعرضت للتذويب والمحو ، وأن النزعات القومية تعمل بدأب على استبعاد التشريع الإسلامى والتربية الدينية ، وأن محنا شديدة تمر بالمسلمين المعاصرين . .

ولكن شيئا من ذلك لن يفتّ فى عضدنا ولن يقذف باليأس فى قلوبنا ، فقد مرت بنا عَبْر تاريخنا الطويل محن أقسى وظلمات أشدّ ، ثم نجونا واستأنفنا المسير!

والذى أريد تذكير إخواننا به فى المشارق والمغارب أن وعد الله لنا بالتمكين مشروط بشىء واحد ﴿ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[1]

وقد أردف ذلك بما يربط على قلوب المؤمنين : ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .[2]

إن الصهاينة من المسيحيين يخونون دينهم عندما ينضمون إلى اليهود فى حربنا ، وسواء كانوا رؤساء أو مرءوسين فإن مصيرهم كالح : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .[3]

* * *

(١) النور : ٥٥ .
(٢) النور : ٥٧ .
(٣) الشعراء : ٢٢٧ .

دليل الإقناع

بعض الناس قد يستريح إلى عقيدة مّا أومنهج مّا ثم يمضى فى طريقه لايلوى على شىء . .! لعله يؤثر الصمت أويكره الجدال أوييأس من إقناع الآخرين بصحة ماعنده وبطلان ماعندهم . .

وهذا الصنف قليل فى الدنيا ، أو كان يمكن أن تتسع له الحياة قديما فيحيا وحده ويموت وحده !

أما فى عصرنا فإن العلاقات العامة فرضت نفسها على الناس ، فما يستطيع أحد أن يعيش فريدا . .

كان المثل المضروب قديما (**السلطانُ من لايعرف السلطانَ**) أما الآن فهذا متعذر فإن من لايعرف السلطان سيسعى السلطان إلى معرفته وفرض نفسه عليه . . !!

إن الحكم الآن صنع شبكة من العلاقات المادية والأدبية تمنع أى فرد من أن يعيش فى قوقعة ومعنى ذلك أنه لابد من الحوار والأخذ والرد وعرض وجهات النظر والاعتماد على الدليل فى الإقناع والاقتناع وإعطاء الرأى المعارض حق الحياة مادام مصحوبا بالإخلاص والتجرد . ويضيف الإسلام إلى ذلك دفع السيئة بالحسنة : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ .[1]

وترك اللجاجة تأخذ مجراها حتى يبتّ فى مصيرها القدر فماذا تفعل لأناس يقولون لله : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .[2]

وأنا أحترم حرية الرأى إلى أبعد حد ولكنى أكره الغباء والافتراء ومساندة الدعوى بالعصا واستغلاق العقل بحيث تعجز كل مفاتيح الحقيقة عن فتحه ! إن المكابرة رذيلة بغيضة ! !

(١) المؤمنون : ٩٦ .

(٢) الأنفال : ٣٢ .

وقد وجه الإسلام من أول تاريخه بمجادلين طوال الأنفاس يرفضون الله الواحد ويستريحون إلى أوثان متعددة ، يأنف أحدهم من السجود لقيوم السماوات والأرض ويذل أمام حجر أصمّ

وقد استعرضت سورة غافر أحوال هؤلاء المجادلين الذين كذبوا بالكتاب كان آخرها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ﴾ . (١)

إن ردّ القرآن الكريم ليس تكذيبا له وحده ، إنه تكذيب لكل وحى نزل ، إنه تكذيب لموسى وعيسى ومحمد . .

وقد نظرت إلى المتدينين فى الغرب فإذا هم غثاء فى تيار الحضارة الحديثة ، يكرهون الإسلام لأن آباءهم كرهوه ، فهل آمنوا بموسى وعيسى؟

وهل استعدّوا بشىء للقاء الله ؟

كلا إنهم جزء من الحضارة التى تعبد اليوم الحاضر وتكره اليوم الآخر .

إن أقطار الغرب استباحت الشهوات والمظالم ، واحتفت بالجنس الأبيض وتجهمت لسائر الأجناس .

وما أنكر أن المسلمين فرطوا فى تراثهم وخانوا رسالتهم ولكن ذلك لايمنع من التنبيه إلى الهاوية التى تجرنا إليها حضارة أضاعت الصلاة واتبعت الشهوات .

* * *

---

(١) غافر : ٦٩ ، ٧٠ .

عواء الإلحاد

أَتَسمَّع أنباء القتال فى البوسنة ، وأتابع مصارع المسلمين على أرضها ثم أنثنى على كبدى من خشية أن تصدعا كما يقول الشاعر! من ثلاثين شهرا والحرب دائرة هناك والمسلمون تحت الضغط الهائل يتراجعون شبرا شبرا وفوق كل شبر قتيل طُلَّ دمه ورخص ثمنه !!

والعالم كله يمنع السلاح عن المسلمين ، روسيا وحلفاؤها ، والأوروبيون جميعا ، وأمريكا التى اكتفت بالكلام الحماسى والتلويح باليد عن بعد! ويسمع الناس مذهولين أن حلف الأطلسى عجز عن مواجهة العصابات الصربية ، وأن ممثلى هيئة الأمم ينصحونها بالفرار !! أعنى ينصحون الهيئة الموقرة ، وأن مواثيق حقوق الإنسان وضعت على الرف . .

وأنظر إلى المسلمين حولى فأرى أناسا يذوقون لباس الجوع والخوف ، ويتحركون على الأرض كأنهم سكارى ولايدرون ما يصنعون !!

وسمعت إذاعة لندن تقول إن الصربيين يقاتلون بمهارة ويتقدمون بشجاعة ، وأنهم سوف يطلقون سراح بعض الأسرى من جنود هيئة الأمم !!

قلت : لماذا لايقاتلون بشجاعة والطائرات تحميهم من فوق والدبابات من تحت والمدافع البعيدة المدى تمهد لهم الطريق ، أما المسلمون فهم يقاومون بالبنادق أوبالسلاح الأبيض ويسكتون بطونهم بلقيمات لاتسدّ جوعا ، إننا فى بلادنا – والبرد خفيف – نتقيه بشتى الأغطية أما هم – ودرجة الحرارة عندهم تحت الصفر – فما يجدون دِفْئا إلا من فضلات المتصدقين !

إننى فى هذه الأيام العجاف أتذكر الهاربين من التتار عندما سقطت بغداد ، والهاربين من الصليبيين عندما سقطت غرناطة ، الجراح الجديدة تنكأ الجراح القديمة وتبعثنى على التساؤل : ما سرّ هذه النكبات بين الحين والحين ؟

والجواب : نحن السبب كما قال الله لنا عندما هُزمنا فى أحد : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ . [١]

لقد أمرنا الله بالعدل فلماذا نتظالم .

وأمرنا بالإحسان فلماذا نسىء .

وأمرنا بالوحدة فلماذا نتفرق .

وأمرنا أن نتحاكم إلى كتابه فلماذا نتحاكم إلى الطاغوت؟؟

هل جرّب المسلمون أن يصطلحوا مع الله ويقيموا شرائعه وشعائره ؟

إننى أسمع عواء لدعاة الإلحاد فى عواصم إسلامية كثيرة ، عواء يرتفع دون وجل أوخجل ، إننى أرى سباقا مجنونا لإرضاء اليهود ومَنْ وراءهم على حساب الأرض والعرض ، إننى أرى دولا علمانية وشعوبها مسلمة تقول للحكومات الأوروبية : ساعدونا لنبقى علمانيين ونحول بين الأجيال الجديدة والعودة إلى الإسلام !

إن الإسلام يخان فى أقطار كثيرة والقاعدة التى درسناها فى كتابنا :

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ﴾ . [٢]

* * *

(١) آل عمران : ١٦٥ .

(٢) آل عمران : ١٦٠ .

حميّة للإلحاد

يعرف المسلمون «أذربيجان» منذ عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، فقد وصل الإسلام إليها واستقر فيها قبل أن يطويها المدّ الشيوعى فى فيضانه النجس فيحرج عقيدة التوحيد ، ويرجح كفة الكفر والفسوق والعصيان .

وقد ساءنى أن ينهزم الجيش الإسلامى أمام الأرمن ، ويبدأ السكان فى الفرار! وتساءلت ما سر هذه الهزيمة المباغتة ؟

فعلمت أن أسلحة ثقيلة ومتطوعين كثيرين وفدوا من روسيا يشدّون أزر الأرمن ويقوُّون حملتهم لأنهم - وبقايا الشيوعية فى دمهم - يكرهون أن ينتصر الإسلام ويعز أهله . .

ولست أدرى ما المستقبل؟ فإن ما يقع الآن فى أذربيجان سبق أن وقع أنكى منه فى البوسنة والهرسك ، فدحر الأهلون وهدمت مساجدهم !

ولم تنكمش ظلال المحنة بعد ، بل الذى أراه أن الإسلام يضرب فى كل مكان ويحرج فى أكثر من ميدان ، فالذين طردوا من «بورما» لم يعودوا ، وهم الآن لاجئون مثل إخوانهم فى فلسطين ، ومسجد بابرى فى الهند لم يهدم وحده ، وإنما هدمت معه مساجد كثيرة ، ومسلمو الفلبين يعيشون فى وجل مخافة أن ينفجر بين لحظة وأخرى بركان التعصب الصليبى فيخوضوا حربا لاتعرف نهايتها . . !

لقد لاحظت أن العلمانيين داخل العالم الإسلامى ووراءه يحرضون أتباع الأديان الأخرى على الإسلام ، ويختلقون لهم الأعذار ، وربما نسبوا إلى المسلمين عدوانا لم يعرفه اليهود ولا النصارى ، وليس ذلك حبا للكنيسة ولكنه كره للمسجد . . !

وفى تتبعى للمعارك الأدبية والاجتماعية وجدت العلمانيين - وجمهرتهم من الشيوعيين المنافقين أوالصرحاء - يتنادون بين الحين والحين لضرب الإسلام فى هذه

المعركة أوتلك ، وينصر بعضهم بعضا إذا وجده مُحرجا ، بل قد ينصره لغير سبب حَميَّة للواء الإلحاد الذين يجتمعون تحته !

وقد رأيت أخيرا مظاهرة لهم اشترك فيها عشرات من الأساتذة ردًّا على ضيرْ توهموا نزوله بواحد منهم !!

إن ذلك يجعلنى ألفت نظر الإسلاميين إلى المستقبل القريب والبعيد لديننا المثخن بالجراح ، إن خيرا لهم أن يتقاربوا وأن يلمّوا شملهم فإن النذر المقبلة تؤذن بشر مستطير ، إن أعداء الإسلام طامعون فى القضاء عليه ، وحاضرنا ملىء بالخسائر فإذا لم نتلاق على كلمة سواء تلاقى أعداؤنا على رفاتنا .

* * *

من ذكريات حرب رمضان

انتظرت أن يكتب غيرى فى هذا الموضوع ولكنى وجدت الصمت ممتدا فقلت ما بدَّ من الكلام عن نشاط الدعاة المسلمين بين الضباط والجنود قبل معركة العاشر من رمضان . .

كان الشيخ حافظ سلامة يجيئنى صباح الخميس من كل أسبوع ليقول لى نريد نحو عشرين من الأئمة والوعاظ يتوزعون على الجبهة ليلقوا الدروس الدينية فى المساء ويخطبوا الجمعة ويرفعوا الروح المعنوية! ويتعاون الأزهر والأوقاف على اختيار العدد المطلوب ، وتنقلنا السيارات إلى السويس ويدلنا الشيخ حافظ على أماكن عملنا فنذهب إليها لننفخ روح القوة والأمل ونروى فصولا من السيرة النبوية وفتوح الخلفاء ومقاتلة الصليبيين على امتداد قرنين ، ويتحول السمر الدينى بالليل والدرس الحماسىّ بالنهار إلى تيار كهربىّ متصل فما نترك الفرق المعسكرة على ضفاف القناة إلا وهى ترجو الشهادة وتنتظر اليوم الموعود !

ولم يكن ذلك جهدا سهلا فإن هزائمنا السابقة تركت فى النفوس رواسب مقلقة . كيف انتصر اليهود سنة ١٩٦٧؟ وكيف استطاعوا خلال ساعات أن يوجهوا إلينا ضربة قاضية ؟

إن قيادتنا كانت فى غيبوبة! ما أعدت للحرب عُدّه ، وما وضعت لها خطة ففوجئنا بأن الجيش الذى هزم أوروبا فى «حطين» وهزم آسيا فى «عين جالوت» وشتت شمل الصليبيين والتتار فى معركتين هائلتين فوجئنا بأن هذا الجيش يحاط به وينال منه وهو فى الحقيقة مظلوم .

ما أشبه جمال عبدالناصر بصدام حسين هذا ذهب بجيشه لاحتلال الكويت وهذا ذهب لاحتلال اليمن !!

ما لكما ولليمن والكويت ، ولماذا تركتما فلسطين نهبا لليهود ؟

ولما دارت الحرب لم نر للرجلين خططا مدروسة ، فلم يكن بد من الهزائم الموجعة .

كنا نرى إخواننا على ضفاف القناة مقطبى الجبين كاسفى البال غضابا لما حلّ ببلادهم وسمعتهم ولكن الإيمان صانع العجائب والاتصال بالدين فعل بنفوسهم فعل السحر فكانوا يتحركون وفى صدورهم شحنات من اليقين المضغوط حوّلهم إلى جنّ عندما بدأت المعركة فهم يدوسون خط بارليف ببأس شديد ويجرون فوق الجدار الرملى كأنهم مدعوون إلى حفل ويهبطون بالردى على خصومهم فيملؤونهم رعبا وقنوطا .

ويعلم الجنود أن الإفطار فى رمضان جائز لهم ، ولكن بعضهم أبى أن يفطر وقال : لعلى فطورى يكون فى الجنة !

وكانت الجبهة الممتدة على أربعين ميلا تدوى بالتكبير وتقذف بالرهبة فى قلوب العدو فما يرى أمامه إلا الاستسلام أوالموت . كان نداء الله أكبر قد ألغى! ثم فرضته طبيعة الإيمان فى شعبنا المؤمن .

إن أعداء الله ورسوله كثيرون . ومنهم من يكره كلمة الله أكبر أشد الكره ، وهؤلاء من وراء الانهيار الملحوظ فى الجبهة العربية اليوم ، الجبهة التى لا تبالى بالمسجد الأقصى ولا بمصير ملايين اللاجئين .

* * *

ثبات عميق

مسجد «بابرى» بشمال الهند ظل أربعة قرون مثابة للمسلمين يقيمون فيه الشعائر ويتقربون إلى الله الواحد لايشعرون بقلق ولا ريبة ، ولكن الاستعمار الانجليزى للهند غير الأوضاع وخطّ للأمور مجرى آخر إذ جعل «الهندوس» حكاما للبلاد وأبعد المسلمين عن مناصب القيادة وأحيى النزعة القومية وزعم - باسمها - أن المسلمين - وكانوا ثلث السكان - لايجوز أن يحكموا البلاد كما كانوا أيام الفتح!! وبهذه الخطة الانجليزية حكم الوثنيون الهند ، وكانوا كثرة ساحقة ووجدوا الفرصة سانحة لإنزال الإسلام عن مكانته وتحويل المسلمين إلى رعيَّة مسحوقة . .

وانتهى الصراع بين الفريقين إلى مانعلم ، فقد قامت باكستان الكبرى ثم انقسمت بعد إلى دولتين!! وحمل المسلمون الباقون فى الهند عبء الأوضاع الجديدة وهم يبلغون ١٥٠ مليونا وإن زعمت الإحصاءات المزوّرة أنهم دون ذلك . . لكنهم مع هذه الكثرة تائهون وسط أكثر من ستمائة مليون وثنى لايزالون يعبدون الأصنام ولكن أوروبا تدعمهم ماديا وأدبيا حتى لتوشك الهند أن تتحول إلى دولة كبرى . .

ومحاربة الإسلام ، وقهر أتباعه وتمويت شعائره شىء محبب للغرب والشرق معا ، وقد كانت هناك فلسفة علمانية تحكم البلاد ، وتكفكف غلواء الوثنية الحالمة ، لكن يبدو أن كفَّة العلمانية خفّت ، وأن حزبا آخر يعتمد على الهندوكية يوشك أن يأخذ الزمام . .

ورئيس هذا الحزب هو الذى أصدر الأمر بهدم المسجد التاريخى كى يبنى المتعصبون على أنقاضه معبدا للإله «رام» !! وقد أحْضَر الهادمون تمثال الإله «رام» هذا كى يضعوه فى ساحة المسجد الذاهب !!

والمضحك أن جند الحكومة المركزية لما جاءوا لإجلاء الهاجمين على المسجد ، ورأوا التمثال سجدوا له ، وإن كانوا نجحوا فى إجلاء الألوف التى هدمت المسجد !

وفداحة المأساة تظهر عندما نعلم أن «أرثوذكس الصرب» هدموا فى البلقان مئات

المساجد ، وأن الأمة الإسلامية تواجه فى شرقها وغربها غارة شعواء تحاول الإطاحة بمعالم الإسلام ، والقضاء على رسالته . .

إننى أناشد المسلمين فى كل شبر من أرض الإسلام أن يصحوا من رقادهم وأن يهبّوا للدفاع عن تراثهم ووجودهم . .

إن العداوات القديمة استيقظت بغتة وهى تحسب أن الظروف تساعد على محونا والإجهاز على ديننا . .

فى كل حارة أوميدان ، فى كل قرية أومدينة ينبغى أن نتلفت حولنا فقد تكون هناك مكيدة مدبَّرة لديننا ونحن لاندرى .

وسوف ينصر الله من ينصره ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . [1]

* * *

(١) محمد : ٧ .

هل نفيق؟

ما أكثر السهام المُصوَّبة للإسلام فى هذه الأيام! كأن القوى المعادية له وجدت الفرصة مواتية للنيل منه وإصابة مقاتله . .

ونحن لن نصرخ مع هذا البائس اليائس الذى يقول :

فلوكان همٌّ واحد لاتقيته ولكنه همٌّ وثان وثالث . .

بل سنبقى فى مواقف الحراسة عن ديننا وردّ الهجمات الغادرة التى يتعرض لها ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ . (١)

راقبت الضحايا فى القتال الذى يدور فى يوغوسلافيا فإذا هم بين الكروات والصرب عشرات ، لأن الكروات كاثوليك يؤيدهم البابا ودول أخرى . .

أما القتال بين المسلمين والصرب فالقتلى مئات ، وقد يصلون إلى الآلاف لأن المسلمين ليس لهم ظهير يفزع لهم ويدفع عنهم !!

ومن قبل فرَّ مئات الألوف من مساكنهم فى بورما وقتل الآلاف دون أن يؤدب المجرمون أويشعروا بخوف مما اقترفوا . .

قال لى صديق : وما العمل الذى كنت تقترحه لقمع الوثنية البوذية فى بورما ؟ وشلِّ يدها عن إيذاء إخواننا ؟

قلت : التناصر عنصر أصيل فى الأخوة الإسلامية ، ولو تحرك البنغاليون والباكستانيون مُلَوِّحين بالقوة العسكرية لتراجع المعتدون وجنبوا ، ولو وقع ذلك لكان لزاما على الدول الإسلامية كلها أن تساعد بنجلاديش وباكستان وتشد أزرهما حتى يثوب البوذيون إلى رشدهم ويأمن المسلمون فى مواطنهم . .

---

(١) إبراهيم : ١٢ .

إن فقدان روح التناصر يرجع إلى ضعف الأخوة العامة ، وضعف هذه الأخوة يعود إلى أن الإيمان مريض ، والصلة بالله واهية !!

وربما لا يحتاج الأمر إلى قتال أوتلويح به ومع ذلك ندع ديننا يخذل فى قضايا قد تكون محدودة ولكن دلالتها صارخة .

خذ مثلا ما وقع أخيرا فى «إريتريا» إن المعهد الإسلامى فى العاصمة «أسمرة» تحوَّل إلى مدرسة مدنية عادية! وقد كان هذا المعهد تابعا للأزهر ، ودرَّس به نفر من كبار علمائه ، وإلى جواره مسجد شامخ . . فما معنى محو الصبغة الإسلامية له ؟

ولماذا تفعل ذلك الثورة الساعية إلى استقلال إريتريا ؟

هل محو الصبغة الإسلامية عن التراب الوطنى شرط هذا الاستقلال؟ ومسلمو إريتريا تسعة أعشار السكان ؟

إن هيلاسلاسى تمثال الحقد الصليبى فى القارة السوداء ، لم يفعل ذلك فكيف يتجرأ عليه الثوار الجدد ؟

والغريب أن هيئة الأمم المتحدة لا تستضعف إلا المسلمين فى تنفيذ مقرراتها ، فإن إسرائيل كما يعرف القاصى والدانى رفضت الخضوع لهذه القرارات ، وأقامت مؤسسات ذرية تحت سمع العالم وبصره ، ومع ذلك تعامل برقة شديدة ، وعطف بالغ ويقال علانية : إن قواها – وهى مفردة – يجب أن تساوى قوى العرب مجتمعين . .!! أوتزيد . .

ما أرخص الدم الإسلامىّ فى هذه الأرض! وظاهر أن القصعة لا تزال حافلة بالطعام وأن الآكلين يعزمون على ضيوف جدد كى يشاركوهم فى الأكل!! ترى هل نفيق !!

* * *

المد الإسلامى

ابتلى الإسلام فى القرن الأخير بثلاث مصائب كبرى : أولاها نجاح الاستعمار العالمى فى إلغاء الشريعة الإسلامية وإبعادها عن القضاء واستبدال الأحكام الأوروبية بها .

وثانيتها إقامة دولة لليهود على أنقاض العرب ، وتقليب الأمور فى الأقطار المجاورة حتى يُعترف بهذه الدولة وتنشأ مجتمعات تتعاون معها سياسيا واقتصاديا . .!!

وثالثة المصائب النشاط العالمى والمحلى لضرب التيارات الإسلامية المتشبثة ببقايا الإسلام المقيمة لشعائره الظاهرة الحنين لآدابه ومعالمه !

فقد ظهر أن العالم الإسلامى لايزال يؤثر العفاف على الرذيلة والاحتشام على التكشف والتقوى على الانحلال ، ولايزال يأوى إلى ظل الأسرة ويرفض التسوّل الجنسىّ ويحترم الحجاب ويحتقر الشذوذ ، والأجهزة الراصدة للنشاط الدينى عندنا أثبتت أن مقيمى الصلاة يزيدون ولا ينقصون ، وكذلك صوام رمضان وطالبو الحج . . وإذا ترك المسلمون على هذه الحال فقد يستردون ما فقدوا ، وتعلو راية الإسلام مرة أخرى!! فما العمل ؟

يجب أن تنشط الحرب ضد الإسلام ، وأن تكون وسائل القضاء عليه أمكر وأدهى!

إن المسلمين زادوا زيادة ملحوظة فى السنين الأخيرة فلتقف هذه الزيادة فورا . .

فإن آثارها غير مأمونة وكما قررت هيئة الأمم إقامة إسرائيل من خمسين سنة ، فلتقرر الهيئة تحديد النسل الآن ولتمنع ما يسمَّى بالانفجار السكانى ولتضع من وسائل الترغيب والترهيب ما يقلِّص أعداد هذه الأمة المتنامية !

وقد قرأت وأنا دهش كيف طلبت الهيئة الموقرة (!) منع الزواج المبكر فى حين أن الدول العظمى أقرت الشذوذ المبكر ، ومنذ شهور أباح مجلس العموم البريطانى اللواط إلى سن الثامنة عشرة! أما الزواج المبكر فهو مكروه .

وقد استغربت وضع العوائق أمام الطالبات اللائى يرغبن فى الحجاب ، فهل وُضع عائقٌ أمام راقصة تتلوى أمام الجمهور كالحية الرقطاء تستفزّ الغرائز الهاجعة ، وتثير الرغبات الحرام ؟

إننى أتوقع قرارات رسمية وحملات دعائية ومؤامرات استعمارية لضرب الإسلام فى مقاتله وفضّ الجموع التى تحنّ إليه وتريد إعادته دينا ودولة وعقيدة وشريعة ، وأناشد أمتنا أن تواجه الغارة عليها بالمقاومة الصادقة واليقظة العارمة .

* * *

الشخصية الإسلامية

الشخصية الإسلامية مُهدَّدة فى هذه الأيام تهديدا محرجا لا فى المعالم التى تمحوها عوامل التعرية بل فيما هو أخطر من ذلك وأدهى! فى كيانها نفسه . .

فإن التطبيع الاسرائيلى والامتداد الفرنكفونى يتسابقان جميعا لزحزحتنا عن ديننا والإتيان على تراثنا . .

عندما قررت الحكومة الفرنسية منع الحجاب فى مدارسها كان القرار نفسه قد صدر فى بلاد إسلامية أخرى فمنعت الطالبات ، بل منعت الموظفات والممرضات من ارتداء الحجاب ، والمقصود بداهة إكراه المسلمات على التفريط فى الإسلام ، وكان ذلك من بضع سنين ، وجاءتنى شكاوى كثيرة - وأنا فى الجزائر - من هذا التصرف الشرير الذى وقع فى بلاد مجاورة .

ثم شاء الله أن يحكم القضاء الفرنسى ببطلان القرار الوزارى لأنه ضد حقوق الإنسان !

ولكن التعصب عاد هذا العام يرفض التحجب بوصفه من رموز الإسلام ، والغريب أن مصر سارعت إلى تنفيذ هذا القرار الفرنسى بوصفها من الدول الفرنكفونية فيما يظهر !!

ومعروف أن فرنسا من أشد الدول ضغينة على الإسلام وتعاليمه وتاريخه ، وهى تحارب الثقافة الإسلامية كما تحارب الشارات الإسلامية استئنافا لمهمة ابنها البار «بطرس» الناسك ، واستهانة بحلفائها المسلمين الذين يظلهم علم الفرنكفونية الجليل!!

أما التطبيع اليهودى فله شأن آخر ، يجب قبول الأمر الواقع فى احتلال القدس وأغلب فلسطين ، والرضا بذلك سرا وعلنا ، فبعد الصلح الواجب مع إسرائيل ينسى المسلمون أنهم كانت لهم هنا دولة ، وأن أهلها هربوا ولن يعودوا ، ولايجوز التفكير فى إعادتهم ، ويجب أن يدرس تاريخ اليهود القديم والحديث دراسة أخرى يتوفر فيها الاحترام لليهود وأخلاقهم وأعمالهم وخبراتهم !

لكن ما العمل إذا كان القرآن نفسه قد صوّر مآسى بنى إسرائيل وتحالفهم مع عبدة الأوثان ضده ؟

الخطب سهل ينسى المسلمون هذا القرآن ، أويتجاوزون عند تلاوته الصفحات التى يضيق بها اليهود! لماذا يكررون قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ . (١)

ليقرأوا غير ذلك! ولا داعى لدراسة خيبر وبنى النضير وغيرهما !

إن تطبيع العلاقات يوجب تغيير التاريخ . .

وعلى دعاة الهزيمة والراضين بها تغيير الشخصية الإسلامية ، بل عليهم التنازل عن دينهم كله جملة وتفصيلا ، حتى يرضى اليهود . .

* * *

---

(١) المائدة : ٧٨ .

سماسرة الكفر

الاستعمار الثقافى أحرز انتصارات واسعة فى العالم العربى وتكونت له عصابة من الكتاب ذوى القلوب الخربة تخدم أغراضه وتزين مقابحه وتحارب من حارب وتسالم من سالم ، وأعضاء هذه العصابة من الصنف الذى قال الله فيه : ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ .(١)

وقد تأملت فى سيرتهم فرأيتهم يكرهون الله كرها شديدا ويشمئزّون من وحيه ويهشون لكل هجوم عليه ويصرون على تمويت شرائعه وتشجيع كل خارج عليها فى الشرق أو فى الغرب ، ولو علموا بأن على سطح المريخ ملحدا لأرسلوا إليه يؤيدونه .

إننى أعرف أن بالأرض كفارا وأن بها مؤمنين وأن بها دعاة للخير ودعاة للشر ولكنى لم أعرف سمسرة للكفر أضرى من هذه السمسرة .

إنهم إذا وجدوا رجلا تاب سارعوا إليه يقولون : كنت عاقلا فما دهاك ؟

وإذا وجدوا أحدا شتم محمدا سارعوا إلى كتاباته ينشرونها ويثنون عليها ، وقد ضلت أخيرا امرأة من البنغال واحتضنها الغرب الصليبى على عجل وطار إليها أولئك الكتاب العرب يشجعونها وينقلون هذرها إلينا بلا حياء وكأنهم يقولون لأهل مصر : تعلموا من هذه العبقرية .

واستغربت من استماتة هذه العصابة الحقود . فى نشر رواية «أولاد حارتنا» برغم أنف صاحبها !

لقد قرأت ماكتبه نجيب محفوظ فى السنوات الأخيرة ، كانت كتابات واعية لعقل مجرب يبغى الخير لأمته ، فإذا نفر من سماسرة الكفر يعلنون بأنهم سينشرون الرواية التى صدرت من خمس وثلاثين سنة ، وقال لهم مؤلفها : إن الجو غير ملائم !

---

(١) الأعراف : ١٤٦ .

وقـالوا هم نريد نشـرها! يظنون بذلك أنهم يكيـدون للإسـلام وينالون من سلطانه الروحى على الجماهير !

والعـيـب الأكـبـر ليس فى هؤلاء المارقين ، إنه فى من مكّن لهم وأكـره الناس على قراءتهم وأعطاهم صدور الصحف السيارة يملأونها بالغثاء ويُنفِّسون عن ضغائنهم ضد الإسلام وأمته !

فى لقاء عام قابلت واحدا من هذه العصابة فرأيت فى جيده قلادة من ذهب ، فلم أستغرب أن يستنوق من الجمل ، لقد ألفت رؤية هذه النوق ، وإنما استغربت أن تلقى الأمة زمامـها لهذا الصنف الملتاث الذى لا يُرى أبدا فى مسجد وقد يُرى فى إحدى الحانات يشرب الإثم ويستعد لكتابة مقال يفسد به الأجيال الجديدة ، ويُجرِّئها على ترك الإسلام بعضه اليوم وكله غدا .

* * *

مفسدو الأوضاع

عاصرت فى شبابى نهضة أدبية عارمة فى ميدانى الشعر والنثر جاءت بعد قرون مجدبة كما يجىء الغيث بعد قحط طويل ، كان هناك شوقى وحافظ والجارم ومطران ومحرم وعبدالمطلب ، وقد تركوا دواوين أغنت العروبة ورفعت قدرها . كما كان هناك العقاد والرافعى وأحمد أمين وزكى مبارك وطه حسين وأحمد حسن الزيات ومواريثهم الأدبية تزحم المكتبات وتغذى العقل والعاطفة ، وقد كتبوا فى الدين والتاريخ والسياسة والفن وثمرات أقلامهم باقية على الزمن ، وجمهرتهم ساندت شعبنا المكافح ، ولم تعرف الملق والارتزاق ، وقد خرج العقاد من السجن الذى دخله متهما بمحاربة الاستعمار وكان أول ما فعله بعد تحرره أن ذهب إلى بيت سعد زغلول زعيم الأحرار ليقول هناك :

عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما ... سيعهدنى كل كما كان يعهد!!

الغريب أن هؤلاء الرجال القمم لم يصف أحد منهم نفسه بأنه مبدع! ولم يصف زملاءه بأنهم عصابة الإبداع !

وذهب عصر الرجال ، وجاء عصر العيال ، فإذا الذى يعرق فى تركيب جملة يسمى فارس الكلمة !

وإذا الذى يعلن الحرب على علماء اللغة حين يلقى خطبة يُسمى رجل المنابر!

وأصحاب هذا الهراء يقولون عن أنفسهم : إن المبدع لا يحاسب أو لا يساءل عن قصده حين يكتب سطرا !!

والمجال المختار لهذا الإبداع المتطاول هو الإلحاد ، وإنكار الشريعة ونشر الإباحة والفوضى الجنسية على نحو ما قال نزار قبانى لفتاة أحلامه : «أحاول سيدتى أن أحبك خارج كل الطقوس ، وخارج كل النصوص ، وخارج كل الشرائع والأنظمة . . إلخ » .

ما لهذه الشيوعية الدنسة وللشرائع والأنظمة ؟

لقد رأيت شيوعيى العصر الماضى يختارون العلمانية عنوانا جديدا لهم . ثم يهاجمون الإسلام بكل ما يقع فى أيديهم من أسلحة ، وقد استغربت عندما قرأت لأحد هؤلاء : « . . لقد خذلنا نجيب محفوظ ، منع نفسه من التداول وحبس «أولاد حارتنا» عن النشر ووضع ضميره فى سجن الخوف» .

ثم يقول : « . . نجيب محفوظ الذى خرج على القانون مبدعا يعود إليه موظفا » !!

أرأيت ماهو الإبداع عند هؤلاء الشيوعيين القدامى ؟

اكفر بالله تكن مبدعا ، حارب التعاليم والحدود الشرعية تكن مبدعا ، اجمع القمامات الفكرية من مواطن الزبالة فى العالم أجمع وارم بها المجتمع الإسلامى تكن مبدعا ، هل عرفت الإبداع فى منطق مفسدى الأوضاع ؟ !

* * *

احتضار اللغة العربية

يساورنى قلق شديد على مستقبل اللغة العربية فإنها إذا ماتت وُضع القرآن الكريم فى المتاحف ، وضاع تراثنا العلمى والأدبى كله .

وقد كان الأزهريون قديما يتكلمون باللغة العربية فى البيوت والشوارع فمازال الغزو الاستعمارى يلاحقهم بالنكت والهزء حتى استعجمت ألسنتهم وتركوا الكلام بالنحو!

وقد رأيت حالة اللغة العربية فى المغرب العربى واجتياح الفرنسية لها بين العامة والخاصة فأدركت إن الإسلام مقبل على كارثة .

وقد نجحت مصر فى مقاومة الاحتلال الانجليزى عندما حاول تدريس العلوم باللغة الانجليزية فقضى سعد زغلول ورفاقه على هذه المحاولة وازدهرت اللغة العربية فى مصر ، وارتقى تدريسها إلى حد بعيد . .

ولكن محاولات القضاء على لغة القرآن تكررت وتصدّى لها أولو الإيمان والغيرة حتى ظننا أننا نجونا فإذا قرار وزارى يصدر فى ١٩٩٤/٦/١٥ ليبدأ تنفيذه هذا العام جاء فيه :

١ ـ تخفض درجة اللغة العربية فى الصف الثانى من الثانوية العام من ٦٠ درجة وبحد أدنى ٣٠ إلى ٢٥ درجة وبدون حد أدنى !

٢ ـ تخفض درجة اللغة العربية فى الصف الثالث من الثانوية العامة من ٦٠ درجة وبحد أدنى ٣٠ إلى ٢٥ درجة وبدون حد أدنى .

ومعنى ذلك خفض درجة الصفين من ١٢٠ درجة وبحد أدنى ٦٠ إلى ٥٠ وبحد أدنى ٢٥ لتتساوى مع اللغة الانجليزية .

وقد تساءلت ما الغرض من دحرجة اللغة العربية على هذا النحو ؟

إننا نشكو من شيوع اللحن وضعف الإعراب بين الكبار والصغار فهل تتخذ الخطوات لتحسين الأداء وضبط القواعد أم توجَّه إلى اللغة المهيضة ضربة أخرى للقضاء عليها . .

إن كثيرين بيننا تنطلق ألسنتهم سيالة باللغات الأجنبية ، فإذا فرضت عليهم الضرورة أن ينطقوا باللغة العربية وجدت لهم بغاما مضحكا ورطانة هابطة !!

لماذا نجهِّل النشء الجديد فى لغتنا ؟

لماذا نشعرهم بأن الرسوخ فيها لا جدوى منه وأن العجز فيها لا ضرر منه ؟

إن فرنسا تعاقب من يخطىء فى لغتها وإن تل أبيب أحيت لغة ميتة فلحساب من نميت لغة حية ؟

ولحساب من يقف أصحاب المناصب المرموقة يتحدثون بالانجليزية فلا يخطئون فإذا حاولوا الكلام بالعربية تلعثموا وطاش صوابهم ، إننا نطلب من المسئولين أن يلغوا هذا القرار قبل فوات الأوان .

* * *

كرامتنا

عقد الأزهر الشريف مؤتمرا حضره ممثلو اثنتين وثلاثين دولة إسلامية لبحث شئون العالم الإسلامى «الديمغرافية» أى أحوال السكان من ناحية المواليد والوفيات ، وأحوال المعايش من ناحية الفقر والغنى ، وأحوال الموارد المائية والمالية وغير ذلك .

وقد استمعت إلى المتحدثين من الصين إلى السنغال ، ولا أعلق الآن على موضوعات البحث ولكن على لغة الأداء !

كان عدد من المتحدثين مقطوع الصلة باللغة العربية خصوصا الوافدين من شبه الجزيرة الهندية ووسط إفريقية ، فإن الانجليزية كانت لهم أطوع ، وهم فيها أفصح ، وشعرت بالأسى لغربة لغتنا بين أبناء الإسلام ، ونجاح الأعاجم فى فرض لغاتهم وجعلها لغة التخاطب ولغة العلم . .

ثم عدت إلى نفسى وقلت : نحن العرب الذين نحمل مسئولية هذه الهزيمة الثقيلة ، فما قمنا بحق القرآن علينا فى نشر لغته وتسويد أدبه وحكمته !!

إن العرب هم سدس المسلمين . والأمة الإسلامية فى آخر إحصاء لها تبلغ مليارا ومئتى مليون مسلم ، ومع أن العرب قلة عددية فهم دماغ الإسلام وقلبه وأساس رسالته وحماتها وكان واجبا عليهم أن ينشروا لغة القرآن فى كل موقع بَلَغَهُ الإسلام ، ورفع فيه راية التوحيد أى أن عليهم ثلاثة واجبات :

الأول : تعليم الأخلاف لغة الأسلاف فتتصل مواكب العربية الفصحى بين الأجيال المتعاقبة للعرب الأقحاح !

الثانى : تعليم من دخل فى الإسلام مقدارا حسنا من اللغة يعرف به دينه ودنياه دعما للأخوة الإسلامية وإقامة للوحدة الدينية .

أما الواجب **الثالث** فهو نشر لغة القرآن فى أرجاء الأرض تحقيقا لعالمية الرسالة ، ووصلا للناس بينابيع الإسلام ليطلع من شاء على تعاليم الدين من أصولها العربية . .

وقد قصّر العرب المعاصرون فى هذه الواجبات الثلاثة ، وأرى أن هذا التقصير نذير شؤم وجرثومة بلاء ماحق .

إن خدمة العربية فريضة كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وإضاعتها إضاعة القرآن والسنة وأمجاد الإسلام كلها . .

وقد جرح كرامتى أن أرى المرتزقة من أبناء الأجناس الأخرى يجيئون إلى الخليج العربى ليجدوا لهم معايش . فإذا هم ينقلون لغة الاستعمار الذى اجتاح أرضهم ، وبدل أن يتعلموا لغة الناس الذين يعيشون بينهم ومن ثرواتهم يرغمون الآخرين على أن يتحدثوا معهم بالانجليزية أو الفرنسية !!

ما أشقى اللغة العربية بنا ، وما أصبرنا على النار . . إننا نضيع شرائعنا وشعائرنا بهذا التهاون ، ونرخص أنفسنا وتراثنا . . لقد فهمت قول حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى وناديت قومى فاحتسبت حياتى!!

هل نعيد للغتنا مكانتها وكرامتها فنرضى الله ورسوله ؟

* * *

صيحات طائشة !!

الله قيِّم السماوات والأرض رازق الإنسان والحيوان والطير والحشرات وما نرى ولانرى من خلقه الكبير . وهذا الإنفاق الواسع لا يكلفه شيئا فإن يده المغداق لاتغيض أبدا !!

وعندما خلق اللّه هذه الأرض – وهى ذرة فى ملكوته الرحب –

﴿ وبَارَكَ فِيهَا وقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتهَا ﴾ (١)

وكفل لكل حىّ مايكفيه ، إلا أنه بعد ما أعد المائدة قال لعباده : هلمّوا لتطعموا . فمن رفض المجىء وجثم فى مكانه حتى هلك فهو منتحر!

نعم لقد قال الله للناس : ﴿ هُوَ الَّذي جعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا في مَنَاكِبِهَا وكُلُوا مِن رِّزْقِه ﴾ . (٢)

فما يصنع القدر لمن أبى المشى ؟

وما يصنع القدر لمن عجز عن تطويع الأرض لنفسه بعد ما ذُلِّلَتْ له؟

إن هناك مصابين بالكسل النفسى والفكرى والبدنى وبآفات أخرى تُعْجز أصحابَها عن الضرورات بل المرفهات . .

ثم إن نوازع الشر فى البشر عميقة ، لقد اهتدوا إلى تفجير الذرة وكانوا قادرين بطاقتها الرهيبة على تحويل الماء الملح إلى عذب فرات وريّ الصحراء الكبرى وتحويلها إلى حقول وحدائق ، ولكنهم صنعوا من الذرَّة أسلحة الدمار الشامل ، واختزنوا من القنابل ما يدمِّر الأرض عشرات المرات . .

ثم قالوا بعد هذا العمى : إن أقوات الأرض لا تكفى البشر ! !

---

(١) فصلت : ١٠ .

(٢) الملك : ١٥ .

واستمعنا إلى صيحات طائشة تدعو إلى منع النسل أوتحديده فى أضيق نطاق لأن أقوات الأرض لاتكفى الناس! أى أن الله الذى استضاف الناس إلى مائدته لم يعدّ لهم الأكل المطلوب !

وتوجد الآن برامج لإباحة الإجهاض ، وتوجيه الشهوة الحيوانية إلى الشذوذ فإن الشواذ يعاونون على انقراض الإنسانية أوتقليل عددها كما توجد برامج لإباحة المخادنة وتعسير الزواج فإن النسل الكثير الطيب يولد فى أحضان أسر بارك الدين قيامها واستقبل ذرياتها بحفاوة !

إن أناسا كثيرين لم تتنضّر وجوههم بمعرفة الله يتصايحون فى أقطار شتى بتقليل البشر وهم الآن يأخذون أهبتهم للزحف على العالم الإسلامى كى يقنعوه بفلسفتهم المدمرة! وستنعقد لهم مؤتمرات فى البلاد العربية تمتلىء بثرثرة لا آخر لها .

والفقر العربى يمشى على أرض من الذهب ، ولو أحسن أهل وادى النيل زراعة واديهم ومحاسنة ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولاتسعت أرضهم لأضعاف عددهم ولكن أين الرجال ؟ !

* * *

السياحة وسنن الله

أحب الفطرة وأمضى مع منطقها وأكره التصنّع والتمثيل وأصدف عن مشاهدة المسلسلات التمثيلية التى تنشرها وسائل الإعلام ، هذه طبيعتى التى لا ألزم بها أحدا ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ .[1]

ومع ذلك فقد حملت نفسى حملا على مشاهدة تمثيلية «عايدة» التى أقيم لها مسرح كبير فى «الأقصر» وقلت : ينبغى للداعية المسلم أن يعرف ما هنالك إننا يجب أن نعرف الخير والشر حتى نستطيع أن نضع هدايات الله موضعها المناسب . .

وحبست نفسى أمام التلفاز نحو ساعتين ضاعتا سدى لأن الرواية تعرض باللغة الإيطالية ، وأنا وتسعة أعشار المصريين لا نفهم هذه اللغة !

وتساءلت : لم الإعلان الواسع وحشد الجماهير وإنفاق الملايين ؟

فقيل لى : إن نصف المشاهدين أوأكثر قادم من أوروبا ، والعمل كله لخدمة السياحة! والسياحة مورد دافق بالخيرات !

قلت : قبل أن تكون السياحة مورد رزق فهى مصدر معرفة ومثار عبرة ، والعقل الإنسانى يحتاج إلى السياحة فى أرض الله كى يتم نضجه ويتسع أفقه ويعرف ما وقع لمن سبق من الأجيال الأولى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .[2] ومصر حافلة بالآثار الجديرة بالدراسة ، ولها تاريخ ضارب فى القدم يحتاج إلى القراءة والاعتبار !

لكننا لا نحسن إيقاظ البصائر إلى سنن الله فى الأولين والآخرين ، وفريق كبير من البشر يحسب السياحة لمزيد من اللهو والمجون! ويجب ألا ننزلق مع هذا الطيش .

---

(١) البقرة : ١٤٨ .

(٢) الحج : ٤٦ .

ورأيى أن إعادة تمثيلية «عايدة» حفّتها أخطاء كثيرة ، فقد جاءت فى وقت محنة كبيرة غمرت عشرات البلاد بالأحزان لفقدان الأهل والمال ، والمرء قد يلعق جراحه إذا كان وحده أومع أمثاله ، أما أن يجاوره طلاّب المتع وعشاق اللهو فإن ذلك يُحفظ صدره ويثير غضبه .

قد يقال إن المال يجمع من هنا وهناك لمواساته وأجيب بأن آلام الفقراء والمنكوبين لا تعالج بما يجمع من أحفال الغناء ومجامع العبث ، هذا تقليد أوروبى سخيف و«أوبرا عايدة» بقية من ميراث الخديوى إسماعيل الذى قال : أريد جعل مصر قطعة من أوروبا .

ومصر لا تكون قطعة من أوروبا بنقل الملاهى والمباذل ، إنما تكون بنقل المصانع والجامعات ، وعندما ننقلها إلى أرضنا فهى بضاعتنا ردّت إلينا !

ماذا كانت أوروبا قبل حضارة الإسلام ؟

* * *

مآرب اللصوص

بعض لصوص العرب الأقدمين كان يسرق ليقوت نفسه ومن يلوذ به من الفقراء ، من هؤلاء العداء الماهر عروة بن الورد الذى كان يغير على أصحاب الأموال ثم يعود من غاراته بغنائم يشبع منها الجياع ويؤوى الضائعين! وكان يقول لامرأته إذا نفد ما عنده :

ذرينى أطوِّفْ فى البلاد لعلنى أفيد غنى فيه لذى الحق محمل!!

كان ذلك فى الجاهلية الأولى ، والشحّ مطاع والزكاة مجحودة ، لا وحى ولا دين فتصرف الناس حسب غرائزهم وميولهم !

وسمعت فى طفولتى قصة تجرى على ألسنة الناس فإن امرأة ضعيفة قتل ابنها مظلوما فماذا تصنع ؟

ذهبت إلى أحد الفتاك تبثه حزنها وتشكو عجزها وتناشده أن يقف إلى جانبها ، فقال لها الشقى الكبير :

سأقتل خصمك لله ، لا آخذ منك شيئا . . !!

قلت : إن المجرمين أحيانا يعدلون !

وتذكرت ما يجرى الآن فى الساحة العالمية من أحداث ، ليس للوحى صوت مسموع ولا للعدل نداء مجاب ، وكلمة الإنسانية غطاء جيد للمآرب والأهواء ، فقد أغار الرفيق صدام حسين على السعودية والكويت وسارعت دول أوروبا لتقديم الغوث المنشود وحشدت الرجال والأموال لتحقيق هذه الغاية النبيلة .

وعلم الله أن « دول الخليج » استضافت الحلفاء القادمين ودفعت لهم عوضا سخيّاً عن كل جهد بذلوه فما خسر أحد شيئا بل إن فرنسا حققت أرباحا من هذه الحرب ، وعندما وضعت الحرب أوزارها خرج الحلفاء منها وخزائنهم عامرة وذكرياتهم سعيدة !

وها هو ذا الرفيق «صدام» يعيد الكرّة ويهدد الجيران .

وتحركت أساطيل الدول الكبرى بحرا وجوا ، وشرع العدّاد يحسب التكاليف ويقدر الثمن المطلوب .

إن قناطير مقنطرة من المال العربى سوف تضيع سدى ، وستنتفخ جيوب الدول الكبرى أما العرب فسيذوق بعضهم بأس بعض ، وينحدرون جميعا إلى البأساء والضراء .

ما هذا الذى يقع ؟

إنه الجزاء الطبيعى لأمة أهداها الله القرآن فرفضت العمل به والانقياد له! إنها فتنة تدع الحليم حيران !

لقد وصف الله المسلمين إذا مكنوا فى الأرض بأنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فهل هم الآن يحققون هذه الغايات ؟

لا غرابة إذا تخلّى القدر عنهم . .

إن الشعوب تدفع ثمنا غاليا لشهوات الاستعلاء عند بعض الرؤساء . .

* * *

أكذوبة يهودية

لا أدرى إلى متى تظل هذه الأكذوبة منتشرة؟ أكذوبة أن اليهود فقدوا ملايين من جنسهم فى المذابح التى أوقعها بهم «هتلر»! إن هذه الأكذوبة كانت من أهم الأسباب فى سكوت العالم على اغتصاب فلسطين وجعلها وطنا قوميا لليهود . ولذلك عمل اليهود على تثبيتها ومطاردة المؤرخين الذين يثبتون زيفها .

وقد ذكرتُ من بضع سنين كيف أهيل التراب على رسالة جامعية فى فرنسا أثبت الكاتب فيها أن اليهود ضاعفوا أعداد ضحاياهم مائة مرة! لينالوا عطف العالم على إسرائيل ويطيلوا عمر الدولة المفتعلة .

واليوم أقرأ خبرا آخر عن حقيقة المأساة اليهودية نشرته إحدى صحف الخليج وأماطت به اللثام عن الأسطورة الشائعة . . تحت عنوان **«وثائق سوفيتية تكذب ادعاءات اليهود حول عدد ضحايا النازية»** .

قالت صحيفة الخليج : - من وارسو - ذكر مسئولون بولنديون ويهود أمس أن وثائق أفرج عنها حديثا أظهرت أن ١,٥ مليون يهودى وبولندى وغجرى ، وروسى وآخرين قتلوا فى معسكر «اشوينز» النازى خلال الحرب العالمية الثانية وليس أربعة ملايين معظمهم يهود كما كان يقال حتى الآن !!

وأوضح «فلاديسلاف بارتوفسكى» عضو مجلس الحوار اليهودى البولندى أن الإحصاء الرسمى الأخير خفض عدد الضحايا استنادا إلى أرشيفات أعادتها السلطات السوفيتية قبل أشهر إلى بولندا . .! وكان البولنديون فى أعقاب الحرب قد أذاعوا أن القتلى أربعة ملايين!! ، بل إن المنظمات اليهودية ذكرت أن ستة ملايين يهودى قتلوا على أيدى النازى » .

ومزاعم اليهود تكاد تتلاقى على أن نصف يهود العالم قد أبيدوا على يد هتلر ، وهذه كلها أكاذيب لا أصل لها ، ولا سناد ، تعمّد اليهود ترويجها تمهيدا لاحتلال فلسطين .

والأوروبيون يعلمون أن اليهود كذبة وأن قتلاهم أقل من قتلى غيرهم ، وأنهم قد يبلغون بضع عشرات من الألوف . .

هلكوا فى جحيم العنصرية التى صارح بها الألمان وخافت بها غيرهم ، وهى عنصرية تبغض العرب أكثر مما تبغض اليهود كما ظهر من سير الأحداث .

إن أوروبا استراحت للهجوم اليهودى على العرب ، وباركت مقدماته وصدقت أسبابه - وهى التى اختلقتها - ولو فرضنا زورا أن قتلى اليهود ملايين فلماذا يجلى عرب فلسطين ليحلّوا محلّهم ؟

ونتساءل : هل العنصرية مرض ألمانى اختصّ به النازيين وحدهم ؟

إن جمهوراً من الفرنسيين يكاد يبلغ نصف السكان ينادى الآن بطرد ثلاثة ملايين من المغاربة أو إرغامهم على ترك دينهم ولغتهم والذوبان فى الجنسية الفرنسية !!

والمستقبل حافل بالنذر ، أليست هذه نازية ؟

وعندما لجأ المسلمون إلى القضاء الإنجليزى لمحاكمة سلمان رشدى على إهاناته لنبى الإسلام ماذا قيل لهم ؟

قيل لهم : إن القانون يحمى العقيدة النصرانية وحدها من التطاول ، أما إهانة الإسلام ونبيه فهى خارج الموضوع !!

أليست هذه عنصرية ؟

وقد بلغت مداها فى احتضان الكاتب الأفاك وترويج كتابه بشتى الأساليب !

إن الغرب منحاز إلى إسرائيل ، كاره للعرب ودينهم ، وهو فى الوقت نفسه حريص ألا يوصم بالعنصرية . . !!

سيل الهزائم

تتعرض وحدة العالم الإسلامى لمزيد من العوائق والمتاعب ، وسنشرح أسباب ذلك هنا لافتا الأنظار .

أولا : إلى الوحدة الألمانية التى تمت أخيرا بين ألمانيا الشرقية والغربية! لقد كان يوم إعلانها عيدا فى البلاد كلها فقد زالت الفوارق المصطنعة وعاد المواطنون الألمان جميعا صفوفا مرصوصة تحت راية واحدة وشيعت ذكريات الفرقة باللعنة والمقت . . !!

وأسأل : هل وقع شىء من ذلك عندما خرجت خمس دول إسلامية من وراء الستار الحديدى لتنضم إلى العالم الإسلامى الكبير ؟

لقد فرح بعض الناس واستبشروا بمستقبل أفضل لإخوان العقيدة ، ولكن جماهير كبيرة كانت تسمع الأنباء وهى فى مكان بعيد ، وكأن الأمر لا يعْنيها! أويعْنيها على المجاز لا على الحقيقة !

ويرجع ذلك إلى أمور ، **أولها** : نجاح السياسات الاستعمارية فى إقامة قوميات مختلفة على الصعيد الإسلامى بلغت سبعين جنسية ، تستظل كل واحدة منها بعلم خاص ، وأبناء الوطن الواحد قد يشعرون بقرابة الإيمان بينهم وبين الآخرين ولكنهم معنيون قبل كل شىء بإخوانهم داخل الحدود التى رسمتها السياسات العالمية ، فالمصرى يهتم بالإسكندرية أكثر مما يهتم «بيافا» والسعودى يهتم «بتبوك» أكثر مما يهتم «بالخليل» ، وقد استقرت الأوضاع العالمية على ذلك ، وارتضينا نحن ماكان . .

أما قول الرسول الكريم «**المسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم**» فأمل لا يعرفه الواقع الأليم ، وعندما نسعى إليه نعتبر خياليين . !

والأمر الثانى : أن بعض الشواذ يسلطون الخلاف فى الرأى على مبدأ الأخوة الجامعة ، فإذا كان يرى لحم الجزور ناقضا للوضوء أو سدل اليدين ناقضا للصلاة طارد مخالفيه فى الرأى وضيق عليهم الخناق ليلحقهم بأهل الملل الأخرى !!

وعندما يغلب هذا السفه فالويل لوحدة الأمة .

وأذكر أن شابا جاءنى يسألنى أن أقترح له اسم كتاب يدرسه فى الفقه ، فذكرت له كتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق ثم استدركت أسأله ماذا قرأت من كتب الأخلاق؟ فسكت متحيرا !

فقلت له لابد أن تقرأ أولا تعاليم الإسلام فى الصدق والأمانة والوفاء والحياء والرحمة والحب . . إلخ . فلا قيمة لفقه بلا خلق . . !

وهناك **أمر ثالث** : إن الغزو الثقافى يشن غارة شعواء على التقاليد الموحدة للأمة وقد علّمنا أن التاريخ الفرنجى يسبق التاريخ الهجرى ، وأن القانون يسبق الشريعة وأن الرطانات الأعجمية تسبق اللسان الفصيح .

وقد لاحظت أن اليهود حراص على عباداتهم - فى المفاوضات الأخيرة - على حين يتبجح العرب بترك الصلاة والصيام!! ويقولون عن أنفسهم إنهم علمانيون !

لقد برزت فى أيام مشئومة عروبة عريانة عن الإسلام فماذا صنعت بالأمة الواحدة؟

أثارت البربر فى أقطار المغرب وأثارت الأكراد فى العراق ، وأقرت الفواصل بين العرب والترك والهنود والزنوج ، وهزمت الإسلام فى ميادين كثيرة ، وأعانت الأديان الأخرى على الانطلاق وتسنم مراكز الصدارة !!

إن الوحدة الإسلامية تحتاج اليوم قبل الغد إلى أن نراجع أنفسنا وأحوالنا وإلا فسيل الهزائم لن يتوقف !!

* * *

العين الحمئة

موقف الغرب منا يحتاج إلى محاذرة وتوجُّس ، فإن ينابيع حقده على ديننا تفيض ولا تغيض ، ثم هو يضربنا ويشتكى منا! ويعتدى علينا ويتهمنا !

ومن أيام قرأت فى صحيفة الوفد هذا العنوان على امتداد الصفحة الأولى «تصاعد الحملات المعادية للعرب والمسلمين فى أوروبا» !

يقع ذلك فى الوقت الذى نرى فيه المسلمين فى البوسنة مذبوحين ذبح النعاج ومرتَّبين فى صفوف ممتدة طويلة !!

إن مشاعر من الغل الدفين أشرفت على هذه المجزرة ، والبلد محاصر والمآسى لاحصر لها . . ومع ذلك كله فالحملات ضدنا تتصاعد !!

وتذكرت ماكتبه الأستاذ فاروق جويده عن عودة الوجه القبيح إلى أوروبا ، وكيف أن كره الإسلام والنيل منه يسيطران على العقل الباطن والظاهر عند الأوروبيين !

قال : «منذ سنوات قليلة أقيم فى إيطاليا ملهى ليلى ، أطلقوا عليه اسم مكة . .

وفى الأسبوع الماضى ظهر حذاء جديد فى لندن سعره ١٢٠ دولارا كتبت عليه آيات من القرآن الكريم باللغة العربية . . !! » .

إن العين الحمئة التى تسيل منها ضغائن القوم ضد محمد ودينه لا تزال تقذف بالأقذار ، وتدمغ أصحابها بالعار ، والغريب أن المسلمين غافلون لا أدرى أيدرون أم لا يدرون ؟

وقد أملت السياسة الغربية على الأمة العربية ألا تؤلف فيها أحزاب دينية - أى إسلامية - ويقع ذلك وسط مفارقات صارخة فإن الأحزاب الدينية أواليمنية تحكم الغرب تقريبا تحت عنوان الديمقراطية المسيحية ، فى الوقت الذى يحظر فيه العنوان الإسلامى عندنا . .

وقد رفض القضاء الإنجليزى محاكمة «سلمان رشدى» الذى آذى الله ورسوله بكتابه الخسيس ، لأن القانون هناك يحمى الدين المسيحى ، ولا يمنع التطاول على الأديان الأخرى . .

ويقول الأستاذ فاروق جويده : «فى الأسبوع الماضى احتفلت الجامعات الأمريكية بزيارة سلمان رشدى لها ، وصدور طبعة شعبية من كتابه آيات شيطانية ، وسط ضجة إعلامية ضخمة ، ومهرجانات تكريم وحفاوة شعبية ورسمية . . !» .

إننى أوجس خيفة على مستقبل الطوائف الإسلامية فى فرنسا وغيرها من دول أوروبا ، فإن هناك أحزابا تطالب علنا بتنصير أولئك المسلمين أوطردهم . .

ماذا فعلنا ليبقى هذا الحقد حيا فى قلوب الأوروبيين منذ القرون الوسطى إلى الآن ؟ لقد رجحت كفتهم ، ودَخلوا بلاد الإسلام فاتحين ، واستنزفوا ثرواتها وعاثوا فى الأرض فسادا ، وفرضوا علينا قوانين ما أنزل الله بها من سلطان ، وتقاليد تحمى العلمانية والإلحاد ، ماذا يبغون بعد هذا كله !!

إن هذا السؤال لا يوجه إلى الأوروبيين والأمريكيين فهم كما قال تعالى فى أباطرة الرومان قديما :

﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ . [1]

السؤال يوجه إلى المسلمين المسترسلين الرقود !!

إن صوت غطيطهم يسمع من مكان بعيد . .

* * *

---

(١) الكهف : ٢٠ .

إحصائيات التنصير فى عام

الأخبار التى تنتهى إلىّ هذه الأيام تبعث على الكآبة . فالإسلام يُضرب بقوة فى أماكن كثيرة! ودماء المسلمين تسيل بغزارة! والضاربون لا يخشون قصاصا ولا يرهبون يوما ولا غدا . .!!

وباذلو الأموال لمحاربة الإسلام ينفقون بسخاء ، ويُعدّون الأجهزة الفعالة لدعم التنصير وتوسعة ميادينه .

وأمامى بيان بما أنفق العام المنصرم جاء فيه . . «أصدرت الهيئة الدولية لبحوث الإرساليات المسيحية نشرة إحصائية عن التنصير وأنشطته فى العالم لعام ١٩٩١ جاء فيه أن عدد المؤسسات التنصيرية ووكالات الخدمات المسيحية بلغ ١٢٠٨٨٠ وكالة ومؤسسة كما بلغ دخل الكنائس العاملة فى مجال التنصير ٩٣٢٠ بليون دولار ، وأنفقت ١٦٣ بليون دولار لخدمة المشاريع المسيحية . وحققت الإرساليات الأجنبية دخلا مقداره ٨,٩ بليون دولار . وذكرت أنه يعمل فى مجال خدمة التنصير ٨٢ مليون جهاز كمبيوتر لحفظ ونشر المعلومات ، وأنه صدر ٨٨٦١٠ كتابا ، و٢٤٩٠٠ مجلة أسبوعية للدعوة ، وبلغ عدد الأناجيل الموزعة مجانا ٥٣ مليون نسخة ، أما محطات الإذاعة والتلفاز المعْنية بالتبشير فتبلغ ٢٣٤٠ محطة . . وإذا جمعت الأرقام المنفقة فى أغراض التبشير للسنة ١٩٩١ بلغت ١٨١ مليار دولار . .» .

ومن حق أوروبا وأمريكا واستراليا أن تنفق ما تشاء لنصرة عقائدها ، ولكننا نتساءل : ماذا يفعل الإسلاميون فى مواجهة هذا الزحف الذى ما خفى منه أعظم مما بدا ؟؟

إنهم – على فقرهم وضعفهم – يستطيعون الكثير المجدى! بيد أن هناك ما نشكو منه!! فالعقلاء المعتدلون فى مجال الدعوة يُقيِّد نشاطهم عمدا ، ويكادون يدورون حول أنفسهم لانسداد الطرق أمامهم !!

والمتطرفون البله يؤذون أنفسهم ببعض مسالكهم ويؤذيهم خصومهم بصنوف من البهتان ينسبونها إليهم ، هم منها أبرياء ، والأمر كما قيل :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل . .!!

وأريد لفت أصحاب العقول والضمائر إلى خطورة هذه الأوضاع! منذ أيام قتل خمسون مسلما فى «سريلانكا» بالأسلحة البيضاء ، قتلتهم عصابات التاميل شر قتلة! وذهب الخبر المنشور مع الصدى ما تحرك له أحد ، وما تخلف عنه أثر !!

أنا موقن بأنه لو كان بعض هؤلاء القتلى من اليهود لزلزلت القارات الخمس ، ولأرسلت بعض الأساطيل لتعقّب القتلة !!

أعرف أن الدم الإسلامى أرخصته أحوال أمتنا ، فأصبح أهون الدماء المسفوكة ، فهل إذا تألم أصحاب الغيرة لهذه الأوضاع اعتبر ألمهم عجبا ، ونُثِرتْ حوله الإشاعات والتمست التهم ؟؟

أليس من حق المظلوم أن يتألّم ؟

أليس من حق المسلمين أن يصرخوا إذا ضُربوا ؟

إننى أطلب من العاملين فى الحقل الإسلامى أن يتبيّنوا مواقع أقدامهم . ، فإن المتربصين كثيرون ، وأطلب منهم قبل ذلك أن يحسنوا فهم دينهم وفقه أحكامه وقضاياه حتى لا يمكنوا من أنفسهم ويجرُّوا التهم على دينهم .

* * *

زحف الكنائس

من التاريخ الأول للإسلام نعلم أنه صان لأهل الكتاب معابدهم ، ويسّر لهم إقامة الشعائر بها ، وجعلهم أحرارا فى التردّد عليها ، وأحاط بالتقدير صلبانهم وشتى مأثرهم وهذا بديهى ، إنه يعترف بالأديان الأولى فكيف يعمل على إهانتها أو إساءتها أو اعتراض أصحابها ؟ وقد تقررت هذه التعاليم فى كل المعاهدات التى تمت بين المسلمين والنصارى !

ويروى التاريخ أنه فى أثناء المفاوضات لتسليم بيت المقدس حضرت الصلاة ، وهمّ عمر بن الخطاب بالخروج لأدائها ، فقال له الأسقف متلطفا : صل مكانك !! فى الكنيسة . .

فقال عمر : لو صليت هنا لوثب المسلمون على المكان وأخذوه قائلين : هنا صلّى عمر !!

لقد كان الخليفة الراشد حريصا على بقاء الكنيسة لأهلها يؤدون فيها عباداتهم ، وهذا هو الوفاء ثم وقعت الحروب الصليبية بعد ذلك بخمسة قرون ، وجاء الأوروبيون فذبحوا المسلمين فى القدس وحاولوا طمس معالم الإسلام فى كل مكان ، وخلال ثلاثة قرون من الكر والفر فشلت الحملات الصليبية ورجع الأوروبيون مدحورين . .

ثم عادوا مرة ثانية خلال هذا القرن ووضعوا سياسة ماكرة لإطفاء منارات الإسلام ووضع الطابع الصليبى على الأرض العربية وظهر ذلك فى بناء الكنائس بكثرة مقصودة وإسراف شديد .

واستطاعت فرنسا أن تقيم فى لبنان مئات الكنائس ، وأن ترسم الصلبان على قمم الجبال ، ووصلت آخر الأمر إلى إقامة دولة مارونية فى بلد أربعة أخماس سكانه من المسلمين!! بل لقد تكوّن جيش لبنان الحرّ (!) ليقاتل مع اليهود ضد الوجود العربى !!

واتجهت المحاولة إلى مصر لتغيير صبغتها الإسلامية ، ولكنها اصطدمت بتشريع يقف دون ذلك ولولا هذا التشريع لجُمِعَتْ مائة مليار دولار وبنيت بها كنائس للإنجيليين والكاثوليك والسبتيين ، ولكنائس أخرى اصطلحت مع اليهود وعادت إلى العهد القديم .

وما عسى يصنع المسلمون بإزاء هذا الزحف ؟ بل ما عسى تصنع الكنائس الوطنية هنا ؟

لذلك ألفت الأنظار إلى خطورة هذه المقاصد الاستعمارية ، وأعود إلى ما قلته أولا من أن أهل الأديان المختلفة ينبغى أن تقام لهم معابد تسعهم لا يشعرون داخلها بضيق أوتعصب كما لا يشعرون باستعلاء أواعتداء ، ولعل أمثل الطرق وأعدلها وأبعدها عن الاعتراض ربط ذلك بأعداد السكان ، فتبقى حرية التدين للجميع دون وكس أوشطط .

* * *

الحرب القذرة

قرأت التحرش الإسرائيلى بمصر والتلويح بأن حربا قد تقع فى المستقبل القريب أوالبعيد! ولم يكن النبأ مفاجأة لى فإنى أشعر بأن هناك حربا معلنة على مصر تخوضها البلاد فى صمت وتواجه نتائجها بجلد ، ولا أدرى بم تنتهى ؟

هناك حرب المخدرات التى تخوضها الشرطة المصرية على امتداد الحدود الشرقية والشمالية لسيناء ، وداخل البلاد نفسها ، إن هناك الآن ملايين من المساطيل قتلوا صحيا ونفسيا ، ودور إسرائيل فى قتلهم معروف! ولا تزال الدولة اليهودية مستميتة فى توسيع الحرب القذرة ، وتكثير ضحاياها ، وخسائرنا تنمو نفسيا وماليا .

وقد قيل إن مليارات من الجنيهات تذهب فى هذا السبيل . .

وأرى أن نكون صرحاء وقساة فى مقاومة هذه الفتنة حتى تنجو البلاد من عواقبها . .!

وهناك الحرب المعلنة على المحاصيل المصرية فى ميدان الزراعة ، وهى حرب بالغة الخسة أساسها توزيع بذور رديئة على الفلاحين توضع فى الأرض ولا تنبت شيئا له قيمة ﴿ والْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ﴾ .[1]

وقد تقهقرت مصر فى ميادين كانت سباقة فيها ، كان قطنها ينير الليل ويغمر العالم ، فأصبحنا فى إنتاج القطن متخلفين ، وسبقتنا فى مجال المنافسة الحرة دول أخرى وكذلك الحال فى جملة من الحبوب والفواكه . .

والغريب أن اهتمامنا بشواطئنا على البحر الأبيض والبحر الأحمر ظهر فى بناء القرى السياحية الكثيرة! ولست أغفل السياحة ومواردها ولكنى أتساءل أين الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية فى بناء سيناء ، وتعمير الصحراء ؟

وأين المستعمرات التى تضم أفواج الشباب ليحرسوا مستقبل بلدهم أمام عدو يشتغل بجنّ سليمان !

(١) الأعراف : ٥٨ .

إن فنون اللذة لا تزدهر إلا مع الهدم والضياع ، وأعتقد أن إسرائيل يسرها أن تتحول شواطئ البحرين إلى سلسلة من المستعمرات المائجة بأنواع التسلية؟! يخدم فيها المصريون ويستمتع فيها الأجانب الوافدون . .

وبقى أهم عنصر يرسم مصير المعركة بيننا وبين اليهود . . إن الدولة هناك قائمة على الدين ، والعقيدة مستغلَّة أوسع استغلال فى النشاط الأخلاقى والاجتماعى والزراعى والصناعى ، وقد رأينا فى المفاوضات الأخيرة كيف يحترم اليهود يوم السبت ، وكيف يقيمون شعائره بجدٍ ، على حين كان القوميون العرب لا يؤدون صلاة ولا يحترمون شعائر !!

فهل الانحلال العقائدى أوالميوعة العلمانية يهبان النصر للعرب ؟

إن التحرش الإسرائيلى الذى ورد على ألسنة بعض المسئولين اليهود ليس إلا مظهراً عاديا لحرب خفية حقيقية يشنها اليهود على خصومهم جميعا وفى طليعتهم مصر ، حتى إذا جاء اليوم الموعود كان لهم لا لنا !!

ولكى نضمن مستقبلا شريفا لأمتنا يجب أن نَهُبَّ سراعا لمقاومة العدو المتسلل عن طريق المخدرات التى تذهب العقل والملهيات التى تذهب العرض والمال ، والحاضر والمستقبل .

* * *

نظرات مسلم مقهور

لقيت صديقا من علماء الدين فى إحدى الدول التى تحررت عقب انهيار الاتحاد السوفيتى ، كانت ملامح وجهه جادّة ونظراته أدنى إلى الحزن ، وعندما ابتسم للقائى كان ابتسامه كشعاع يشق طريقه بصعوبة بين طبقات من السحب !!

قلت فى نفسى : إنه صورة من قومه الذين قضوا أكثر من سبعين عاما تحت وطأة الشيوعية ، وضعف هذه المدة تحت وطأة القيصرية ، وفى كلا العهدين كانوا يُسامون الخسف ليتركوا الإسلام ، ولكنهم صمدوا وقاوموا الفتنة وتحملوا الهوان . وهاهم أولاء يخرجون أحياء من بين الأنقاض ، ويبحثون عن إخوان العقيدة ليؤنسوا وحشتهم ويسكّنوا روعهم . .

كان اللقاء فى الأزهر وأذان الظهر يشق الفضاء ، والمستمعون يرددون كلمات الأذان بهدوء .

ونظرت إلى صاحبى فخيل إلىّ أنه يقول لى هذه نعمة كنا نحن محرومين منها ، ماكان أذان يرتفع عندنا وإذا ارتفع فما كان أحد يجهر بترديد الكلمات!

ما أطول عذاب المستضعفين ، وأسوأ ما نزل بهم ، الصوت الوحيد الذى يرتفع طوعا أوكرها : لا إله ، والحياة مادة! ، ما عدا ذلك يدمَّر!

يقول الأستاذ فهمى هويدى : كان هناك ٤٠ ألف مسجد بقيت منها مائة ، وكان هناك ٣٠ ألف فقيه ومعلم تم حصدهم أيام ستالين .

ثم جندت الشيوعية ٢٠٠٠ محاضر و١١ ألف مرشد سياسى ، و٤١ ألف موجه ملحد ، وأُلْقى أكثر من ٤٧ ألف محاضرة عن الإلحاد وألِّف نحو ألف كتاب لمناهضة العقيدة ، وهذا كله فى حملات متتابعة لمحو الإسلام من القلوب والبيوت والشوارع والأسواق . .

ومع ذلك فقد بقى الإسلام وبقيت الشمس والقمر ، إن مابناه الله لا يهدمه الناس !!

ويوجد الآن قريب من سبعين مليون مسلم يتحركون فى عدة جمهوريات ليستأنفوا نشاطهم القديم ويعودوا سيرتهم الأولى . .

المصيبة التى نلفت الأنظار إليها أن البلاء الشيوعى استطاع أن يقتحم السدود الموضوعة أمامه ، وأن ينضح من كفره على البلاد العربية وأن يضلل جماهير كثيفة من العوام والخواص الذين يسترون إلحادهم تحت لافتات غاشّة خادعة فعدد ضخم من الاشتراكيين والعلمانيين ينفرون من تعاليم الدين ويدعون سرا وعلنا إلى الخلاص منها . . وجمهرتهم لا تحترم الوحى ولا ترتبط به ، وهم فى ميادين العلم والأدب وفى دروب المجتمع وعند بحث قضاياه يتحدثون حديث من لا يعرف الله ولا يكترث لرضاه . . !!

وأرى - بعد انهيار الاتحاد السوفيتى - أن ننشىء على عجل جسورا بيننا وبين إخواننا فى الأقطار الروسية ، تنقلنا إليهم وتنقلهم إلينا وأن نهتم بالكتاب الدينى تأليفا وترجمة وأن يتم تبادل الوفود بين الجامعات والمعاهد عندنا وعندهم .

إن هناك فراغا يجب أن نملأه ، فإن القوى المعادية للإسلام تتأهب لملئه !!

أما الشيوعيون العرب - وهم أخسُّ شيوعيى العالم - فيجب أن نتيقظ لهم ، وأن نحبط كيدهم ونفضح مؤامراتهم إنهم الآن ناشطون فى التغلب على الهزيمة التى عرضت لهم وسيحاولون بخداع العناوين وتزوير المضامين أن يسرقوا الإيمان ، ويفتنوا القراء بقضايا موضوعية أوجانبية ، وعلى العقل المسلم أن يتأهب لمعركة أخرى لا تقل حدَّة عن معارك مضت .

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ (١) .

* * *

---

(١) الفرقان : ٢٠ .

صلاة الشتاء

مع أنى نحيت الصحيفة جانبا إلا أن الصورة التى استوقفتنى لم تبرح عينى كانت صورة جنود من الشيشان يقيمون الصلاة على أرض المعركة !

وكانت هناك ملاءة بيضاء واسعة تغطى الأرض كلها ، إنها من التلج الممتد على ظهر الأرض لا يريد أن يذوب !

لا بأس الصلاة حق وعندما يتكالب العدوّ فاللجوء إلى الله أعظم عُدّة !

وتذكرت أنى فى الجزائر عانيت مثل هذا الشتاء القارس ، كان المطر ينزل خيوطا بيضاء رفيعة تتراكم على الثرى وكأنها قطع من السحاب آثر البقاء على الأرض !

لكن أين أنا من هؤلاء الجنود ؟

إننى أخرج من مسكن مكيّف الهواء وأركب سيارة مكيفة الهواء وأذهب إلى طلابى فى مدرج مكيف الهواء وأجلس فى مكتب مكيف الهواء . .

أما هؤلاء الذين يصلون فى العراء فإن صقيع الشتاء يلفحهم من كل جانب ، وقد تصيب أحدهم قذيفة طائشة فينقل إلى أقرب جدار ريثما يسعف أويلقى ربه ، وربما جاء جندى أعزل فجرده من السلاح ليستأنف المعركة مكانه ، إن سلاح المسلمين قليل !!

وتساءلت متى جاء الإسلام هنا ؟

وكان الجواب من عهد الخليفة الثالث .

إن موجة الفتح العظيم انداحت حتى تجاوزت القوقاز ، وكان الروس يومئذ دويلة من الهمل لاتذكر بشىء يشرّف . .

وبقى الزحف الإسلامى حتى بلغ سيبريا ، ثم تراجع المسلمون تراجعا رهيبا فحكم القياصرة الأرثوذكس أرض الإسلام ثم قتلهم الشيوعيون ووقع الموحدون فى براثن ملاحدة لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . .

والغريب أن الشيوعية لما انهزمت عاد الأرثوذكس إلى السلطة وأذاقوا المسلمين الويل .

إننى أنظر إلى وجه «يلتسين» وهو يأمر بضرب الشيشان ، فلا أرى إلا ملامح جزارا أَلِفَ سفك الدماء وإزهاق الأرواح !!

إن الجنود المصلين قاوموا بصلابة هائلة ، فتعطلت دبابات وأسقطت طائرات .

ولكن أين مسلمو العالم أجمع ؟

أعرف أننا لن نستطيع الوصول إليهم ، ولكننا نستطيع إلحاق خسائر اقتصادية كبيرة بالروس وبغيرهم ممن يؤذون الله ورسوله وجماهير المسلمين .

المهم أن نستبقى أخوة الإسلام ، وأن نرجح كفتها فى كل موازنة .

أما أن يضرب الروس إخواننا ثم يذهبون إلى بلد عربى ليعقدوا معه صفقات تجارية فى أحفال نتبادل فيها الابتسامات فهذه خيانة ما بعدها خيانة .

إن الأمة الإسلامية بحاجة إلى أبجديات الدين **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله»** .

* * *

التواجد على أنقاضنا

إذا كنت ترجو مستقبلا يسوده السلام والإنصاف وتختفى منه الفتن والمظالم فأنت واهم !

إننى أنظر قريبا منا وبعيدا عنا فأرى الحقوق تهضم والغيوم تملأ الآفاق . .

اليهود لا يقرون بشبر من الأرض لعرب فلسطين ويزعمون أنهم ورثة هذه الأرض من عهد إبراهيم ، وأن القدس عاصمة مملكتهم الدينية وأن راية إسرائيل لا يجوز أن تزاحمها راية أخرى وإذا جاز أن يبقى العرب فى الضفة أوالقطاع فليكونوا أُجراء لدى سادتهم فوق أرض تهوَّدتْ وامَّحى منها كل ما يشير إلى عروبة أو إسلام . .

هذا موقف اليهود منا وقد التزموه سرا وعلنا واصطلح عليه المتخاصمون صراحة أو ضمنا وسوف يقاتلون دون هذا . .

وهم لا يعتمدون على قوة شكيمتهم قدر ما يعتمدون على ضعف عزيمتنا سيّما وإسرائيل تضاعفت ثلاث مرات فى حرب سنة ١٩٦٧ واستطاعوا خلال ست ساعات لا ستة أيام أن يفضحوا الأمة العربية وحكامها الخادعين المخدوعين ما كان أفدح خسائرنا وأسوأ مصايرنا !!

ذاك بالنسبة إلى قضايا العرب فى هذه المنطقة .

أما بعيدا عنا فهناك خطة لحرب إبادة لا تبقى للإسلام أثرا فى أوروبا ، بدأ تنفيذ هذه الخطة فى البوسنة والهرسك ، وأبرز مظاهرها استئصال علماء المسلمين فقتل العشرات من علماء المساجد ، ومحيت قرى لتبنى فوق أنقاضها بيوت للصرب الأرثوذكس .

المهم ألا يكون هناك أثر لإسلام !

ويتم تنفيذ هذه الخطة فى صمت بين مسلمى ألمانيا وفرنسا .

وهناك أحزاب يمينية (!) رتبت نفسها للقيام بعبء التنفيذ فى الوقت المناسب ، والمسلمون فى دول البلقان يزيدون على عشرة ملايين وفى وسط أوروبا وغربها يبلغون ستة ملايين . .

وقد تسأل عن علاقات هذه الملايين بإخوانهم فى إفريقية وآسيا فيسوءك الجواب !!

إن الهزائم الواقعة أوالمتوقعة لا تجيء من قوة العدو ، بل تجيء من فوضى الدفاع وتضعضع الإيمان وسوء التنظيم .

كان سلاح الجيش المصرى سنة ١٩٧٣ نصف سلاحه فى سنة ١٩٦٧ ، ومع ذلك فقد قام بمعجزات عسكرية مزقت اليهود على ضفاف القناة شذر مذر ، والسبب أن التكبير كان له دوى على امتداد أربعين ميلا ، وكان الجنود يطلبون الموت فظفروا بالحياة . .

أما قبل ذلك فقد ألغى التكبير واستبدل به بُغَامٌ غامض (!) يزعق به الجنود وهم يتقدمون ، فما تقدموا بل اسودَّت وجوه الساسة الملحدين . .

إن المستقبل ملىء بالنذر ، ولا يوجد فى الجبهات المقابلة من يعترف لنا بحق !

بل يوجد من يستكثر علينا الحياة !

وأرى أنه لابد من إعادة النظر فى حاضرنا كله ، وإعادة بناء أمتنا على فكر جديد ، وعزم حديد! وعلى شعور باليأس من أن يعود عدونا إلى رشده .

إن من يبنى وجوده على أنقاضنا يستحيل أن نعترف له بوجود .

* * *

بتر الشريعة

فى الصراع بين الإسلام والعلمانية يجب أن نحدّد الموقف ونضبط المفاهيم !

قال لى رجل علمانى : ماذا عليكم لو كسبتم الإيمان والأخلاق ، وتركتم شئون التشريع والاقتصاد والاجتماع لأصحابها يعملون فيها وفق مقتضيات العقل الحر والزمان المتجدّد ؟؟

إن بُعْد الدين عن السياسة واكتفاءه بالصفاء الروحى والسناء الخُلُقى أشرف له وأجدى عليه!!

قلت له : تريد بصراحة أن تقسم القرآن شطرين ترمى بشطر المعاملات فى البحر ، وتمنح الشطر الآخر حق البقاء !

فسكت قليلا ثم قال : ذاك ما أريد تقريبا !

قلت له : وهذا ما نراه نحن ضياعا للشطرين جميعا وبقاء الأمة بلا عبادات ولا معاملات !

إن الإسلام انقياد مطلق لله فيما أمر ونهى ، وعلاقتنا بربنا تقوم على مبدأ السمع والطاعة ، ونحن فهمنا هذا صراحة من قول الله لنبيه : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .[1]

تصوَّر أن إبليس قال لله سأصطلح معك على أن تطرد آدم من الجنة ، وسأخلفه فيها أسبح بحمدك وأقدس لك وأعفنى من قضية السجود !

أيكون إبليس بهذا العرض قد تاب وأناب ؟؟

إنك يا صاحبى مخادع كبير حين تعزل الإسلام عن الشرائع والمعاملات وحركات الحياة والأحياء ثم تقول له : إنك كسبت حظاً طائلا !

(١) النساء : ٦٥ .

هذا فى الواقع حكم على الإيمان نفسه بالموت! عندما ينطلق الغناء فى كل فجٍّ يقول للسامعين :

جئت ، ولكن لا أدرى من أين أتيت ؟

ولقد وجدت قدّامى طريقا فمضيت ؟

أيكون إبعاد الدين عن الفنّ كسبا للإيمان أوللإلحاد ؟

وعندما يكون الزنا مباحا بتراضى الطرفين أيكون إبعاد الدين عن التشريع كسبا للإيمان أوللإلحاد ؟ وعندما يظفر التراث اليهودى بحق الحياة ويرجع التراث الإسلامى بخفَّىْ حنين ، أيكون إبعاد الإسلام عن السياسة كسبا للإيمان أم للإلحاد؟

إن الزعم بأن الإسلام يبقى بعد عمليات البتر والتشويه التى تجريها العلمانية فى كيانه هو من أبطل الباطل وأجرأ المفتريات ، لن يبقى من الدين شىء ذو بال إذا قبلنا مبدأ الحذف والإلغاء لبعض تعاليمه ، وقد حاول ذلك بنو إسرائيل قديما فقيل لهم :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ .[١]

إذا كان المسلمون يطلبون نصرا فى الدنيا وكسبا فى الأخرى فليحتقروا هذه الصيحات العلمانية وليستمسكوا بالدين كله وبذلك يفوزون بنصر مؤكد .

* * *

(١) البقرة : ٨٥ .

الذكريات لمن يتدبر

كنت أمرّ مرورا عابرا على القول بأن سفن الفراعنة اكتشفتْ أمريكا قبل «خورستوف كولمبس» كان يستوى الأمران عندى وأقول ذهبوا أم لم يذهبوا فالخطب سهل!! وكان الظن الغالب أن الحضارة الأوروبية انتقلت عن طريق الأسبان إلى القارة المكتشفة ، وأن الهنود الحمر انتقلوا بهذه الحضارة من طور إلى طور أعلى ، وأنهم لم يكونوا على دين فدانوا بالمسيحية .

وإن كان المبشرون والساسة قد أبادوا جماهير غفيرة حتى حققوا أغراضهم . .

ثم قرأت اقتباسا من كتاب «علامات على طريق الحرية الأمريكية» ذكره الأستاذ أحمد صدقى الدجانى من وثيقة تعود إلى سنة ١٨٧٩ ، وهذه الوثيقة رسالة وجّهها الزعيم «جوزيف» الهندى الأحمر ، وقائد قبائل «النيزبيريز» الذى وصفه خصمه الأمريكى «جنرال هوارد» بأنه أعظم زعيم فى تاريخ الهنود الحمر ، والرسالة الموجهة تتضمن تسجيلا للمفاوضات التى أجراها «جوزيف» مع الرئيس الأمريكى «راذوفورد» بعد كفاح طويل مرير ضد الغزاة الذين جاءوا من وراء البحار واستطاعوا بتفوقهم العسكرى أن يهزموا السكان الأصليين . .

يشعر القائد الهندى بأن الحقيقة تائهة وسط الكلمات الكثيرة التى ينطق بها الأمريكيون ثم يقول : « إن الأمر لا يتطلب هذا اللغط كله ، إننى أكشف عن قلبى عندما أتكلم بلسان مستقيم ، والروح الأعظم شاهد على ما أقول فهو يسمعنى» !!

وقفتنى هذه العبارة المؤمنة ، الرجل يذكر أن الله يسمعه ، ويرقبه ، وهو ما يعرف الله إلا بهذا التعْبير !

ثم يقول : «لقد ورثنا عن أسلافنا تقاليد جيدة ، أن نعامل الناس بمثل ما يعاملوننا به ، وألا نبدأ بنقض أى عهد! وأنه عار علينا أن نكذب ، وأنه لا يجوز لرجل أن يعتدى على زوجة آخر! أويأخذ شيئا من ماله إلا بعوض!! وقد علمنا أسلافنا أن الروح الأعظم يسمع ويرى كل شىء وأنه لن ينسى أبدا ، وأنه فى الحياة الأخرى سوف يمنح كل

إنسان بيتا روحيا حسب استحقاقه ، فإن كان صالحا فسوف يقتنى بيتنا جميلا ، وإلا فسيكون بيته رديئا!! هذا ما أعتقده ويعتقده شعبى . . » .

ثم يتحدث الرجل عن الأمريكيين الذين قاتلوا قومه فيصفهم بأن كلامهم يناقض أفعالهم ، وأنهم وعدوا بأشياء كثيرة مختلفة ، ولم يقدموا لنا شيئا . . وأن خسائر الهنود الحمر تلاحقت ! . .

ثم يقول : «نفسى تجيش بخواطر شتى حين أتذكر الكلمات المعسولة والوعود المنقوضة . . » .

قرأت المقتطفات المأخوذة من هذه الرسالة ثم تساءلت :

ظاهر أن الهنود الحمر كان لهم إيمان بإله واحد فهل ذلك جاءهم من الخارج أم هى بقايا الفطرة فى نفوسهم لم ينجح الشيطان فى زحزحتهم عنها ؟ وظاهر أنهم كانوا يؤمنون بالبعث والجزاء ، أوبالجنة والنار كما تعبر الشريعة السماوية ، فهل الإيمان الذى عرض عليهم بعد هزيمتهم يتضمن هذا الوضوح فى الوعد والوعيد ، ويربط الأعمال بأجزيتها ؟

إن المادية طغت على أقطار الغرب فما تذكر السماء إلا لماما ، بل لعل الإلحاد الذى ساد اكتسح كل فكرة عن لقاء الله ، وارتقاب ثوابه وعقابه . .

قد يكون الهنود الحمر متخلفين علميا فى بلادهم عندما طرق الأسبان أبوابها ، أما الزعم بتخلّف أخلاقى ، وفراغ دينى فأمر يحتاج إلى نظر ، وقد دفع هؤلاء المساكين ثمن تخلّفهم العلمى غاليا فحصدتهم الأوبئة التى كان المبشرون يصدرونها إليهم فى الملابس والبطاطين حتى تصفر الأرض منهم وتخلو للفاتحين الجدد ، وتم لهم ما أرادوا ، وبقيت الذكريات لمن يتدبّر . .

* * *

المستر «نيكسون»

فى كتاب «الفرصة السانحة» «لمستر نيكسون» الرئيس الأسبق للولايات المتحدة وردت هذه العبارات «إن العالم الإسلامى يملك حضارة مهمة تبحث عن شخصيتها التاريخية ، لقد تمكن هذا العالم من تحرير نفسه من الاستعمار خلال الخمسينات والستينات ثم اندفع بعد ذلك مغمض العينين فى اتجاه عدم الانحياز ، وتوحيد الأمة العربية وسياسة رد الفعل! وسوف يعاود البحث فى التسعينات وما بعدها عن مكانه اللائق بين دول العالم ، وعلى الولايات المتحدة أن تساعده فى ذلك بطريقة بناءة» .

أقول وفى هذا الكلام قدر من الصحة نتقبله راضين ، مضيفين إليه أن نعمة الاستقلال لم تكن طارئة على العالم الإسلامى ، فقد كان خلال قرون طوال يستمتع بحرياته ، ويحيا على أرضه موفور الكرامة حتى جاء المستعمرون من وراء البحار فعكروا صفوه واجتاحوا حقه ، وليس المسلمون أول الشعوب التى وقعت بها مظالم ، وحفّت بها مكاره ، فإن الولايات المتحدة نفسها كانت مستعمرة إنجليزية ونالت استقلالها بحدّ السيف وهى بلا شك جديرة بهذا الاستقلال ، ومن حقها أن تعيش فى ظلاله . .

ولا يجوز أن ننسى أن مسلمى العالم حملوا حضارة أنارت المشارق والمغارب ، وإذا كانت الأيام قد تقلبت بهم فمن حقهم الحنين إلى ماضيهم واستعادة الأمجاد الروحية والعقلية التى عرفوا بها ونحن نشكر كل عون يسديه الآخرون ، ونرد الجميل مضاعفا بيد أن أسفنا يشتدّ حين نرى العوائق أمامنا بدل المعاونات ، ومشاعر البغضاء بدل معانى الإخاء . .

إن البعض يسْتحيى الأحقاد التاريخية حين يعاملنا ويتربّص بنا الدوائر .

وقد شعرت بأشد الاستغراب حين قرأت لمستر نيكسون فى الصفحة نفسها من كتابه هذه العبارات «إن المتعامل مع العالم الإسلامى يشبه وضعه وضع شخص واقف فى حفرة ضيقة وحوله مجموعة من الثعابين السامّه (!) تحمل فى سمّها «ايدولوجيات» متصارعة وقوميات متضاربة . .» !

هل الذى يتعامل مع المسلمين والعرب يتعامل مع مجموعة من الثعابين ؟

هل المسلمون المستباحون فى أرجاء الدنيا ، والذين تسيل دماؤهم غزيرة وهم ينشدون حق الحياة يستحقون هذه الكلمات ؟

هل العدالة الجديرة بالاحترام والبقاء هى التى تقول : يجب أن تكون إسرائيل وحدها أقوى من العرب مجتمعين ، حتى إذا دافع العرب عن أرضهم وعرضهم باءوا بالهزيمة ودمغوا بالذل ؟

بأى منطق نُعامَل فى هذه الدنيا ؟

ولم هذا الغلّ المتوارث ضدنا . . ؟

﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .[1]

سنبقى على ديننا راكنين إلى الله ، مستعينين به ولن نضيع إن شاء الله . .

* * *

(١) إبراهيم : ١٢ .

ذكريات لص

ربما استعاد اللص ذكرياته القديمة فى الخطف والفتك فشاقَهُ ذلك إلى معاودة الإجرام!! وقد تشتد الرغبة فى نفسه إذا رأى الحراس نائمين ، والغنيمة دسمة! إنه يقول مع مستر «نيكسون» الرئيس الأسبق للولايات المتحدة : انتهز الفرصة ، وخذ ما تيسر . .!

إننا نكره الحروب ونمقت تجارها ، لكن ما العمل إذا هجم علينا سماسرة الغزو ورأَوْا سرقة عقائدنا ونفائسنا ؟

ما بدٌّ من الدفاع إلى آخر رمق !

لقد تحدث مستر نيكسون عن الحروب الصليبية ونتائجها فى العصور الوسطى ، وما ذنبنا نحن فى هذه الحروب ؟ إن أفواجا من الهمج أضْراها الحقد فظلَّت تهاجم بلادنا قرابة ثلاثة قرون ، وما وقع فى يدها بلد إلا دمرته ، وأعاننا القدر آخر الأمر فهزمنا الطلائع وسحقنا الفلول ونجونا وماكدنا ننجو! فهل هذه جريرتنا ؟ وهل نحاسب عليها ونؤاخذ بها ؟

لكن «مستر نيكسون» يضنّ بدار الإسلام على سكانها ويبيحها لكل طارىء غريب ويسوق هذه الكلمة تعليقا على نتائج الحروب الصليبية الأولى :

لقد خسر الغرب هذه الحروب - ولكنه كسب المعتقدات !

لقد تم طرد كل مسيحى من الأرض المقدسة للمسيحيين واليهود !

ولكن الإسلام - وقد أسكره النصر ومزق أوصاله المغول - سقط فى غياهب العصور المظلمة من الفقر والنسيان بينما الغرب المنهزم وقد أنضجته الأهوال تعلّم من عدوه ، وبنى الكنائس لتصل إلى عنان السماء !!

ويضم «مستر نيكسون» إلى هذا التعليق الحقود تعليقا آخر يصفنا به شر وصف فيقول : «إن المتعامل مع العالم الإسلامى يشبه وضعه وضع شخص يعيش فى حفرة ضيقة ومعه مجموعة من الثعابين السامّة التى تحمل فى سمّها «إيدلوجيات» مختلفة وقوميات متصارعة» !!

أهكذا نحن ؟

نحن الذين نسبح بحمد الله ونقدس له ونُعْلى اسمه وكلمته ثعابين سامة ؟

أما الذين يكرعون من الشهوات ولا ينتهون عن إثم فملائكة كرام !

أرضنا المقدسة حلال لكل جنس حرام على أصحابها الأصلاء! ويجب انتهاز الفرصة السانحة للقضاء علينا بعدما تم القضاء على الشيوعية .

والمدهش أن هذه الروح الخبيثة تشيع بين جملة الساسة الذين يقودون الغرب ، «فمسز تاتشر» ترى ذلك ، ووزير خارجية إيطاليا عندما ترأس المجموعة الأوروبية يرى ذلك ، وقد تكونت جماعات من الصهاينة والكهان فى الولايات المتحدة ترى ذلك ، ونشطت أحزاب كبيرة فى بعض دول أوروبا ترى ذلك ، وتجهر بضرورة القضاء على الإسلام وطرد أهله من أوروبا !!

إن المأساة تنمو ، وناس منا يساعدونها على النماء ! وماذا نقول فى رؤساء يصارحون بأنهم لا يؤدون العبادات المفروضة لأنهم علمانيون ؟

إنهم يرفضون الشعائر الدينية ، ويكرهون الشرائع السماوية ، ويتملقون بهذا التفريط أوروبا كى تعطيهم شيئا فى المفاوضات مع اليهود !

والغرب كله لن يعطيهم إلا الذل ، ولن يزيدهم إلا خبالا ، والصيحة التى أطلقها مستر نيكسون : « انتهزوا الفرصة واقضوا على الإسلام » هى التعبير الحقيقى عما يجيش فى النفوس ويتفلّت على الألسنة .

* * *

الولاء للكنيسة

عندما شنَّ «مستر بوش» حملته الانتخابية كى يتولى حكم الولايات المتحدة مرة أخرى ، تأملت فى برنامجه الانتخابى فوجدت أنه يعلن ولاءه للكنيسة واحترامه لرسالتها بين عناصر أخرى تحدد وجهته وعمله!!

قلت : هذا رجل يتجاوب مع شعبه ويحترم نفسه ، وهو كجملة حكام الغرب يتمشى مع العواطف الدينية للجماهير ، فملكة انجلترا عند تولى العرش تقسم على حماية الكنيسة الإنجيلية ، ولا تزال الأحزاب الحاكمة فى ألمانيا وإيطاليا وفرنسا محافظة على الديمقراطية المسيحية !!

لكن الطوائف العلمانية فى الشرق الإسلامى تذيع أوهاما مستغربة عن ترك الغرب للدين ، تريد بذلك إحراج الإسلام وحده ، وصرف المثقفين عنه ، والواقع أن الغرب الصليبىّ كله متمسك بمواريثه . وهو يعلِّم ذراريه كره الإسلام ومقت شعوبه وخذلان قضاياه .

ولا يغضّ من هذه الحقائق أن تنشر «التايمز» صورة لمسجد يزدحم المصلون فيه - فى قلب لندن - وصورة أخرى لكنيسة خاوية إلا من مترددين يُعَدُّون على الأصابع ، صحيح أن الكنائس فشلت فى تقديم زاد روحى عقلانى يجتذب المصلين إليها . . لكنها نجحت فى جمع تبرعات سخية جدا لدعم التبشير العالمى وإلحاق جراحات غائرة بالأمة الإسلامية . .

كما استغلت ضعف أجهزة الدعوة عندنا لترويج الأساطير عن الإسلام ورسالته . وقد يكون لين رجال الدين هناك ، وإقرارهم لمباذل الحضارة الحديثة سببا فى سوء الظن بالدين نفسه ، فالمعروف أن رئيس كنيسة «كنتر برى» كان من بين الذين أقروا إباحة الشذوذ ، وترك عقاب أصحابه ماداموا متراضين على الخنا !!

كما أن قدرة اليهود على سرقة الضمائر وقبول المظالم الواقعة بالعرب لم يشرف الدين ولا رجاله ولا معابده . .

ومع هذا كله فقد بقيت للدين مكانة عامة حتى أن الرئيس الأمريكى كما رأيت يعلن روابطه بالكنيسة قبل خوض المعركة الانتخابية . .

ونحن قبل أن ننظر إلى أوضاع غيرنا ينبغى أن ننظر فى شئوننا الخاصة ، وأن نتساءل : هل المسجد يؤدى رسالته النبيلة ؟ وهل هناك من الحاكمين من يعلن ولاءه له ، ورباطه به ؟

لقد كان المسجد منذ أنشىء جامعا للعبادة وجامعة للعلم ، وما نشأت الدراسات الفقهية إلا فى صحون المساجد وكان الشعر ينشد فى المسجد - على عهد الرسول ﷺ - وكان رواد المساجد يخرجون منها بزاد متكامل من المعارف والآداب ، بل كانت هذه البيوت مفزعا لمن يريد الإقبال على الله يلتمس فى جوّها الخاشع السكينة والرضا . .

ومن ربع قرن تقررت دراسات رتيبة بين المغرب والعشاء فى التفسير والسنة والفقه والتاريخ والعقائد والأخلاق عدا خطبة الجمعة التى أعدت لها كراسات خاصة وتولّى الخبراء النظر فى موضوعاتها ونصوصها وشواهدها . . فهل ذلك يقع ؟ أم طواه الإهمال ؟

إن عددا ضخما من المصلين لا يحضر الجمعة إلا عندما يقارب الإمام الانتهاء من خطبته !!

أما الدروس العلمية فقلما تُلْقَى ، وإذا أُلْقِيَتْ فمادتها غثة ونَفَسُها بارد إلا من عصم الله .

إن المساجد عندنا يمكن أن تقوم بعمل هائل في تزكية النفوس ، وتنوير العقول ، ورفع مستوى الجماهير ، ولكننا نبدّد هذه الطاقة ، ونستهين بآثارها .

وأظن أن الأوان قد آن لربط الأسرة المسلمة بالمسجد فقد كانت صفوفه قديما تشمل الرجال والنساء والأولاد ، فيخرجون جميعا منه وهم أضوء عقولا وقلوبا .

* * *

غيبوبة

أحيانا تضع عصابات اللصوص خطتها على أن الحراس قليلون أونائمون ، وأن المنافذ سهلة لا وعرة ، وأن الاستيلاء على الغنائم لن يكلّف جهداً يذكر ، فهى تقوم بعملها لا يخامرها قلق ، وكثيرا ما تعود من مغامراتها وهى راضية بما نالت . .!!

والتبشير العالمى – وهو يقوم بخدمة الاستعمار الغربى – يتبع هذه الخطة ، عالما بأن كفة المغارم صفر ، وأن كفة المغانم حافلة!! المسلمون فى نظره ركام هشٌ لاتماسك فيه ولا مقاومة له ، يستطيع من شاء أن يختطف منه ماشاء دون قلق ، وقد حادثت عدداً من أولئك المخطوفين فوجدتهم لايدرون من أين جاءوا ولا أين يذهبون . .؟

إنهم حملوا أسماء جديدة وعاشوا كما أريد لهم دون وعى . .!

وهذا هو السرّ وراء الإعلان بأن أفريقيا مثلا يجب أن يتحول الإسلام فيها إلى دين ثانوى خلال كذا سنة ، وأن جنوب شرق آسيا ينبغى أن ترفرف عليه أعلام الصليبية خلال كذا سنة ، إن واضعى الخطط لا يحسبون حسابا لمقاومة ، ولا يتوقعون أن يجدوا أمامهم عوائق .!

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ونام عنها تولّى رعيها الأسد!!

وأخيرا تحرك أصحاب التراث المنهوب ، وشرعوا يقاومون الغارات الجريئة . . وشعر لصوص العقائد بأن الجو تغير ، وأن أطماعهم لا تنساب إلى غاياتها فى سهولة! فماذا يفعلون؟ أخذوا يصيحون : حقوق الإنسان فى خطر! يجب أن تتحرك الدول الكبرى لإنقاذ الشعوب ! انقذوا الثقافة الإنسانية من أخطار الرجعية!! وهكذا شعر العاملون ضد الإسلام بأن المقاومة الإسلامية يجب أن تضرب ، وأن يقظتها فى وسط إفريقيا وجنوب آسيا لابد أن تغطّى ، وامتد هذا المكر إلى الأرض الإسلامية المتخلفة عن

انحلال الاتحاد السوفيتى ، فإذا تيارات العلمانية تنتعش وإذا جهود هائلة تبذل لمنع الجماهير من الحنين إلى دينها والعودة إلى شرائعها وشعائرها . .

إن الخصوم التقليديين للإسلام يتحركون على عجل لاستبقاء الغيبوبة الفكرية التى عاشت فيها أمتنا الكبيرة تحت سطوة الاستعمار والشيوعية ، والتى فقدت كيانها خلالها . .

وأنا أهيب بالإسلاميين الناشطين فى الأمة العربية أن يسابقوا الزمن ، وأن ينتهزوا الفرصة ، وأن ينسوا خلافاتهم ، وأن يوحدوا صفّهم أمام عدو استمرأ العدوان عليهم وكسب الكثير فى أيام خلَتْ ، إننا خمس سكان العالم ولا يجوز أن ننقص بل يجب أن نزيد ، وأرضنا معروفة المعالم من تاريخ طويل فلا يجوز أن يُغار عليها أوتنتقص من قلبها وأطرافها ، إن فجرا جديدا يجب أن يطلع علينا يضع حداً لغارات الطامعين والراغبين فى محو عقيدة التوحيد . .

* * *

مسلمون فى الجبل الأسود

الحرب التى دارت فى «يوغوسلافيا» جديرة بالبحث والاعتبار ، كنت أظن مع غيرى أنها حرب لاناقة لنا فيها ولا جمل! حتى قرأت أخيرا مقالا فى صحيفة الاتحاد كشف لى عن حقائق لم تكن تخطر لى ببال . .!

إن «يوغوسلافيا» دولة حديثة الوجود كوّنها الحلفاء عقب فوزهم في الحرب العالمية الأولى من عدة قوميات مختلفة الأعراق ، كان المسلمون جزءا كبيرا منها إذ يبلغ عددهم قرابة ستة ملايين مع ملاحظة أن إقليم «كوزوفو» سلخ من ألبانيا المسلمة ، وضم إلى يوغوسلافيا ، وهى سياسة تبعها الاستعمار العالمى فى معاملة الأمة الإسلامية المترامية الأطراف لاسيما فى إفريقية ، فهو يأخذ جزءا من الصومال المسلم ليضمه إلى كينيا حتى يفقد شخصيته وتضعف الصومال بفقده ، وتكررت هذه السياسة فى أغلب دول القارة التى استحدثت فى السنين الأخيرة ، المهم أن المسلمين فى «يوغوسلافيا» جعلوا من دينهم قومية خاصة عاشوا بها فى إقليمى «البوسنة والهرسك» ولهم بقايا كثيرة فى سائر أقاليم الدولة الجديدة . .

وعندما وقعت الحرب الأخيرة بين الكروات والصرب لاحظت ضراوة القتال وشدة الحقد بين أصدقاء الأمس تظهر فى المدن الكرواتية التى تحولت إلى حجارة وزجاج وأخشاب وأنقاض . .

قلت فى نفسى ما السرّ فى هذا اللدد ؟ حتى عرفت أن اليهود من ورائه !!

إن إسرائيل تمدّ الصرب بما تحتاج إليه من سلاح ، وتعينها بعدد من الضباط الذين احترفوا القتال ، وهناك جنود مرتزقة من دول أخرى أشرفت إسرائيل على جمعهم فى صمت! لماذا ؟

لأن رئيس الكروات متهم بمعاداة السامية – وهى تهمة رهيبة – وقد ألف كتابا نفى فيه المجازر التى قيل إن الألمان أوقعوها باليهود ، ووصفها بأنها أكذوبة كبيرة . والواقع أن هناك مبالغة مفرطة فى أعداد القتلى اليهود! ربما بلغوا عدة آلاف أما الزعم بأنهم عدة ملايين فأكذوبة كبيرة كما قال الزعيم الكرواتى ثم إن الكرواتيين على الإجمال فاترو

المشاعر نحو إسرائيل ، ولم يظهروا حماسا نحو إقامتها ، وقيل إن عددا منهم شارك فى تعذيب اليهود بمعسكرات النازى ، وبنو إسرائيل يبحثون عن هؤلاء ، وعن أولادهم أوأحفادهم ليقتصّوا منهم !! وسوف تظل إسرائيل مع الصرب حتى تبلغ غايتها . . وموقف المسلمين فى يوغوسلافيا شديد التعقيد!! إنهم الآن يلتزمون الحياد بين الفريقين المتخاصمين ولكن الصرب تتربص بهم ، وتريد أن تشق لنفسها طريقا على شاطىء «الإدرياتيك» كى تنشىء لها ميناء على البحر ، وذلك بداهة على حساب المسلمين المعزولين فى هذه البقاع . .

والعدوان مرتقب إن لم يكن اليوم فغدا . .

وعندما يُضرب المسلمون فى قطر أوروبى ﴿ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ .[1]

وتتساءل : أما لهم من نصير من إخوانهم فى القارات الأخرى ؟ والجواب كئيب!!

إن الجنرال «ميخايلوفتش» قتل منهم مائة ألف وَمَرَّ دون مساءلة ، وجاء بعده «تيتو» وهو شيوعى ملحد فكان موقفه من المسلمين مثل موقف سابقه . .! وكانت «لتيتو» هذا مكانة فى البلاد العربية لأنه من رؤساء «جبهة عدم الانحياز» .

إن موقف المسلمين فى البوسنة والهرسك والجبل الأسود وكوزوفو وألبانيا نفسها ، يجب أن يدرس بأناة وأن يتحرك العالم الإسلامى لمساندته وردّ العدوان عنه !!

بم يشتغل المسلمون ؟ وإذا أصيبوا فى أخوتهم العامة فماذا يبقى لهم ؟ وهل بعد ذلك إلا أن تدور الدائرة عليهم فى عقر دارهم ؟

* * *

(١)يس : ٤٣ .

لا مكان للضحك !

ما أعقب مجزرة الحرم الإبراهيمى يثير ضمائر الأحرار ويزيد الجراح عمقا . ونحن نثبت ما حدث لأن هناك محاولات دائمة لطمْسه! قال متحدث يهودى عن عدد القتلى : إنه قليل ولكنه بداية طيبة! والقتلى الذين حصدهم الرصاص وهم سجود كانوا خمسة وستين مصليا ، ثم لحق بهم ثلاثون من الجرحى عزت جراحهم على الشفاء ، ثم لحق بهم ثلاثون آخرون من المتظاهرين الناقمين مما حدث !!

إنهم فى المنطق اليهودى بداية طيبة وإن كان العدد قليلا ! وفى التعليق على مصرع الجانى بعدما ارتكب جريمته .

يقول متحدث يهودى آخر : إن مليون عربى لا يساوون ظفره !! وإن اسمه الآن على كل لسان ! .

والجانى فعل فعلته فى حماية جيش الدفاع الاسرائيلى ، وانتظر حتى سجد المصلون فوجد الشجاعة لإطلاق الرصاص ! والأوامر صادرة لهذا الجيش ألا يعترض مستوطنا ولو بدأ بإطلاق النار .

والغريب إن إذاعة لندن أحصت القتلى أربعين ثم استدركت فجعلتهم ثلاثين ثم قالت بضع عشرات !

أما فى الولايات المتحدة فإن مجلس الأمن حاول الاجتماع عدة مرات لتوبيخ اليهود ، ولكن الرئيس الأمريكى قال له ترَّيثْ ، حتى نطمئن إلى قبول العرب للسلام !

وماذا ترقب من رجل جلس ساعتين يسامر «سلمان رشدى» ليؤيده فى حرية رأيه ، وما رأيه ؟ إهانة محمد وأسرته !!

وقد نظرت إلى بعض الأقلام العربية فوجدت الخيانة مجسَّمة ، فمنهم من يقول إن الحادث المؤسف لايجوز أن يقف مسيرة السلام !

لقد جثا العرب على ركبهم يتسوَّلون السلام - وهو فى حقيقته الاستسلام - ومع ذلك فقد ضنَّ اليهود به ، ليزيدوا الفريسة عذابا . .

وبعض الصحفيين يتبنَّوْن الآن وجهات النظر الصهيونية والصليبية وكان المنظور أن تلغى أفراح الأعياد ، وأن يتدارس المسلمون محنتهم محليا وعالميا ، وأن يعلنوا حدادا عاما على نكباتهم المترادفة .

ولكن قوى خفيّة كانت تحثّ المواكب على الطرب ، وتقود قوافل الدهماء إلى حدائق الحيوان وتجعل ضجيج العيال يردم ذكريات المصاب ويهيل النسيان على جثث القتلى . . وإذا بقى الإعلام فى الأقطار الإسلامية ينفذ هذه السياسات الخائنة فإن العالم الإسلامىّ فى طريقه إلى الضياع .

إنه لامكان للضحك مع هذه الأحداث .

* * *

السلام.. تدليس مفضوح

احتفلت أوروبا وأمريكا بميلاد السيد المسيح وعيد رأس السنة وأحسّ القوم أن شمس القرن العشرين موشكة على الغروب فلم تبق على نهايته إلا أعوام قلائل . .

وقال المراقبون : إن هذا القرن من أشأم القرون وأملئها بالخسائر والضحايا ، فإن حربين عالميتين وقعتا فيه ، وسبقتهما وأعقبتهما حروب محلية كثيرة وأمسى الحديث عن السلام تدليسا مفضوحا بعدما تفجرت الضغائن وانكشفت الأطماع وانطلقت الجماهير وفق غرائزها الهابطة كأنها سباع فى غاب . .

إن المسيح من رموز السلام وقد قال القرآن الكريم عنه : ﴿ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .(1)

لكن العالم الغربىّ لم يستطع الارتفاع إلى مستوى المسيحية ، بل جرّها إليه واعتسف بها طريق العدوان والخصام ، وقد نشط التبشير بالمسيحية فى قارة أفريقية فماذا جنت القارة المظلمة – كما سمّوها – ؟

عشرة ملايين إصابة بالإيدز! لأن العلاقات الجنسية فى أوروبا جعلت ٦٠٪ من الأطفال يولدون من آباء غير شرعيين دون أى حرج .

فماذا تنتظر أن يقدمه هؤلاء للناس ؟

ثم تجىء سلسلة المظالم التى تقع بالمسلمين ، إنها مصحوبة بحقد دفين ، فالعملاق الروسى لا يستحى أن يسوق قواه البرية والجوية لضرب شعب كالشيشان ، كما أن حلف الأطلسى يسكت عامدا عما يصيب مسلمى شرق أوروبا ، وتعجب عندما يتكلم هؤلاء وأولئك عن حقوق الإنسان ، واحترام الأديان !

إن أوروبا بدأت مدّها الاستعمارى من خمسة قرون ، اكتشفت خلالها أمريكا واستراليا فماذا فعلت بسكان هاتين القارتين ؟

---

(1) مريم : ٣٣ .

إن جماهير الهنود الحمر لم يبق منها إلا النزر اليسير لأن الجنس الأبيض الفاتح كان يريد الأرض وما فيها لنفسه ، كان يبحث عن الذهب وشتى المعادن ، وكان يَفْتَنُّ فى إبادة المستضعفين طورا بالرصاص وطورا بالجراثيم حتى إذا خلت الأرض من أصحابها استقدم الأوروبيين ليحلوا محلهم ، إن أوروبا لاتعرف من المسيحية إلا أنها غطاء لرغباتها الحرام ، وما تنظر إلى الشعوب الأخرى إلا نظرة السيد إلى الخدم !

وقد ظهر الإسلام ليعود بالدين إلى حقيقته وليقهر طبائع الاستعلاء والفساد عند بعض الناس ، وقد قام آباؤنا الأولون من الصحابة والتابعين بتأديب الأوروبيين الأقدمين ، وكفّ مظالمهم عن الأم ، ولعل الحرب التى شنوها على الرومان كانت أشرف حرب فى العالمين .

ما أحوج الناس فى هذا العصر إلى سيف محمد لينقذ المستغيثين وينصف المستضعفين .

* * *

سلام على سلامكم

هناك لغط هائل حول قضية السلام بين إسرائيل والعرب أوهناك تضليل متعمد حول جوهر القضية وموقف الطرفين منه!! وأريد أن أكون حاسما فى إحقاق الحق وإبطال الباطل .

قال «بن غريون» رئيس إسرائيل الأسبق : «لا إسرائيل بدون القدس ، ولا قدس بدون الهيكل» والهيكل يبنى على أنقاض المسجد الأقصى .

وقد وصف العهد القديم طريقة بنائه فى عدة صفحات يراها اليهود وحيا واجب النفاذ وإن تراخت الأيام .

والمسلم الذى يوافقهم على ذلك مرتد عن دينه يقينا وما أحسب أن هذا المسلم يوجد فى بلد من البلاد . .!

وعلى بنى إسرائيل إذا كانوا طلاب سلام أن ينفوا ما قاله «بن غريون» ويعلنوا احترامهم للمسجد الأقصى وأن يضموا إلى ذلك أمرين .

أولهما فتح الطرق لعودة اللاجئين العرب .

والآخر تسليم سلاحهم الذرى لهيئة الأمم المتحدة ، فإن هذا السلاح مُعَدٌّ لإبادة العرب والمسلمين . .!!

أستطيع باسم الإسلام القول بأننا لا نريد سوءاً باليهودية ، وإذا كان فى أرجاء العالم من يهدد اليهود بالفناء ويعلن عليهم حربا عنصرية فإننا نحن المسلمين على استعداد لفتح أقطار العالم الإسلامى كلها لاستقبالهم وتأمينهم والعيش معهم على قاعدة لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات ، إننا لا نعرف حروب الأحقاد الدينية وقد وسعت بلادنا – من بدء تاريخ الإسلام – مللا شتى ومذاهب كثيرة ، إننا لا نحارب إلا منعا للفتنة وردا للعدوان وكسرًا لشوكة الطامعين والمغرورين .

الحرب فى حقٍّ لديك شريعة ... ومن السموم الناقعات دواء !

لكن إسرائيل اليوم تحاول خديعتنا وخديعة العالم معنا وتزعم أنها تسعى للسلام ، أى سلام مع استمرار تسلّحها الذرى ، واستمرار سياستها العدوانية ، واستمرار فلسفتها الدينية القائمة على بناء سلطة صهيونية خالصة بعد إماتة العروبة والإسلام ؟ ؟

إن العالم الإسلامى يمر بفترة مشئومة من تاريخه الطويل وليست الصهيونية والصليبية أعدى أعدائه ، إن أعداءه فى صميم أرضه ، إنهم بين ظهرانينا صنعهم الغزو الثقافى لينشئوا أمة لا خلق لها ولا إنتاج ، لا عقيدة ولا شريعة ، لا تراث ولا مستقبل ، إنهم يلبسون ثوبا عربيا على كيان أجنبى ، ويوشك مع الأيام أن يخلعوا الثوب ويكشفوا المخبوء .

* * *

السقوط من عين الله

لم تكن هيئة الأمم المتحدة عادلة ولا مصيبة ولا موفقة عندما ارتدَّتْ عن قرارها السابق بأن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية !

ما الفرق بين دولة النازى وفلسفته ودولة إسرائيل وفلسفتها ؟ كان هتلر يرى الدم الجرمانى أنقى وأرقى من سائر الدماء ، وكان يرى حقه سيادة العالم ، وكان يصيح : ألمانيا فوق الجميع ، وقد اضطهد اليهود وقتل منهم الألوف وجعل بقاءهم فى ألمانيا مستحيلا . .

وهذا الذى صنعه النازى هو الذى يكرره اليهود مع العرب ، فقد طردوهم من أرضهم ، وهدموا عليهم بيوتهم وصنعوا مذابح رهيبة على آماد متتابعة بدعوى أنهم أحق بالأرض من العرب لأنهم شعب الله المختار الموعود بهذا الميراث كى يقيم عليه مملكته المقدسة !!

الفارق بين اليهود والألمان هو أن مزاعم اليهود تستند إلى نص سماوى - كما يقولون - أما التفوق الجرمانى فهو دعوى أرضية سنادها جنون العظمة وحسب !

اليهود يصرخون : نحن شعب الله المختار ، وقد فضلنا على العالمين! ولنا أن نمحو العرب من فلسطين لنثبت عليها أمتنا وحدها ، ولنا أن نجلب بنى جنسنا من أرجاء الأرض ليحتلوا كل شبر هنا ، أما أصحاب الأرض الأصلاء فليرحلوا حيث شاءوا فرارا من الموت وليعيشوا لاجئين منبوذين فى كل مكان . . !

إذا لم تكن هذه دعوى عنصرية ، فما تكون العنصرية إذن ؟

والغريب أن يصدر هذا الارتداد من هيئة الأمم وقضايا العرب تتدحرج على الثرى فى غير اكتراث ! ليس لها من يدافع عنها من أصحاب السلطان أما الصلف اليهودى فقد جاوز الحدود! يُدعَى القوم إلى حديث فى الصلح فيكونون آخر من يحضر ، وأول من ينصرف ، وأبعد من يستجيب لتفاهم ، ويظل العرب أياما قبل حضورهم ينتظرون وبعد انصرافهم يتساءلون ! وتجىء الأنباء من هيئة الأمم المتحدة بأن اليهود ناس طيبون ليسوا عنصريين ولا أنانيين فيعلم من يجعل أن الحق للقوة ، وأن الغلبة للجسور .

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهى ، ولأم المخطىء الهبل!!

وهكذا تسقط الأخلاق ، وتستخفى المثل ، ويستوحش أهل الحق ويتحقق أمام أعيننا قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [1] إننى أسائل إخوانى العرب : تعلمون أن أكثر من ٦٠٪ من مياه الرى فى إسرائيل تسرق من سوريا ولبنان والأردن فهل تظنون أرشدكم الله أن إسرائيل تصطلح معكم وتكف عن السرقة وتتوب إلى الله ؟ أم أنها ستأخذ هذا الماء هدية منكم ويتبدل الاسم فقط ؟

إن إسرائيل لا تملّ من تكرار تشبثها بما نالت برا وبحرا وجوا ، والدول العظمى وافقت على سحب اتهامها بالعنصرية ، ومن ثم فأنا أسائلكم .

هل سيظل الإسلام يعيش على هامش تفكيركم بينما تعيش اليهودية فى سويداء قلوب أصحابها ؟ إن اليهود يسجلون غيابهم يوم السبت لأن العمل فيه حرام ، فهل تسجلون غيابكم يوم الجمعة لأداء صلاة فى مسجد ، أونعتبركم مسافرين فتؤدون الصلاة فى بيوتكم ؟ إنكم أسقطتم الإسلام من حسابكم فليس غريبا أن تسقطوا من عين الله !!

بعضكم جرب التوكل على الاتحاد السوفيتى فها هو ذا قد ضاع .

فهلا جربتم التوكل على الله وقررتم العودة إليه والتجمع تحت رايته ، وإعادة بناء الأمة على قواعدها الدينية وقيمها الإسلامية المهملة ؟؟

إن العرب يزهدون فى الانتماء الإسلامى ويحسبون العلمانية هى النزعة التى تجمعهم بسائر الناس .

وهيهات ، فقد كشر التعصب عن أنيابه ، وتهيأ لافتراسنا .

* * *

(١) الأنعام : ١١٦ .

عالم من المرايا

أكره الذين يعبدون أشخاصهم ويرتبطون بأهوائهم ارتباطا لافكاك منه ، إنهم يرنون أبدا إلى مصالحهم الخاصة ، ولا يتنازلون عنها إلا ليعودوا إليها ، كحمار الرحى يتحرك فى مداره والمكان الذى يرحل إليه هو المكان الذى رحل منه !!

هذا قائدٌ همه الأول والأخير الهتاف باسمه والتسبيح بحمده !

وهذا عالم ينشد المال والجاه !

وهذا متبرع يطلب الظهور وبعد الصيت !

فإذا بحثت فى صدورهم عن الله والإخلاص له لم تجد شيئا . .

والغريب أنهم ينتسبون إلى الإسلام ويعملون فى ميدانه ، وقد نبهت السنة المطهرة إلى خسار هؤلاء وسوء عقباهم وأنهم أول ثلاثة تسعَّر بهم النار يوم القيامة . . ولا تحسبن هذا الوعيد لوناً من الترهيب المبالغ فيه فإن ارتداء الإسلام على كيان غير طاهر لايفيد شيئا . بل قد يكون بلاء على الإسلام ومبعثا على سوء الظن به .

انظر ما يقع فى أفغانستان ، لقد نجاها الله من الحكم الشيوعى بعد جهاد طويل فى سبيل الله ، أبلى فيه الشباب المخلص بلاء حسنا ، وذهب شهداء كثيرون إلى الله وهم فرحون بلقائه ، زاهدون فى الدنيا وما حوت من متع . .

فإذا بعض الرؤساء يحولون المعركة إلى بحث عن المناصب ، وتطلع إلى الزعامة ، ويصدرون الأوامر إلى جيوشهم كى يحولوا البلاد إلى خرائب وأنقاض . . !!

إن الغمّ كان يملؤ نفسى وأنا أتسمع إلى أنباء العراك على الأسلاب ، وأشعر بأن سمعة الإسلام تُمرَّغ فى الأوحال ، وأتبع بطرف دامع ألوف الهاربين من وجه القتال الخسيس ، قتال الذين تحوَّلوا قطاع طرق بعد ما كانوا قادة لمجاهدين فى سبيل الله !

إن حصيلة الكفاح الحر الشريف وقعت للأسف بين أيدى خطافين يعبدون أنفسهم ويجرون وراء الحطام الزائل !

إن علماء النفس وصفوا بعض الأشخاص بأنهم يعيشون فى عالم من المرايا ، كلما تحركوا إلى جهة من الجهات لا يرون إلا أنفسهم وحدهم ، وهؤلاء الأشخاص خطرون على الدنيا والدين جميعا .

فأما الدين فإن الله لا يقبل من العمل إلا ماكان خالصا لوجهه .

وأما الدنيا فإن الشعوب فى عصرنا ثاقبة البصر ، إذا رأت قائدا مفتونا بنفسه مشغولا بمصلحته تخلصت منه ونأت عنه .

فلنحدد موقفنا من هؤلاء القادة المرضى .

* * *

كابوس الجرائم

لا يختلف اثنان فى أن الولايات المتحدة أعظم دول العالم ، وأرقاها حضارة ، وكان المنتظر بعد هذا السبق البعيد أن يسودها الأمان وتغمرها الصحة النفسية والاجتماعية ولكن يبدو أن ذلك لم يحدث ، وأن الدولة القوية الغنية تسودها أحوال مزعجة !!

وفى تصريح لوزيرة الصحة الأمريكية ذكرت أرقاما عن الجرائم والأمراض والانحلال تدعو للتساؤل .

قالت : إن خمسين ألف شخص يذهبون ضحايا العنف والإجرام سنويا ، وأن هذا الرقم المخيف يزيد على ضحايا مرض الإيدز الذين لا يتجاوزون عشرين ألف شخص سنويا ، كما أنه يمثل ثلاثة أضعاف حوادث المرور الناجمة عن تناول الخمور وهم لا يزيدون عن ثمانية عشر ألفا !! أى أن هذه الدولة العظمى تفقد كل عام ثمانية وتسعين ألف قتيل لأسباب شتى ، وهى لم تشتبك فى حرب مع دولة أخرى إنهم ضحايا الأحوال الداخلية المضطربة !

وأوضحت وزيرة الصحة الأمريكية فى تقرير قدمته لإحدى اللجان البرلمانية أن الرعاية الطبية لضحايا العنف كلفت الدولة فى العام الماضى ١٣,٥ مليار دولار! وذكرت أن ٤٤٪ من جرائم القتل سببها المخدرات !

ولم تنس الوزيرة المسئولة أن تقول فى تقريرها إن التلفاز ووسائل الإعلام تحمل وزرا كبيرا فى تزايد هذه الفوضى ، وأنها خيَّلت للشباب أن العنف هو الطريقة المثلى لحل المشاكل !

لقد تدبرت هذا الواقع المخزى ، وبحثت عن أسبابه ، وشعرت بأن البلد المتفوق علميا وصناعيا متخلف دينيا وخلقيا ، وأنه محروم من عناصر الوحى السماوى التى تمنعه من رذائل كثيرة ، إنه استطاع تفجير الذرة ، وقهر الأعداء ، ولكنه عجز عن علاج أمراضه والنجاة من غوائلها ، والكنائس لديه خالية ، والعامر منها مشغول بدعم إسرائيل وهزيمة العرب !! وبضاعة رجال الكهنوت - لو نشطوا فى

توزيعها - لاتنجح فى زكاة نفس ، ولا فى إحياء ضمير وغرس تقوى ، وتذكرت قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .[1]

لكن القوم يعقدون المؤتمرات ويفضّونها من أجل محاربة الإسلام ، وكان الأولى بهم أن ينشغلوا بإصلاح بواطنهم وتهذيب مسالكهم بدل هذا اللدد فى محاربتنا !

كنت يوما فى أمريكا ، وخرجت من الفندق لبعض شأنى ، فلما عدت وجدت الفزع باديا على أصحابى ، واستقبلونى وهم لايصدقون أنى عدت !! لأن الخارج فى هذه الساعة يغلب أن يُسرق ، أويُجرح ، أويُقتل !

فقلت فى بلادنا نمشى فى الظلام إلى المسجد لانخاف إلا الله وحده ونصلى الفجر ونعود آمنين . . أتمنى أن تقتبس هذه البلاد بعض ما لدينا .

* * *

(١) المائدة : ٦٨ .

حضارة!!

أذاعت وكالة «رويتر» هذا الخبر المثير قالت :

«إن دراسة حكومية فى كندا كشفت أن نصف النساء الكنديات قد تعرضن للإيذاء البدنى أو الاغتصاب ، وأن واحدة من بين كل أربع سيدات قد تم الاعتداء عليها من أحد المقربين لها!!

والطريف أن هذه الدراسة ذكرت أن ٦٠٪ من الكنديات يخشين السير فى الشوارع المظلمة خوفا من الاعتداء عليهن !» .

الحق يقال أن هذه الحال ليست مقصورة على كندا ، بل هى حال المجتمعات الأوروبية والأمريكية كلها ، فإن النظرة الحيوانية إلى المرأة تكاد تكون عامة ، والأسباب الباعثة على ذلك تزيد ولا تنقص ، والعفة التى تنشدها الأديان كلها تكاد تكون من المستحيلات . . !

ولم أعجب عندما قرأت إحصاء لإحدى اللجان أن غشاء البكارة يندر بقاؤه بعد سنّ المراهقة !!

إن أزياء النساء تفصّلها شياطين مولعة بإثارة الشهوات وتمزيق الأعراض فالثوب قلما يغطّى الركبتين من أسفل وقلما يستر الصدر من أعلى وصقل الشعر فنون !!

ومع كل فصل من فصول السنة يخترع الخياطون بدعا جديدة فى الملابس يعرضها سِرْب من الفتيات الغاديات الرائحات وهن يكشفن ما يوفره الزى الجديد من إثارة وإعجاب . .

أما قصة غضّ البصر فخرافة قديمة لا يعرفها هذا العصر ، ولعلها من الذكريات الرديئة !

وقد انفردت هذه الحضارة بإقامة المراقص التى يحتضن فيها من شاء ماشاء! وأى عيب فى ذلك ؟ كما انفردت بعرض البغايا من وراء زجاج مصقول كى ينظر المارة إليهن ، ثم يدخل إلى المحل من ارتضى إحداهن !!

إن وضع المرأة فى الحضارة الغربية يدعو إلى السخط والاشمئزاز . والغريب أن بعض حملة الأقلام عندنا يريد نقل هذه المباذل إلينا ويراها دلالة تقدم وارتقاء . .!

إننى أعود بخيالى إلى مجتمعنا الأول فى المدينة المنورة ، والمسلمون من الرجال والنساء يُدعْون إلى صلاتى الفجر والعشاء فى ظلام الليل «بشّر المشائين إلى المساجد فى ظَلَم الليل بالنور التام يوم القيامة» وتخرج النساء من بيوتهن زرافات ووحدانا ليملأن الصفوف المؤخرة فى المسجد ، ثم يعدْن إلى بيوتهن ما يُعرفن من الغَلَس وما يخشين اعتداء ولا اغتصابا إن نسائم الطهر والعفة تهبّ على المجتمع كله ، وتجعله لا يعرف إلا مرضاة الله ، ولا يسعى إلا إلى تقواه . .

إن الفروق واسعة بين المادية الحديثة وبين مواريث موسى وعيسى ومحمد .

وما يقع الآن فى العالم الغربى يستحيل أن يقبله عيسى بن مريم ، ويحزننا أن رجال الدين هناك بدل أن يصلحوا أنفسهم ومجتمعهم انشغلوا بالحملة على الإسلام ومؤازرة الاستعمار فى النَّيْل منه واجتياح حقوقه .

* * *

قطاع طرق

قد ينجح قاطع طريق فى احتلال جزء من الأرض واستذلال قبيل من الناس لكن هذا النجاح لا يشبع أطماعه ويبعثه على الرضا بل يزيده تلمظا وجشعا على طريقة إن الطعام يقوى شهوة النهم .

والضمير اليهودى بعدما استولى على فلسطين استيقظت فيه كل خصائص السلب والابتزاز ، وافتضح ماكان خافيا من أثرته وتطلّعه الذى لاحدّ له ، وهو يعمل الآن بدهاء رهيب لاستكمال «إسرائيل الكبرى» على أنقاض العرب أجمعين ، مستغلا الفوضى الدينية بينهم ونجاح الغزو الثقافى فى تدويخهم وتزهيدهم فى مواريثهم .

وأول ما نذكره عن الضمير اليهودى أنه لايرعى عهد ولا يعرف وفاء بل يندفع بقواه الذاتية إلى مآربه غير آبه لشىء ، ومعروف أن الأمريكيين أقاموا الدولة اليهودية بمساعداتهم التى تبلغ ألف دولار كل عام لكل طفل أو رجل فى « إسرائيل » !

ومع ذلك فإن عصابة من الحاخامات تكونت لسرقة المال الأمريكى من منابعه وزعمت أنها كونت مدارس لتخريج يهود متطرفين!! ينفق على طلابها من تبرعات الأغنياء ، ويدفع لكل طالب يهودى ٢٤٠٠ دولار سنويا .

وقد كشفت التحقيقات عن أن ٩٧٪ من هؤلاء الطلاب وهميون لا وجود لهم فى الواقع وأن الحصيلة المجموعة ذهبت لحساب رؤساء يخدمون التطرف ويدعمون قضاياه وأن أصحاب الهوس الدينى من الأغنياء هم ضحايا هذه القصة !

وهكذا ردّ اليهود الجميل إلى من يساعدونهم فى السر والعلن فخدعوهم وضحكوا على ذقونهم !

وعلى أية حال فمهما فعل اليهود فإن الضحايا راضون مادام الهدف المقرر هو ضرب العروبة والإسلام !

وكشف اليهود عن طباعهم وهم يفاوضون فى صلح «غزة وأريحا» وقالوا :

إن المقصود بأريحا البلد لا المنطقة كما تقول المقصود بالجزائر العاصمة لا الدولة ، أوكما نقول المقصود بمصر القاهرة لا البلاد كلها . . وعلى المفاوض العربى أن يدوخ ليثبت حقه فى بلدة يملكها من آلاف السنين !

وفى أثناء المفاوضات كان الرصاص اليهودى يغتال ويعربد ليثبت أنه طالب سلام !

من قديم واليهود معرفون بأنهم لا عهود لهم ، لا مع الله ولا مع الناس ، حتى قال الله فيهم : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ .[1]

وبيّن أن هذا الغدر سجيّة فيهم غير محدثة فقال :

﴿ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .[2]

لقد اغتصب اليهود فلسطين ولا حق لهم فى ذرّة من ترابها ، وتم هذا الاغتصاب فى أيام نحسات من تاريخ أمتنا التى تفرقت وضرب بعضها بعضا فضربها القدر بمن لا يرعى فيهم إلاً ولا ذمة ! والآن بدل أن نعود إلى ديننا ليعود إلينا عزنا نمدّ أيدينا إلى أعداء الإسلام وقتلة الأنبياء . .

إنهم اليهود الذين لن يتركوا طبائعهم السوء أبدا .

*　　*　　*

(١) المائدة : ١٣ .

(٢) المائدة : ١٣ .

أمة منحدرة

كانت العروبة فى أحضان الإسلام تعنى التربية والثقافة والشريعة والتراث فلما انسلخت عنه أو أريد لها أن تكون بديلا عنه وُجدتْ شعوب معتلة الثقافة منحلة الأخلاق متسولة للقانون متنكّرة للتراث حتى صحَّ فيها قول محمود غنيم :

ويح العروبة ، كان الكون مسرحها ! فأصبحت تتوارى فى زواياه! !

وقد نظرت إلى إسرائيل بعد اشتباك سبعين سنة مع العرب فرأيت اليهود دولة قوية تحظى باعتراف الشرق والغرب ورأيت العرب زادوا على عشرين دولة تتنافس جميعا على مرضاة إسرائيل ! ورأيت اليهودية دينا ودولة ، أما الإسلام فلا يجوز أن تتكون باسمه هيئة ترفع راية الشريعة وتتشبث بمواريث الوحى !

وأعرف أن المسلمين يعانون من هزائم ثقيلة ، وأن كفتهم طاشت بين الأمم .

ولكنى لم أعرف منهزما يدعى البطولة ، ويلبس شارة الزعامة ويرقب من الجماهير أن تهتف له كما يقع ذلك فى أرجاء الأمة العربية! والعرب بأسهم بينهم شديد ، ولو أن نصف خسائرهم فى الفتن الداخلية وُجِّه إلى عدوهم لاستردوا أكثر ما فقدوا . .

أليس من العجائب أن جيشا لبنانيا لا يزال يقاتل العرب مع إسرائيل ؟

وقد استطاع بعض الرؤساء العرب أن يؤلف جيشا لا بأس به ، مزودا بأسلحة حسنة وزعم أنه سيدخل به تل أبيب ، فلما وقعت الواقعة دخل به الكويت وضلّ الطريق إلى تل أبيب !

وبين العرب اليوم سباق إلى مصالحة إسرائيل والرضا بالهزيمة المذلة وأول من سنّ هذه السنة الرئيس أنور السادات لأنه ورث عن جمال عبدالناصر عروبة مقطوعة عن الإسلام مربوطة بقومية مجردة وجاهلية عمياء حرمته كل توفيق وأذاقته الموت قبل أن يحين أجله !

إننى أرمق أوضاع العرب السياسية فأشعر بغصّة ، وسيبقى العرب ينحدرون ماداموا يرفضون الإسلام تربية وثقافة وشريعة وفلسفة وشارة حياة ودعامة مجتمع ، وسيبقى الصلف اليهودى يتورّم وتنفخ فيه الدول الكبرى ما بقى العرب زاهدين فى الاسلام . .

وسيبقى قادتنا أصحاب عضلات من حِزَقٍ إلى أن يَرجع الإيمان التائه إلى القلوب الفارغة وتعود الأخلاق إلى المسالك المعوجة .

* * *

مخالب حادة

الفرنكفونية حركة ثقافية سياسية اقتصادية تقودها فرنسا وتنتظم الآن بضعا وعشرين دولة كان أغلبها مستعمرات فرنسية سابقة ، فلما تحررت حلّ الرباط الجديد محل القيادة القديمة !

وفرنسا من الدول العظمى ، وهى شديدة الحب للغتها وأدبها وتقاليدها وليست فى ذلك بدعا بين مثيلاتها من الدول ولكن الطبع الفرنسىّ نزّاع إلى المغالبة والسَّبْق . فإذا دخَل بلدا أحب أن تكون لغته الوحيدة فى مجال التعليم والتخاطب فإذا عجز عن محو اللغة القومية للآخرين فلتكن الفرنسية هى اللغة الأولى .

وقد تدحرجت اللغة العربية فى أقطار المغرب الكبير برغم مساندة الإسلام لها والمستقبل مقلق ! والارتباط بالإسلام نفسه يعانى حرجا كبيرا لضعف العلاقات بين الدين والقانون ، والدين والإعلام ، والدين والتربية .

والناظر إلى الدول الفرنكفونية يرى أن الاستعمار الثقافى والاجتماعى ماضٍ فى طريقه لإفقاد الإسلام مكانته . . !

والفرنسيون كاثوليك شديدو التعصب لمذهبهم ، وقد التزموا خطا لا يحيدون عنه فى القرن الأخير .

وقد استغربت موقفهم فى رواندا ، فقد صادقوا حكومتها القديمة وسلحوا جيشها وأعانوها محليا وعالميا وشرعوا يعملون على ضمِّها إلى بقية الدول الفرنكفونية فى القارة السوداء .

ولكن قبيلة «التوتسى» كانت متأثرة بتيار أوروبى آخر فاستعصت على هذه المحاولة ، ووقعت فتن وانقسامات خسرت فيها القبيلة المتمردة على الفرنكفونية نصف مليون قتيل! ولا تزال حركة التمرد قائمة ! وعندما نجحت فرنسا فى استصدار قرار من

مجلس الأمن لدخول رواندا لإقرار الأمن (!) غضبت القبيلة الثائرة وقررت اعتبار الفرنسيين غزاة وعقدت العزم على محاربتهم !

لقد ساءلت نفسى عن هذا النصف مليون من القتلى فيم ذهب ؟ ولماذا يغضّ العالم من فداحته ؟ وما هذه الفرنكفونية التى يدفع الإفريقيون فيها هذا الثمن الفادح ؟

وساءلت نفسى مرة أخرى هل لو كان النزاع بين المسلمين وأتباع إحدى الوثنيات وسُفك الدم بهذه الغزارة أكان العالم يسكت علينا ؟

إنه يسكت فى حال واحدة! أن يكون الضحايا من المسلمين !

وددت لو أن لجنة من المؤرخين المحايدين سجّلت بأمانة وقائع التاريخ الحديث وعدد الذين أزهقت أرواحهم من اكتشاف القارات إلى يوم الناس هذا . . إن الدول العظمى ذات مخالب حادة وإن غطاها الحرير . . !!

* * *

حالك الظلمات

قال «بن غريون» أحد مؤسسى إسرائيل ورئيس حكومتها الأسبق : سنكتسح الدول العربية بالدبابات فإذا تأخر ذلك اكتسحناها بالجرارات! أى سنهزم العرب بتفوّقنا العسكرى فإذا استبعدت الحرب هزمناهم بتفوقنا الاقتصادى! وحتى لا تكون الكلمة تهديدا أجوف ، فإن جنّ سليمان يصلون الليل بالنهار دأبا على تجويد صناعتى الحرب والسلام حتى أمسى اليهود مسلحين من الرأس إلى القدم ، وحتى أمسى إنتاجهم الزراعى والصناعى يغزو الأسواق العالمية !

واستغربت ظنون اليهود بنا إنهم لا يتصوروننا إلا شعوبا مستهلكة ، أما هم فمالكو زمام الإنتاج ، إن الرقعة التى سرقوها من أرضنا ليس فيها شبر لم يزرع وقد أضافوا إلى ذلك مهارة فى الإنتاج المدنى والعسكرى تبعث على الدهشة !

وظهر أن الخطة لإقامة إسرائيل الكبرى أساسها شعب كادح يعرق فى ميادين العمل وسط شعوب ناعمة تبحث عن اللذة حُرم شبابها من التوجيه الدينى الصارم وراح يجرى وراء الضرورات حينا ووراء الرفاهية حينا آخر . .

إن الأمر ليس استنتاجا إن الخبرة اليهودية فى الزراعة المثمرة والإنتاج الكبير تعرض علينا فى مصر التى تزرع الأرض من خمسين قرنا ، والتى جاءها إسرائيل نفسه من عشرات القرون فرارا من القحط الذى أصاب وطنه كى يستطيع العيش الهنىء على ضفاف النيل . .

ماذا عرا مصر والعرب كلهم حتى تقهقروا فى استثمار أرضهم ومضاعفة خيراتها ؟ إن أقطاراً فيحاء يستشرى فيها الجدب وكان يمكن أن تدرّ السمن والعسل لو وجد المهندسون والفعلة ، أين هم وما الذى يشغلهم ؟

وعجبت لما قرأت أن الجيش الإنجليزى قرر أن يستخدم صاروخا إسرائيليا جيدا فى عدّته الحربية .

قلت : أبلغ اليهود هذه الدرجة من الإجادة ؟

إننى قريب من شبابنا وخبير بمواهبهم وأقسم أن فيهم من لو سابق اليهود سبقهم ولكنهم ثروة معطلة ومواهب مشلولة !

من هوى بنا إلى هذا الدرك ؟ وكيف تحولت الأمة الوسط العظيمة إلى أنقاض وخرائب ؟

إن شيئا واحدا أوقن به أن الإسلام برىء من هذه الأوضاع وأن تركه هو الذى أزرى بنا ومكن عدونا أن يسبق هذا السبق .

إننى أكتب هذه الكلمات وفى دماغى طنين من خبر سمعته من الإذاعة هذا الصباح .

مقتل ١٦ أصوليا قريبا من إحدى العواصم !

إن بأسنا بيننا شديد ، وإن تنازعنا على حطام الدنيا رهيب وإن المسافة بيننا وبين الكتاب والسنة طويلة ، وردّدْت مناجاة شوقى لصاحب الرسالة :

شعوبك فى شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف فى عميق سبات

بأيمانهم نوران : ذكر وسنة فما بالهم فى حالك الظلمات !

* * *

لجّة من الأسى

غمرتنى لجّة من الأسى عندما طالعت فى الصحف أن اجتماعا تمّ بين وزير خارجية إسرائيل ، وبين ياسر عرفات فى «غرناطة»! آخر بلد تركه العرب بعد هزائمهم فى الأندلس . .

قلت : لماذا اختيرت «غرناطة» لتكون مقر هذا الاجتماع بين اليهود الأقوياء والعرب المستضعفين ؟

أهى مصادفة غير مقصودة ؟

أم هى تذكير بالهزائم القديمة والملك المفقود حتى لايجزع الفلسطينيون من قبول اتفاق غزة وأريحا ؟

إن الاجتماع فى هذا المكان أثار أشجانى ، وبصّرنى بطبيعة المنحدر الذى نهوى فيه ، صحيح أن الإسلام - بقيادة الترك - استطاع تعويض خسائره فى شرق أوروبا إذا كان قد انهزم غربها ، وصحيح أنه فتح القسطنطينية ، وكاد يدخل ڤييننّا عاصمة النمسا لكن الفتح العسكرى قليل الجدوى إذا لم يصحبه فتح ثقافى ، وإذا لم يكن معه جهاز جيّد العرض لتعاليم الإسلام ، والعرب وحدهم أصحاب المقدرة فى هذا المضمار ، وقد استطاعوا بعد طرد الرومان من الشمال الإفريقى كله أن يُقرّبوا الإسلام والعروبة من الجماهير المحرّرَة فأسلمت الشعوب وتعرَّبت فى وقت واحد .

أما الأتراك فقد عجزوا عن مثل ذلك فى البلقان ، ولذلك اضطرب مستقبل الإسلام فى البلقان كله وكان مانشكو منه الآن !

ومن حقك أن تسأل : لماذا لم يؤلف العلماء العرب جماعات من الدعاة المدربين تساند العسكرية التركية ، وتشرح للناس حقائق الإسلام ؟ ما أظن الترك يمنعون ذلك أو يعترضونه مادام نشاطا علميا مجردا غير مشوب بمطامع الحكم ومنازعة أصحاب السلطة ، لكن الطبيعة العربية فيما يبدو لى كانت تستكثر الصدارة على الأتراك ،

وكان النزاع بين الجنسين سببا فى سقوط الخلافة العثمانية ثم فى سقوط العالم الإسلامى كله . .

ثم فى محاولات عنيدة مجنونة لاستئصال الإسلام نفسه !!

وهكذا دفعنا ثمن مخالفتنا لقوله تعالى : ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا ﴾ .[1]

إن الاعتبار بالماضى شأن العقلاء ، والمأزق الذى يحيط بالأمة الإسلامية الآن ضيّق معنت وما بدٌّ من جمع الشمل وتوحيد الكلمة ومواجهة خصم يعالن بالإجهاز علينا ، وقد بدأ هجومه لمحو التوحيد من أقطار الأرض كلها . .

إن الدفاع عن أركان الإسلام أمسى ضرورة مُلِحَّة فلا مساغ للاشتغال بالثانويات وإشعال النار من أجلها ولتتضافر الجهود فى مواجهة علمانيين ينكرون الوحى ويرفضون العقائد ويسخرون العبادات ويخدمون سائر الملل الأخرى ولا يتجرؤون إلا على الإسلام وحده .

* * *

---

(١) الأنفال : ٤٦ .

مغالطة..!

للمجرمين منطق عنيد يقلب الحقائق ويجعل المتهم بريئا والبرىء متهما . وكأن نعمة البيان التى وهبها الله للإنسان تحولت عن غايتها فأمست للتغطية بدل التجلية وللتزوير بدل التوضيح !

رأيت ذلك فى الحوار الذى وقع بين فرعون وموسى ، كما رأيته بعد ذلك فى كل حوار يقع بين المحقين والمبطلين .

يقول موسى لفرعون : ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (1) .

وما يطلبه موسى واضح أن يستخرج بنى إسرائيل من مصر بعدما كشفت الأيام عن استحالة بقائهم فيها ، وتبقى مصر عندئذ لأهلها وحدهم ولكن فرعون يردّ قائلا - بعد هزيمة السحرة - : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (2) .

ثم يمضى فى منطقه الكذوب قائلا : ﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾(3) .

فرعون يخاف من موسى أن يظهر فى الأرض الفساد !!

ومرة أخرى يقول فرعون لموسى وأخيه هارون : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾(4) .

إن موسى يبدو فى هذا الحوار متهما مقلقا للأمن أما فرعون فهو معتدى عليه أومدافع عن نفسه وقومه !!

---

(1) الأعراف : ١٠٥ .
(2) الأعراف : ١٢٣ .
(3) غافر : ٢٦ .
(4) يونس : ٧٨ ، ٧٩ .

هل عرفت النسب التاريخى لما يقال الآن من أن الإرهاب العربى يهدد الوجود اليهودى فى فلسطين ؟

العرب المطرودون من بيوتهم فى العراء يهدّدون اليهود الذين اغتصبوا البيوت وطردوا منها أهلها !!

وقد تكرر هذا المنطق فى صدر الدعوة الإسلامية فإن أبا جهل - فرعون هذه الأمة - قال عندما التقى الجمعان فى بدر : «**اللهم أينا كان خيرا عندك فانصره . اللهم انصر أهدى الفريقين وخير الفئتين . اللهم من كان أفجر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم !!** »

كان أبوجهل يرى أنه صاحب حق وأن المسلمين على باطل !

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ . (١)

وإلى أن تنتهى هذه الدنيا سوف يبقى الخصام شديدا بين المؤمنين والكافرين ، يرى الملاحدة أنهم أرقى عقلا وأرحب أفقا ويرى المؤمنون أنهم أعرف بالله وأدنى إلى مرضاته . .

وهذا الوضع يوجب علينا مزيدا من الرسوخ والمقاومة ، ومزيدا من الثقة فى الله والتوكل عليه ، إننى أنظر إلى مايدور من جدال بين أعضاء الأمم المتحدة ، فأشعر بأن المحامين عن الحق محتاجون إلى مقادير أكبر من الثبات والإيضاح ، ولكن الشعوب التى يمثلونها يجب أن تشدّ أزرهم باليقظة والكفاح حتى لا يقول أحدهم :

ولو أن قومى أنطقتنى رماحهم ... نطقت ولكن الرماح أجرَّت !

أى ربطت لسانى !

فلتعرف الشعوب واجبها ولتنهض به مهما كان ثقيلا .

* * *

---

(١) النمل : ٤ ، ٥ .

تزوير غريب

عندما كان للشيوعية كيان ظاهر غالب كان الغربيون يكرهونها ويعدّونها الجبهة الأولى ضدهم . فهل كانوا يومئذ يحبون الإسلام أو يهشّون لأمته ؟ كلا ، بيد أن خشيتهم من الأسلحة الحمراء جعلتهم يخشون الروس وأتباعهم أشد من خشيتهم للأمة الإسلامية العزلاء ومن دينها المهزوم فى مواطن كثيرة !

فلما نكِّست أعلام الشيوعية وذهب خطرها ظهر للفور الشعور الكامن أوالحقد القديم ضد الإسلام وقيل إنه الخصم البديل الباقى بعد الشيوعية المُدْبرة !!

من الخطأ أن نحسب هذا شعورا طارئا ، إنه السرّ وراء مقررات غربية سابقة تقول إن اليهود أولى بفلسطين من العرب ، وأن عددهم يجب أن يتضاعف ولو دفع الغرب تكاليف الإسكان مساعدات أوقروضا وأن الدولة المصطنعة يجب أن تكون قوتها العسكرية أرجح من قوى جميع الدول العربية متحدة !! حتى إذا وقعت حرب سحق اليهود خصومهم بسهولة . .

هذه مقررات سياسية ثابتة فى موقف الغرب من العرب وجامعتهم ، ومن المسلمين عامة في المشارق والمغارب .

ومع أن الكاثوليك والبروتستانت سواء فى الضيق بالعروبة والإسلام إلا أن الكنيسة الإنجيلية أشد حماسا وأقوى شكيمة فى مناصرة بنى إسرائيل ، وأتباع هذه الكنيسة هم جمهرة السكان فى انجلترا والولايات المتحدة . وعندما أعلنت إسرائيل تهويد القدس تداعى ألف رجل من زعماء الكنائس الأوروبية والأمريكية وعقدوا مؤتمرا دينيا عنوانه «السفارة المسيحية الدولية» تأييدا لليهود وشداً لأزرهم ومحّوا للطابع العربى الإسلامى لمدينة القدس .

ويوجد الآن أكثر من ٢٥٠ منظمة دينية تعمل لهذا الغرض ، وهى تبشر بالعودة الثانية للمسيح ، وأنها سوف تقع فى صهيون ، وأنه لابد من تجميع اليهود هنا لاستقباله !!

ونتساءل نحن كيف سيستقبلونه بكفرهم القديم ؟ وطعنهم فيه وفى أمه ؟ أم بأفئدة أخرى . . ! !

الواقع أن نصارى أوروبا وأمريكا أبعد الناس عن رسالة المسيح « عيسى بن مريم » وأجهلهم بطبيعته ، وأن مؤازرتهم لليهود ضد العرب لا تترجم عن إيمان ، ولا عدالة! وأن القول بأن المسلمين هم العدو الطبيعى للغرب بعد زوال الشيوعية يدل على جهل فاضح ، فإن جمهور المسلمين هم الذين يؤمنون بعودة المسيح وتوحيده لله ومناصرته للحق وخذلانه للباطل . .

إن الإعلام الغربى يصور المسلم المعاصر بأنه إنسان عابس الوجه ، مقطب الجبين ، كبير اللحية يلبس العمامة على رأسه ويثير الرعب بقوله وعمله . . !

ولما كان المسلمون خُمس العالم فقد صوِّر هذا الخمس الأعزل المستضعف على أنه يهدد أوروبا وأمريكا بفوضاه وهمجيته !

وبهذا التزوير الغريب تستباح دماؤنا وأموالنا وأعراضنا فى أغلب القارات ، وتهزم قضايانا فى مؤسسات الأمم المتحدة !! ويمنع السلاح عن مسلمى البوسنة والهرسك حتى يتمكن خصومهم من استئصالهم . .

يجب أن ندرس موقفنا من العالم وموقف العالم منا ، وأن تتحرك أجهزتنا الإعلامية لدحر هذه الأكاذيب التى طمّت وعمّت .

* * *

تشويه

كره بعضهم كلمة الغزو الثقافى ، ونفى أن يكون ما حدث وما يحدث نتيجة عدوان مبيَّت على شعائرنا وشرائعنا وزعم أن الأمر لا يعدو حوار حضارات أوتلاقى تيارات فكرية مختلفة ينشأ عنه محو وإثبات ، أوذهاب أفكار وحلول أفكار أخرى . .

وهذا كله اعتذار عما فعل بنا الاستعمار العالمى وهروب عن مواجهة آثاره فى محارمنا ومعالمنا ، إن هذا الاستعمار بدأ احتلالا عسكريا لأرضنا احتلالا مشحونا بالبغضاء لديننا ولغتنا وحضارتنا وكل مقوماتها المادية والأدبية ، وقد سارع بمحو الشريعة وجعل الحكم بغير ما أنزل الله ! ثم أنشأ التعليم المدنى فارغا من العقائد والقيم الدينية وجعل مقاليد السلطة بيده ! ثم هجم على التقاليد الاجتماعية فأخذ يصبُّها فى قوالب جديدة لا ترتبط بكتاب ولا سنة! ثم وضع خططا اقتصادية محكمة تجعل شعوبنا مستهلكة لا منتجة ، وتجعلها عربة ملحقة بالقطار الغربى يجرها حيث يشاء طوعا أوكرها ، وغطى هذا كله بإعلام مكتوب أومقروء له طنين يذهب الرشد !!

فأين هنا حوار الحضارات ؟

إن الحوار أخذ وردّ ، وتبادل حر للأفكار والقضايا ، وبعد تام عن الختل والاغتصاب والإسلام فى حقيقته وأسلوبه دعوة حارة لهذا الحوار ، بل هو يعرض نفسه خاضعا للدليل!! ومستسلما لنتائج الفكر الذكىّ فى أولى عقائده ، واسمع قوله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ .(1)

واسمع إلى هذا التساؤل وكيف يربط الإيمان بجوابه

﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .(2)

---

(1) الأنبياء : ٢٤ .   (2) النمل : ٦٤ .

وعندما يزعم أهل الكتاب أن المستقبل لهم وحدهم ، وأن الحق معهم وحدهم يسألهم : أين الدليل ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .[1]

ثم يجعل القبول الإلهى واسع الرحاب فسيح الجانب لكل من أخلص قلبه وأحسن عمله ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .[2]

والآيات على أننا أهل الحوار ، وأن حضارتنا تقوم على العقل المؤمن لا على العقل الفارغ لا حصر لها ، فكيف نخشى حوارا ونحن الذين ابتدعنا الحوار ؟ ؟

إن الغزو الذى نواجهه يعتمد على التفوق العسكرى والقدرات المادية الكثيرة ، وهو سافر الوجه عندما يستبقينا ضعفاء ويستبقى خصومنا قادرين !

للوثنية الهندية أن تملك السلاح الذرى ، أما باكستان المسلمة فلا . .

ولليهود أن يملكوا السلاح الذرى أما العرب المسلمون فلا . . !!

إنه يقول لنا انقلوا ما شئتم من حضارتنا ، نستطيع أن نصدِّر إليكم أجود الأنبذة المعتقة والروائح المنعشة وآخر ما ابتكرت الغرائز المهتاجة من ملابس الليل أوالنهار ، وإذا شئتم صدَّرْنا لكم الإيدز . . ولن نَضِنَّ عليكم بأدوات القتال ، ولكن الذخائر وقطع الغيار تجيئكم وفق مانشاء . . !!

إن الغزو الثقافى أخبث مآلا من الغزو العسكرى ، وقد انهزمت ألمانيا واليابان عسكريا بيد أن كلتيهما ، احتفظت بشخصيتها فلم يمر ربع قرن حتى عادت كلتاهما أقوى مما كانت . .

الغزو الثقافى محو للكيان الذاتى وتشويه متعمد لملامح أمة . . !!

ويحزننى أن أنظر إلى نتائج هذا الغزو منذ بدأ حتى اليوم ، فأرى خسائرنا فادحة فى الرجال والنساء ، والأهداف والوسائل ، والأفراد والهيئات ، أما المؤسسات الدينية الحارسة لجوهر الأمة فإن لججا هائلة تثور حولها ، وهى تقاومها ولا تدرى ما النتيجة ؟ أتغرق أم تظفر بالبقاء ؟

---

(١) البقرة : ١١١ . (٢) البقرة : ١١٢ .

وجهوا بنادقكم بعيدا..

أظن الولاء للدين لم يبق على شدته الأولى فى كثير من الأرجاء .

إن الإنسانية المطلقة اجتذبت عشرات الدول واستطاع العنوان العلمانى أن يفرض نفسه على هيئة الأمم وعلى أنواع من الأنشطة البشرية الأخرى ، وأظن رجال الأديان هم المسئولين عن هذه الهزيمة فمواريثهم السلبية فسحت الطريق أمام مذاهب وفلسفات ماكان لها أن تظهر أبدا وأجرؤ - وأنا أحد علماء المسلمين - على القول بأننا - نحن المسلمين - لم نحسن العمل بديننا ولا العمل له ، وأن هزائمنا فى فلسطين والقدس وغيرهما كانت عقوبات عادلة للغش الثقافى والبَلَه السياسىِّ اللذين أصبنا بهما .

وأبدأ وأنا أتحدث مع رجال الأديان الأخرى فأذكر حقيقة إسلامية خافية ، ونحن نعتقد أن العمران البشرى لا يحتكره دين واحد ، إن تعدد الأديان أمر مأنوس فى وعينا وفى معاملاتنا ، يستحيل أن ننفرد نحن أوينفرد غيرنا بهذه الأرض .

ويسعنى أن أقول للآخرين ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .[1]

﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾[2]وفى معاملة أهل الكتاب الأولين يقول الله لنبيه

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ .[3]

الاختلاف بين البشر لابدّ منه ، ولكنه ليس سبب تظالم وتخاصم ، ويستطيع المسلم أن يتزوج كتابية فيعيش دينان فى غرفة واحدة !

فكيف تضيق بهما الأرض الفضاء . . ؟

إننى أعتب على أهل أديان أخرى أن يعتبروا الإسلام دينا خارجا على القانون ! .

---

(١) الكافرون : ٦ .　　(٢) يونس : ٤١ .

(٣) البقرة : ١٤٥ .

وأن يستبيحوا المسلمين ويعتبروهم جماعات من البشر غير جديرة بحق الحياة ، وأن يتوارث هذا اللَّدد حتى يتم إسقاط دولة الإسلام ، واختفاء شعار التوحيد فى أغلب الأقطار !!

وقد هززت رأسى عجبا وأنا أرى الوحى الإلهى يداس فى صمت مع إباحة اللواط والسحاق والبغاء وأدران جنسية أخرى ! والصامتون هم أعلى الناس صوتا فى اعتراض الإسلام ومطاردة شرائعه !

إننا نحن المسلمين نريد أن نعامل معاملة طبيعية أى يُعترف بحقنا فى الحياة ، وبحقنا فى الدعوة إلى ديننا بالحسنى ، لا نحب أن نفتن أحدا ولا أن يفتننا أحد .

إن العالم أجمع يواجه أزمة دينية شديدة .

دعونا نشارك فى تفريج هذه الأزمة .

دعونا نقنع الناس بأن الله حق وأن لقاءه حتم وأن وحيه واجب الطاعة ، وجهوا بنادقكم بعيدا عنا ، إن المادية فى طريقها لاكتساح كل شىء . .

* * *

مالكم.. كيف تحكمون؟!

الفرق واضح بين المجاهدين والمتطرفين ، ولكن أعداءنا يتلاعبون بالألفاظ والمصطلحات ويريدون تحريف الكلم عن مواضعه .

فالذين قاتلوا دون هدم مسجد «بابرى» فى الهند والذين يستعدون للموت دون آلاف المساجد المهددة هناك ليسوا متطرفين ، وإنما هم مجاهدون مخلصون نذكرهم بالتقدير والدعاء . .

والذين يحافظون على عروبة فلسطين ، ويستميتون دون تهويد القدس ويقاتلون العدوان الصهيونى ليسوا متطرفين ، وإنما هم مسلمون صرحاء لهم شرفهم ومكانتهم فى نفوسنا .

والذين يحزنون لتعطيل شعائر الإسلام وشرائعه ، ويذودون تكالب الاستعمار الثقافى والتشريعى على بلادنا ، ويجتهدون فى إحياء تعاليم الإسلام ليسوا متطرفين وإنما هم مؤمنون مقدورون يجب أن يعانوا ويُنصروا . .

إن التطرف لون من الغلو الممجوج ، أوتحويل العادات إلى عبادات ، أوالنوافل إلى فرائض ، أوتسليط النظر البليد على تراثنا الفقهى ليعوقه عن الانطلاق والحركة الواجبة . .

أما أن يقول الهندوس إن المدافعين عن دينهم ومساجدهم متطرفون ، أويقول اليهود عن حماة القدس والأرض والعرض إنهم أصوليون منبوذون ، أويقول الشيوعيون والعلمانيون عن دعاة الحكم الشرعى إنهم رجعيون فهذا لعبٌ بالألفاظ ، وزيادة فى الكفر ومكر سىء بالإسلام ومستقبله . .

لقد نشرت «المسلمون» فى عدد مضى نبأ التعاون بين إسرائيل والهند على محاصرة الإسلام .

فعجبت إذ يقول سفير إسرائيل فى الهند : إن كلا من الهند وإسرائيل يواجه خطرا مشتركا من الأصوليين الإسلاميين ، وأن هناك دولا إسلامية تشجع الإرهاب الأصولى . . إلخ .

لقد تحوّل المقتول إلى قاتل وتحوّل المعتدى عليه إلى خصم مخوف .

إن معالم الإسلام فى الهند وفلسطين مهددة بالمحو ، والخطط توضع لإزالة دين وحضارة ، دين قام على التوحيد وحضارة قامت على التسامح !!

المطلوب الآن : لا إسلام فى الهند ولا إسلام فى فلسطين . . الوثنية وحدها صاحبة السلطة فى الهند ، واليهودية وحدها صاحبة السطوة فى فلسطين ، بل لا فلسطين هناك ، توجد إسرائيل فقط . . !!

ثم تتآمر المحافل الدولية والطوائف العاملة للغزو الثقافى على تسمية المدافعين عن كيانهم وتراثهم بأنهم متطرفون . . !

فى هذه الفوضى المائجة ، وهذه الغارات الملحاح نطلب إلى المكافحين المسلمين أن يتشبثوا بالشكل والموضوع ، وأن يمزقوا الأستار عن نيات الأعداء وأن يظلوا مسلمين صرحاء . .

* * *

مقتل الخلفاء..

فى كوم الأسئلة التى وجدتها أمامى بعد انتهاء محاضرتى ، سؤال استوقف انتباهى لأ نه يحمل تشكيكا واتهاماً للعصر الإسلامى الأول ، أعنى دولة الخلافة الراشدة ، يقول :
أين الرضا واستقرار الحكم وتأييد الجماهير إذا كان ثلاثة من الخلفاء قد ماتوا قتلى ؟

أدركت أن السائل تأثر بالحملات التى يشنها الغزو الثقافى على الإسلام وتاريخه كله !

قلت : إن دولة الخلافة قامت بعد زوال المستعمرات المسلّحة التى أقامها اليهود فى جزيرة العرب ، وبعد زوال الجبروت الفارسى ومصرع آخر الأكاسرة ، وبعد فرار الرومان من أرضين ظلوا بها أكثر من ستة قرون ، وتركهم للشام وما وراءه ، ومصر وما وراءها فى أعقاب هزائم رهيبة . .

والغريب أن الفرس والروم واليهود كانوا يحيون داخل جزيرة العرب حياة عادية ، ومن اليسير تحت رداء الإسلام أن يخفوا عداوتهم للدين الذى قضى عليهم ، وللدولة التى قامت باسمه !!

هل كان هؤلاء الموتورون يحيون بصدور سليمة ؟ ويعيشون رعايا طيبين ؟ ولا أدرى لماذا أحسنا الظن بهم ؟ ولم نحسن الحيطة منهم ؟ وكيف يستريح الخليفة إلى الذهاب إلى المسجد من قبل صلاة الفجر إلى ما بعد العشاء ، لا حارس له فى طرقات المدينة أو داخل المسجد ، والأعداء الأخفياء كثيرون ؟

إنها طيبة مثالية خطيرة ، كانت لها نتائجها الوخيمة ! ثم لماذا لم يكن للدولة جهاز مخابرات ذكىّ ينظر بدهاء إلى حاضر الأمة ومستقبلها ، ويرصد أعداء الأمس حتى إذا بيّت أحدهم شرا أطفأ النار قبل اندلاعها . .

أليس من المضحك المبكى أن يقول «كعب الأحبار» لعمر إننى أجد مقتلك فى التوراة !

إن هذه الفلتة على لسان «كعب» فضحت التآمر على الخليفة الثانى الذى تم بين رجال من الفرس واليهود والدهماء كما ذكر التاريخ بعد فوات الأوان ، ومما يستحق التأمل أن «كعبا» إلى يومنا هذا يُعَدّ من المحدثين ! ! ومن العجائب أن يذهب «سعد بن عبادة» ضحية مؤامرة لإثارة الشقاق بين الأنصار والمهاجرين ، ثم يقال : إن الجن هى التى قتلته !!

وترقب مجىء الوفود إلى المدينة لقتل عثمان ، فتسأل : من حرّكهم ؟ ومن رسم الخطة لهم ؟ ومن صحبهم فى فوضاهم حتى مقتل الخليفة الثالث ؟ أكان للدولة جهاز مخابرات يدرى ما هنالك ؟

إن أعداء الظلام حبكوا الفتن لضرب الإسلام فى صميمه ، ورجال الدولة الإسلامية يعيشون فى عالم المثل مشغولين بالعبادة ، والجهاد فى وضح النهار وتحت أشعة الشمس .

إن التاريخ البشرى لم يعرف حاكما أعدل من عمر ، ولا أنبل من عثمان ، ولا أطهر من علىّ وجماهير المسلمين تعرف هؤلاء الرجال على أنهم أئمة هداة ، وأعلام فى طريق الحق ، وما ينحرف عنهم إلا شقىّ ! إن مصارعهم أدمت قلوب المؤمنين فى كل عصر ومصر ، ولعلنا نتعلم من تاريخهم ألا نأمن لأعداء الله ، وأن نجعل دولة الحق وراء سياج من الحذر واليقظة .

* * *

النظام العالمى الجديد

فى أوائل هذا القرن كانت انجلترا وفرنسا وعدة دويلات أوروبية تستعمر أقطار فيحاء من العالم القديم ، ثم دفع الله الناس بعضهم ببعض ، وأخذت ظلال الاستعمار تتقلص ، ومع انتهاء الحرب العالميتين الأولى والثانية تحررت المستعمرات ، وتراجع المستغلون إلى الوراء قليلا حتى يتقنوا حيلة أخرى لاستعمار العالم مرة أخرى بأسلوب أدهى وأرقّ وكان المسلمون فى أرجاء العالم ، من بين الشعوب التى التقطت أنفاسها واستعادت - على نحو مًّا - حريتها ، وللمسلمين اليوم نحو أربعين دولة مستقلة ، ويتوزعون على ثلاثين قومية أخرى .

ونحن انطلاقا من تعاليم ديننا لا نفكر فى ظلم أحد ، وإنما ننظر إلى موقف الآخرين منا فنسالم من سالم ، ونخاصم برغمنا من خاصم ، ونعرض عليه بين الحين والحين السلام . . !

وأريد أن أتساءل - والإنسانية تتابع النظام العالمى الجديد - ما الموقف منه ؟ وماذا أفدنا من النظام العالمى القديم ، وماذا يمكن أن نفيده من النظام الجديد ؟ وهل يُعامل المسلمون بعدالة فى هذه الدنيا ؟

إن هيئة الأمم فى عهدها السابق اتخذت قرارا بإنشاء دولة إسرائيل ، فإذا البولنديون والروس وجموع من الشعوب ، يرسلون يهودهم إلى الأرض العربية فيطردون أهلها من قراهم ومزارعهم وينفذون خطة مرسومة بتهويد فلسطين !!

إن الدول الخمس الكبرى ، وعشرات من الدول الأتباع اتخذت هذا القرار - وهى مستريحة الضمير - ! وأضحت إسرائيل الولد الشقىّ المدلّل الذى تبنته هيئة الأمم ، وتركته يضرب الجيران ، وقد تنهره وهى تبتسم إذا زاد على الحدّ فى شقاوته وما تفكر أبدا فى تأديبه !

وإسرائيل الآن تُسْتَعْطَفُ لتترك بعض ما غنمت للعرب البائسين ! ترى هل ترقّ ؟

ذاك فى النظام العالمى القديم! أما فى النظام العالمى الجديد فقد انحلّت دولة «يوغوسلافيا» وتكونت على أنقاضها دول كثير ، بعضها مسلم ، والآخر مسيحى . فأما القسم المسيحى فقد اعترف العالم به ودافع عنه حتى استقر وضعه ، وأما القسم المسلم فقد قرر النظام العالمى الجديد إماتته ببطء ، وترك وحوش الصرب تسفك وتفتك وتعد وتغدر وتجيع وتُظمىء ، وتبتذل أغلى ما فى الدنيا من أعراض ودماء . .

والدول الكبرى تنتظر وتدمدم بكلمات ظاهرها الغضب وباطنها الرضا ، وكانت تستطيع أن تمنع هذا الشر كلّه أوبعضه لو تحركتْ بجدّ ، وغضبت بصدق ، لكن الدم الإسلامى رخيص فلا داعى لتكلّف البكاء . .!!

ليس أمام المسلمين إلا أن يعودوا إلى الركن الذى يأوى إليه القَلِقُ فيأمن والمستغيث فيغاث !

إن علاقاتهم بالإسلام ليست عزيزة عليهم فى ميادين شتى ، فهل يحتمون بربّ الدين ، ويُحيُون دينه ؟ فى هذا اليوم يجىء النصر ويستريح الهائم ، ولا نشكو الهوان بين الناس ، ولا نرجو الخير من النظام العالمى القديم أو الجديد .

* * *

خيفةٌ من الإسلام

تحت عنوان «عقيدة استبدادية أخرى تتسرب إلى الغرب» نشرت «نيويورك تايمز» مقالا يقطر حقدا على الإسلام وأمته ، ويثير القلق والوجل ضد انتشار دعوته ويناشد حلف الأطلسى الاحتياط ضد العدوان الإسلامى المرتقب !

وأريد اقتطاف عبارات من هذا المقال الذى يمثل الفكر السائد فى الغرب حتى يعلم المسلمون ما يراد بهم وكيف ينظر إليهم ؟

قالت الصحيفة الكبيرة : «إن الأصولية الإسلامية تتقدم بسرعة لتصبح التهديد الأساسى للسلام العالمى»! وقالت : «إنها تشبه التهديد النازى والفاشى فى الثلاثينيات والتهديد الشيوعى فى الخمسينيات» وقالت : لقد أسلم فى بريطانيا - وحدها - بعد الصحوة الإسلامية ٢٠٠٠٠ مسلم أغلبهم من طبقة المتعلمين الوسطى والعليا ويفضّل هؤلاء العيش فى أجواء منعزلة هادئة لأسباب خاصة مع الاحتفاظ بأسماء إسلامية ومع الخضوع التام لكلمات الله فى القرآن الكريم » .

وقالت : «إن الإنجليز الذين اعتنقوا الإسلام اختاروا منهجا دينيا معتدلا يبعدهم عن المادية الحديثة ويوفر لهم السلام النفسى ويعدهم الخير فى الآخرة» وقالت : «لا نفهم السبب الذى جعل هؤلاء الرجال والنساء - وقد عاشوا فى جو ديمقراطى - يعتنقون عقيدة ترجم الزناة وتقطع أيدى اللصوص» !

وأضافت : «من المناظر المألوفة فى «السعودية» - لأنها تطبق الأحكام الشرعية - كثرة ذوى العاهات » ! ونسارع إلى القول بأن ذوى العاهات فى (السعودية) أقل من أمثالهم فى أوروبا وأمريكا ، وقد عشت شخصيا فى مكة سبع سنين فلم تقطع أيدٍ تبلغ أربعا أوخمسا خلال هذه الفترة . !

ثم أوصت الصحيفة أن تمنع الدول الغربية عن دعم المدارس الإسلامية ، فإن الروح الإسلامية فى امتداد وقد اتسعت دائرة الأصولية فى الشرق الأوسط وحوله . وحذرت من أن الإسلام أول هذا القرن كان يظهر جماعيا فى صوم رمضان أما الآن فأثرياء المسلمين يبنون المساجد فى «تركيا» و«تونس» و«الجزائر» وشعائر الإسلام تبرز هنا وهناك !

ذاك ما نشرته صحيفة أمريكية كبرى ، وهو صورة لما تنشره أمهات الصحف الأوروبية والأمريكية . .

ولما كنا نحن المسلمين نتعرض لأزمات عالمية ومحلية كبيرة ، ولما كانت تعاليم الإسلام وتشريعاته تواجه حربا شعواء فنحن نتساءل : من الذى يطلب النجدة ويصرخ لما نزل به ؟ نحن أم من يعتدى علينا ؟ أم كما قيل : ضربنى وبكى ! وسبقنى واشتكى . .

الجامعة الإسلامية

عندما وفد علينا الاستعمار الثقافى بفكرة القوميات الضيقة قاومها أهل الإيمان بفكرة الجامعة الإسلامية على أساس أن الإسلام أساس أخوة عامة تلمّ أتباعه فى المشارق والمغارب ، وتجعل المسلم فى القارة الهندية أولى بأخيه فى المغرب الكبير !

والحق أن المسلمين على اختلاف أوطانهم لم يستهينوا بروابط الدين ، وبرغم عوامل التوهين والتعرية ظل نداء «**يا أيها الذين آمنوا . .** » **يجمعهم حيث كانوا** .

وجدير بالنظر أن أوروبا التى انقسمت دولا شتى على أساس مبدأ القومية أخذت تتقارب بقوة حتى لتكاد تتحد طاوية كل أسباب الفرقة والوحشة! وقد تابعت إحدى جلسات «البرلمان الأوروبى» فوجدت مندوبين عن اثنتى عشرة دولة ، انتخبتهم شعوب أوروبا انتخابا حرا مباشرا ووكلت إليهم أن يبحثوا المستقبل على نحو يجمع ولا يفرق ، حتى لقد تساءلت : هل ستقوم ولايات متحدة فى أوروبا كما قامت ولايات متحدة فى أمريكا؟ إن أسرة جديدة تتكون فى أوروبا تجمع بين أعضائها عددا من الدول العظمى ، وتوشك أن تفرض نفسها على العالم أجمع ! ترى أين نحن من هذا التطور فى العلاقات الدولية ؟

وتأملت فى وضع المؤتمر الإسلامى ، إن الفكرة جليلة ، والمهم أن تنفخ فيها روح الحياة حتى يقوم المؤتمر المرموق بتوحيد أمتنا فى مجالات كثيرة !

وقد جدّ اليوم ما بعثنى على القلق !

إن التبشير العالمى يتاجر بآلامنا وإذا سمع بأرامل أويتامى أومنكوبين خفّ على عجل ليعرض عونه المريب مادًّا شباكه لسرقة العقائد وقد انتهت حرب الخليج ولقى الظلمة عقابهم ، وسمعنا عن مآسٍ تقع للأكراد والعرب تستحق الدرس والعون .

فهل نهرع لأداء واجبنا قبل أن يسبقنا الآخرون ؟

إن مستقبل الأكراد تحفّه الأخطار ، بل لقد أذيع أن القوات المتحالفة تركت وراءها ٤٠ طنا من اليورانيوم المستنزف فى الكويت وجنوب العراق كانت تستعمل فى

الطلقات الخارقة للدروع ، وهذه المواد المتخلفة سامة كيماويا ولها إشعاعات ضارة ويخشى أن تسوق الموت البطيء إلى الآلاف من المسلمين . .

والمسلمون فى أرضين واسعة تمر بهم أزمات خانقة ويتعرضون فى مسائهم وصباحهم للحتوف ، فهل يُشغل كل منا بما لديه ، وينسى حقوق إخوانه ؟

تذكرت ما ذكر فى سيرة الشيخ محمد رشيد رضا من أن الغم كان يساوره لآلام المسلمين حيث كانوا ، فقالت له أمه يوما ، وقد أصبح مهموما مغتمّاً : هل مات اليوم فى الصين أحد المسلمين ؟

إن بعد المكان لا يلغى حقوق الإيمان ، ونحن مسئولون عن مسلمى الفلبين كما نسأل عن مسلمى وادى الفرات أو وادى النيل . .

لقد تقارب الزمان والمكان واستطاعت الكشوف الحديثة أن تجعل أجيال البشر يحيون فى دار واحدة! لا سماعا بالآذان ، ولكن رؤية عين من خلال قنوات التلفاز ، والناس كلهم عبيد لإله واحد ونحن مكلفون شرعا أن نعرفهم حقه ، وأن نبصرهم حكمه! ألم يجعل الله العرب الأمة الوسط الشاهدة على العالمين ؟

فلنعرف رسالتنا ولنقم بأعبائها ، ولنكن - كما علمنا رسولنا - جسدا واحدا إذا اشتكى بعضه تحرك كله بألم متجاوب وعون متبادل .

عندما ذهبت «الأم تريزا» الراهبة الكاثوليكية النشيطة إلى ألبانيا سرحت عينى فى الفضاء ، وتصورت بقايا الأمة الإسلامية هناك بعدما انهارت السلطة الشيوعية إن تسعة أعشار السكان مسلمون كانوا يكتمون كلمة التوحيد خوفا من البطش ، وكانوا لايجدون مسجدا يصلون فيه لأن المساجد غلقت أوتحولت إلى مخازن . . وقد تحرروا اليوم وهم يتلفتون ليروا إخوان العقيدة فإذا هم يرون طلائع التنصير !!

إننى أهيب بالعرب أن يحملوا الراية ، وألا تذهلهم العروبة عن الجامعة الإسلامية .

* * *

الشاذلى بن جديد

قضيت فى الجزائر قرابة خمس سنين كادحا إلى ربى ، جاهدا فى سبيل دعوته ، عرفت خلالها الشاذلى بن جديد الذى استدعانى للمشاركة فى تأسيس الجامعة الإسلامية بالجزائر ، وأشهد أن الرجل كان مؤمنا حسن الإيمان ، غيورا على دينه ، مقيما للصلوات الخمس ، وقد أدى هو وأسرته مناسك الحج !!

وما عرضتُ عليه مشكلة تعترض قيام الجامعة إلا حلّها ، وإذا كانت هذه الجامعة قد نهضت فالفضل لحماسه الدينى ، ورغبته فى ترسيخ الإسلام بالجزائر وضمان مستقبله . .

ولكى نعرف قيمة هذا الصنيع نذكر أن الساسة قبل مجيئه كانوا علمانيين يؤمنون بقومية عربية غريبة عن الإسلام ، وقد ألغوا التعليم الدينى بجرَّة قلم ، وحلّوا الوزارة المشرفة عليه ، واستولوا على مبانيه كأنها غنائم حرب !

وقد كره الاتجاه اليسارى فى ميدان الاقتصاد ، وأعاد كثيرا من الأملاك لأصحابها ، وأعاد الحرية التجارية إلى الأسواق ، وسمعت منه أن ديننا لا يعرف كلمة الاشتراكية ، وأن تطبيقها فى الجزائر جرَّ الخراب على الفلاحين ، والمنتجين والمستهلكين جميعا . . وأشهد أنه أوصانى - وأنا وزملائى نبنى الجامعة - أن نبتعد عن الغلاة ، وأن نخرج علماء لهم بصيرة نيرة فى خدمة الإسلام ، يعرفون طبيعة العصر الحاضر ، وحال الأمة الإسلامية المتردِّية ، ويؤثرون التجميع على التفريق والوفاق على الخلاف!! وَتَرَكَ ضمائرنا فى رقابة الله ونحن نؤدى هذه المهمة الصعبة . .!

وقد تركت الجزائر بضع سنين ، ولكنى أتابع أخبارها ، أبتهج لما يسرّ ، وأنقبض لما يحزن! وعندما أجريتْ الانتخابات الأخيرة كنت واثقا من أن الرئيس المؤمن لن يسمح بتزويرها! والحق أن موقفه كان صعبا ، فإن الجمهرة من جبهة الإنقاذ كانت تريد التطويح به وتتعجل إجراء انتخابات الرياسة للمجىء بغيره !! وبلغ علمى أنه حاول التفاهم معها ولا أدرى ما تم ؟ ثم هناك جبهات أخرى لها وزنها قررت ألا تسمح لجبهة

الإنقاذ بالمرور ، وتحت ضغط هذه المتناقضات قرر الرئيس أن يستقيل . . ذكرت كفاح الرجل ونظافة يده وصدق إيمانه ثم ذكرت قول الشاعر :

إن الأميـــر هـــو الـــذى　　　يضـحى أميـرا يـوم عـزله !

إن ضـاع سـلطان الولاية　　　لـم يضـع سـلطان فضـله !

ويبقى بعدئذ حق النصح لمن خلفوه ، وحق النصح لكل من يخدم الإسلام فى الجزائر ، إننى أناشد الجميع أن يبتعدوا عن سفك الدماء ونشر الفوضى ، أعتقد أنه فى ظل الأناة والرفق يمكن تقديم أيادى بيضاء للإسلام فى حاضره ومستقبله يستطيع الحكام الجدد أن يُحرِّموا بعض الجرائم الخلقية والاجتماعية التى يبيحها القانون الوضعى اقتداء بأوروبا ويستطيعون كبح جماح الشيوعيين والعلمانيين الذين يضيق صدورهم بالإسلام وتعاليمه ، وتستطيع جبهة الإنقاذ أن تعمل بين الجماهير لدعم التربية الدينية ، والأوضاع الاجتماعية ، وأن تزداد خبرة بمعالجة الأزمات الاقتصادية التى تأخذ بخناق الجزائر وتكاد توردها المهالك ! هذه نصيحة مخلصة أرجو لها القبول .

حدث فى الجزائر

أعرف أن الله هو الحق المبين ، وأن من في السماوات والأرض عبيده المفتقرون إليه وهو الغنى عنهم ، وأن محمدا أمير الأنبياء عبده ، وأن جبريل أمين الوحى عبده ، وأن ارتفاع مكانة بشر أوملك هو بقدر استغراقه فى العبودية وتلاشيه أمام جلال الألوهية الباهر القاهر . .

عرفت ذلك من تدبر الكتاب الكريم ، ومن دراسة الرسول العابد القائد . .

لم تسُقْنى إلى هذا المعتقد عصا ، ولم تدفعنى إلى نشره غاية دنيا . .

لكن ناسا فقدوا القدرة على الفهم والتفهيم ظنوا أنهم يخدمون الإسلام بوسائل أخرى فوقعت فى الجزائر أحداث مستغربة !!

هدمت مساجد لأن بها قبورا وقبابا ، ونبشت مقابر الشهداء وسحقت العظام والجماجم أوحرقت لأنها ذريعة إلى الشرك !!

استغربت ما وقع ، وقلت : ما بهذا يخدم التوحيد أوتصان العقيدة ، أغلب الظن أن أصابع أجنبية من وراء هذه الفتنة .

إن المراد تمزيق شمل الجميع حتى إذا هجم اليهود لإقامة إسرائيل الكبرى لم يقف زحفهم صف مرصوص !

وتذكرت أمرا مشابها وقع فى مصر ، لا بأس من ذكره . . وقبل إثباته هنا أروى ما وقع لعمر بن الخطاب عندما كان يتسلم بيت المقدس ، فقد حان وقت الظهر وهو فى الكنيسة يتسلم ثالث الحرمين ، وعرض الأسقف على الخليفة أن يصلى فى مكانه !

لكن عمر أبى ، وخرج وصلى فى مكان آخر ، وشرح موقفه للأسقف الطيب قائلا : لو صليت هنا لجاء المسلمون من بعدى واستولوا على المكان قائلين : هنا صلى عمر !!

وعمر حريص على بقاء الكنيسة لأصحابها يؤدون فيها مشاعرهم كما يحبون ، لا يشركهم أحد فيها !!

إن عمر الراشد يرفض اغتصاب أماكن العبادة للآخرين ، ويحرص على استبقائها لجماهير المؤمنين بها ، لا يذادون عنها ولا يراعون بها !!

وقد قلت : إن الإسلام أول من اخترع حرية التدين ، ونادى بها وأقام الحياة المحلية والدولية عليها . .

ومن هنا عجبت لما سمعت بأن محاولة وقعت لإحراق كنيسة وجزمت بأن أصابع أجنبية تعمل فى الخفاء لاقتراف هذه الآثام . .

إن الغوغاء لاعقل لهم ، وربما سمعوا كلمات مريبة من أشخاص يتحركون فى الظلام ، فيرتكبون ما لا يقره ديننا العظيم ويسيئون إلى تعاليمه الواعية الهادية . .

وعندى أن المأساة كان من السهل اجتنابها لو ترك المجال للتيار الدينى الراشد كى ينير الأفئدة وينظم الصفوف . . وذاك ما لم يقع! بل الذى وقع أن بعض العلمانيين الكذبة تركوا يتكلمون ليزيدوا الطين بلة ، ويزيدوا الأمور فوضى .

ولن ينتفع بهذه البلبلة إلا العدو المتربص من وراء الحدود ينتهز الفرصة ليثب ، ويقضى على كل شىء ، ويدمر الحاضر والمستقبل جميعا .

كبوة الجزائر

مازلت أؤكد أن العلمانيين العرب يكرهون الإسلام ويوجلون من عودته إلى الحياة العامة وظهور شعائره هنا وهناك .

وقد سمعت من إذاعة لندن أن الأذان مُنع من التلفاز «الجزائرى» ، فلن يعلن بعد اليوم! وأن ذلك تم إرضاء للفرنكفونية التى تريد تجريد المجتمع من الصبغة العربية والإسلامية لينفسح المجال أمام الثقافة الفرنسية وحدها . .!

والتلفاز الجزائرى هو المصدر الأول للإعلام ويجىء الراديو بعده ، ولا ريب أن هذا التصرف إساءة كبيرة للإسلام والمسلمين ، وخيانة لمليون ونصف من الشهداء الذين ذهبوا فى كفاح الاستعمار الفرنسى ، واستبقاء الجزائر عربية مسلمة . .

إن الأذان نداء الحق ودعوة جهيرة إلى الله وتذكير بالصلوات المكتوبة وتطهير للجوّ من تيارات العبث والغفلة و عوْد متجدِّد بالبشرية إلى خالقها .

وإن كان للحضارة المادية طنين يكابر منطق الإيمان ويغرى بعبادة التراب وحده!

فــلا الأذان أذان فى منائـــره ! إذا تعــالى ، ولا الآذان آذان . .!!

ومع ذلك فإن بقاء هذا الصوت القدسىّ له أثره وخطره ، إننى قد أكون مستغرقا فى فكرة أومسترسلا فى عمل ، أومستريحا من جهد . فإذا شق الأذان حجاب الصمت ، وقرعت كلمة الله أكبر الأسماع ، تجاوبت معها لفورى وأيدت الداعى بترديد التكبير معه ، ومعروف أن التكبير من الباقيات الصالحات ، وأنه هدف النشاط الإسلامى كله ، وأن شهادة التوحيد المنهج العملىّ لهذه الغاية ، وأن «محمدا» هو القدوة وسيرته هى الرائد ، وأن الدعوة إلى الصلاة والفلاح ترشيد للسلوك وكبح للشهوات واهتمام بالآخرة ، ثم يختم الأذان مرة أخرى بالتكبير والتوحيد توكيدا للغاية والوسيلة .

إن الأذان برنامج حياة ونشيد تقوى وبر ، ولذلك جاء وصفه بأنه دعوة تامة ، فيقول كل مسلم **«اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته »** .

أما الذين يضيقون بالأذان ويكرهون صداه فى المجتمع ويمنعونه من أدوات الإذاعة فهم من تَعْنيهم الآية الكريمة فى دلالاتها الواسعة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ .[1]

إن الأذان لا يستغرق أكثر من دقيقتين ، فهل الإذاعة التى تسرف فى اللهو والتسلية تضيق بهاتين الدقيقتين ؟

---

(١) البقرة : ١١٤ .

فى ثلاثة مواضع

من ثلاثة أسابيع غزت جسمى علة مُعْنتة ألزمتنى الفراش وأقعدتنى عن واجبات شتى! قال لى الطبيب : احمد الله لأن الجلطة التى أصابتك كانت فى الساق ، وكان من الممكن أن تبلغ القلب أو المخّ !

قلت : الحمد لله على كل حال ، لو بلغت القلب لوقفته أوالمخّ لأتلفته ، لكن كليهما بقى قادرا على استقبال الأوجاع من أحوال أمتنا وأزماتها الخلقية والسياسية ، لقد ازددت سقاما على سقام . . !

بعد اجتياح الكويت فى بطشة من بطشات الجبابرة ، وبعد فوران التوجس هنا وهناك من فتكة مشابهة ، ثم مجىء الجيوش وتتابع الأحداث وانتشار الفوضى قلت فى نفسى : هذه أيام بالغة السوء! ماذا حدث ؟

من شهر واحد كان الصف مجتمعا فكيف انصدع ؟ وكنا نتحدث عن إنقاذ فلسطين فإذا بيضتنا تستباح وتدحرجت القضية الأولى للمسلمين فإذا هى تقع على الثرى ثم تستخفى لنرى أنفسنا أمام قضايا أعقد !

ماذا فعل العرب بأنفسهم ورسالتهم ؟ إننا أمة تنتحر! وقع زمامها فى أيدى الشياطين فإذا هى كما حدث القرآن الكريم من قبل ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ .(١)

اليهود يد واحدة تضربنا بقوة ، عبيد البقر يد واحدة تزهق أرواحنا بالمئات فى المساجد ! .

الناس فى شرق أوروبا وغربها يتجمعون ونحن وحدنا نفترق ! .

ماذا يفعل العرب بدينهم ودنياهم .

فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم يتحدث العرب عن أنفسهم أنهم لو حملوا

(١) الأنعام : ٦٥ .

أمانات الوحى لكانوا أرعى لها وأبرَّ بالناس ممن سبقوهم فى هذا الميدان! فهاهم أولاء حملوا هذه الأمانات فما رعوها حق رعايتها ولا شرفوها محليا أوعالميا فى هذه الأيام العجاف .

فبم علّق القرآن على هذا السلوك ؟ قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ .(١)

إن صور التكذيب للقرآن شتى ، والذين يقدمون الإسلام قسوة لا رحمة فيها ، أوثروة لازكاة فيها أوسلطة لا شورى فيها أوحظوظا لا عدالة فيها ، هؤلاء جميعا مكذبون بالدين .

إن المسلم يصطبغ وجهه بالقار عندما يرى عرب الكويت يطلبون النجدة من «بوش» حامى إسرائيل ، ويرى بوش عند حسن الظن به !

لقد جاء فى الحديث الصحيح : «**إن هذا الأمر فى قريش ما إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا قسموا أقسطوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منهم صرف ولا عدل**» أى لاتوبة ولافداء!! فهل فعلنا ؟

إن العرب بهذه السياسات التى عرفوا بها ينتحرون .

وويل للجماهير اللاهية من علمانيين يحكمون وجاهلين يفتون .

* * *

(١) فاطر : ٤٢ ، ٤٣ .

قانون لأعمال همجية

استوقفني في إحدى الإذاعات حوار مريب بين رجل وامرأة! فقد أبدى الرجل رغبته مراوداً المرأة عن نفسها فقالت له : لا ، إن لى صديقا!! فحاول التشكيك فى إخبارها هذا ، فأكدت له أن هناك صديقا وهبت له حبها ، وعليه هو أن يبحث عن أخرى ليرمى عليها شباكه . . !!

هل ترى أثر الإيمان فى هذا الكلام ؟ هل تجد مكانا لخشية الله ؟ أهناك ظِلٌّ لدين ؟

إن الإثم وُلد ونما تحت عنوان الصداقة ، واستراحت إليه ضمائر الأفراد . . ويبدو أن الحضارة الحديثة هى أقدر الحضارات على استجلاب عناوين شريفة للأعمال القذرة . . !

ذكرت ذلك وأنا أقرأ فى الصحف ما أسدته الولايات المتحدة أخيرا «لإسرائيل» إنها خزّنت لديها كل أسلحتها التى استخدمتها فى حرب الخليج وزادت على ذلك أن دفعت ثلاثة أرباع نفقات برنامجها الجديد فى تطوير حرب الصواريخ ، وهو يتكلف مئات الملايين من الدولارات ، ثم رأت أن ذلك غير كاف فمنحتها عشر طائرات من أحدث ما أنتجت من أدوات الدمار! لقد تم ذلك تحت عنوانٍ «الصداقة» !!

ما أشرف العنوان وأقبح الموضوع ! إن هذه الصداقة دعم لصلف اليهود ورفضهم لكل هدنة مع العرب ، وإصرارهم على اغتصاب الأرض والعرض ، ومُضيِّهم فى إقامة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل ، وتأكيدهم أن الانتفاضة الباسلة المستميتة لوقف العدوان لا قيمة لها ولا أثر ، ولو بقيت سنين . .

والذى لفت نظرى هو الشكل القانونى للأعمال الهمجية وراء غلاف من الدفاع العادى . .

وأهل الأرض كلهم يعلمون أن أمريكا صديقة لإسرائيل ، فهى والدتها وحاضنتها وحاميتها ، وقد أعلن الرئيس بوش رضاه وسروره لأنه شارك فى نقل يهود الحبشة إلى فلسطين ، ولعله ظن ذلك من العبادات التى يتقرب بها إلى الله يوم الأحد أو يومى السبت والأحد معا . .

المهم أن أوروبا وأمريكا حريصتان على أن يكون عملها مشروعا ، موافقا للقوانين الدولية !

أما العرب فلهم منطق آخر . . وعنتريات جديرة بالدراسة ! ماذا - عندما شعر العراق بالقوة - لو تحرك تحت عنوان تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة المعطلة ؟

فيقول لسكان الأرض أجمعين : إن الهيئة الدولية سقطت مكانتها بتعطيل اليهود لقراراتها ، ونحن بالقوة سوف ننفذ هذه القرارات .

أما كان الجو العالمى سيتغير تأييدا له ؟ أما كان العرب كلهم سيعملون معه ؟ أماكنا سنغلق الطريق أمام كل تهمة بأننا - معشر العرب - لا نعرف حقوق الإنسان ؟

لكن عبدالناصر قديما حسب اليمن طريقا إلى فلسطين ، وصدام حسين حسب الكويت طريقا إلى فلسطين ، ولم تكن الهزيمة كفاء هذا الجهل الغريب . . بل الأمر العجب أن القانون الدولى كان العلم الخفاق فوق الحلفاء الذين خفوا لنجدة المستضعفين . .

وضاعت مع فلسطين بعد ذلك أقطار أخرى ، أوهى فى طريق الضياع ! فأين منطق العقل ؟

* * *

الفهرس

مؤلفات فضيلة الشيخ

محمد الغزالى

